اللغة العربية

مجلة فصلية محكّمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للّغة العربية

العربية

العدد السابع والثلاثون- الثلاثي الثالث - 2017

اللغة العربية

مجلّة فصلية مُحكمة تعنى بقضايا اللّغة العربية ومجالاتها

تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية

العربية

العدد السابع والثلاثون

اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ

مجلّة فصلية مُحكمة تعنى بقضايا اللّغة العربية ومجالاتها

شروط النشر:

- ✓ تنشر في المجلّة المقالات الرصينة الجادة، ذات العلاقة بقضايا اللّغة العربية ومجالاتها؛
- ✓ تُكتب المقالات باللّغة العربية، وتلحق بملخّصين أحدهما باللّغة العربية وآخرهما باللّغة الإنجليزية أو الفرنسية؛
- ✓ تخضع المقالات للمنهجية العلمية الأكاديمية، وتهمّش آليا في آخر المقالة،
- ✓ يلتزم صاحب المقالة بالتعديل في الآجال المحدّدة، في حالة إذا ما طلب منه ذلك؛
- ✓ تُكتب المقالة بخط Simplified Arabic ببنط 14 في المتن و12 في الهوامش.
- ✓ يستلم صاحب المقالة ثلاث (03) نسخ من العدد الذي نشرت فيه مقالته؛
- ✓ يشترط في حجم المقالة أن يتراوح بين 3000 و5000 كلمة؛
- ✓ يشترط في المقالة ألا تكون قد نشرت من قبل، ولا مستلّة من مذكرة أو أطروحة جامعية؛
- ✓ تُرسل المقالات إلى البريد الإلكتروني للمجلّة الموضح أدناه؛
- ✓ تُرفق المقالة بسيرة علمية موجزة؛ للمعني؛
- ✓ لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلس الأعلى للّغة العربية.

روابط الاتصال: madjaletalarabia@gmail.com
ASJP.CERIST.DZ
الهاتف:16 07 23 21 00213
الناسوخ: 17 07 23 21 00213
المراسلة: المجلس الأعلى للغة العربية، شارع فرنكلين روزفلت الجزائر،
ص.ب. 575 ديدوش مراد – الجزائر

الترقيم الدولي الموحّد للمجلاّت (ر.د.م.م):
1112.3575
الإيداع القانوني:
7 /20 02

محتويات العدد

مآزق أمام التحديث

استكمالا لحديث سابق عن رهانات التحديث في اللغة، نواصل اليوم الحديث عما يمكن تسميته بمآزق التحديث، ونختار نسقا معرفيا آخر هو نسق المعرفية الأدبية، ونود أن نسأل سؤالا مستمدا من الشكاوي العديدة التي نقرؤها في كل الكتابات الخاصة بالمشهد النقدي المعاصر وتتعلق بأزمة تحديث النقد الأدبي، وسوف نضع ما نراه من أسباب تقف وراء تحديث النقد في النقاط التالية:

1- **غياب الرؤية النقدية:** لا يبدو أن ثمة استراتيجية لممارسة النقد الأدبي العربي، فأغلب الخطابات النقدية لا تنطلق من مشروع له مرجعيته المعرفية ومنهجه وأهدافه وآليات تطبيقه. وله أسئلته من الواقع السوسيوثقافي، فالخطابات النقدية، بهذه الصورة، هي غالبا ما تشتغل وفق مناهج مختلفة وبآليات غير واضحة، ولأهداف مختلفة بل غالبا ما لا تظهر ثمة أهداف، ونادرا ما تسلم من آثار المرجعيات الاوربية. مما جعلها دراسات أدبية وتاريخية أكثر منهما خطابات نقدية. ومعظم الذين يمارسون الكتابة النقدية ينتقلون من منهج الى آخر أو يجمعون بين أكثر من منهج كأنما يقومون بتمرينات على الكتابة. الممارسة النقدية تفترض التزام الناقد برؤية واحدة ومن ثم بمنهج واحد، ويرافع من أجل قضايا أدبية متجانسة، لأن النقد قبل أن يكون قراءة لنص أدبي وتحليله هو موقف معرفي وإيديولوجي. وقبل أن يكون نظرية في الادب هو نظرية في الحياة مترجمة الى خطاب فني تتجلى

فيه وتتجسد من خلاله. إن عدد كبيرا من الممارسات البحثية تضع نفسها في دائرة النقد الادبي وهي في جوهرها جزء من الدراسة الادبية أو التأريخ الأدبي أو العرض الصحفي، والمنطق العلمي يقتضي التفريق بين هذه الممارسات لأن لكل منها "فلسفته" ومنهاجيته وغايته، فبينما يستدعي النقد الأدبي نظرية في المعرفة يقوم التأريخ الادبي على وصف البنيات في سياقاتها التاريخية والاجتماعية ويقوم العرض على التعريف كوسيط بين الكاتب والقارئ.

2ـ **غياب البحوث الموازية:** لا يتطور النقد الأدبي إلا بتطور معارف موازية له، وأهم هذه المعارف نظرية الأدب وتاريخ الأدب وفلسفة الفن. لقد هيمن تحليل النصوص الأدبية على الممارسة النقدية بفعل الدراسات البنيوية التي عجلت باستبعاد كل شيء سوى النص، وأضحى الاهتمام بنظرية الادب أو تاريخ الأب ممارسة كلاسيكية معيبة، مما ولد نقصا في فهم الأدب من منظور نظري فلسفي وفهم تحولاته الشكلية والمضمونية والجمالية. إضافة الى فقر ملحوظ (وإن كان قد بدأ ينحسر أخيرا) في الدراسات الفلسفية والجمالية واللغوية التي ترفد النقد الادبي وتدعمه، وهذان الرافدان اساسيان في نقل النقد الادبي من الفهم الذاتي البسيط الى الفهم الشامل المركب. ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن الدراسات النقدية التراثية غالبا. إن لم يكن دائما، ما تقف عند ثلاثة أعلام يمثلون منعرجات هامة في النقد الادبي، وهم: الجاحظ والجرجاني والقرطاجني وربما أضيف اليهم السكاكي. هؤلاء لم يكن لهم أن ينجزوا ما أنجزوه إلا بفعل هذه المعارف المجاورة، فالنقد لم يتطور من داخله

كما يبرز ذلك تاريخ النقد ذاته وإنما تطور بفعل دعم من معارف صاحبته وعمقت فهمه للنص ولوظيفة النقد. فهؤلاء الاعلام. أحدهم متكلم وهو الجاحظ الذي وظف عقلية المتكلمين في فهم الشعر والبيان. وثانيهم لغوي قبل ان يمارس النقد وهو عبد القاهر الجرجاني الذي استعان بعلم اللغة وقدم نظريته في الخطاب وتحليل الخطاب والاستعارة. والقرطاجني اتكأ على منطق اليونان وفلسفتهم وقدم نظرية نقدية غاية في الإحكام والدقة أصبحت تقارن بالنظريات النقدية المعاصرة. وهذا الامر كما ينطبق على تراثنا ينطبق أيضا على النقد الأوروبي المعاصر؛ فاللسانيات كانت المتكأ النظري لعدد من المناهج كالشكلانية الروسية والاسلوبية والبنيوية والسيميائية الفرنسية (المستلّة من لسانيات دوسوسير)، وسيميائيات بورس التي اعتمدت على المنطق والفلسفة (باركلي، ديكارت) و نظريات التلقي والتأويل هما نتاج الفلسفة الظاهراتية والهرمنيوطيقية، والتداولية الادبية هي نتاج التداولية الفلسفية (تداولية سيرل في أفعال الكلام) مما يعني أن النقد الادبي لم يتمّ تحديثه تاريخيا إلا بفعل تلك المعارف المجاورة. وأهمها على الاطلاق: الفلسفة والمنطق واللسانيات.

3ـ **التباس وظيفة النقد:** مع هيمنة المناهج النقدية النسقية التبست وظيفة النقد. فغابت القيمة الجمالية والانسانية من مهامه، وتحول إلى تحليل شكلي للخطابات، دخل ضمنها الخطاب السياسي والديني والتاريخي والفكري. فبعد أن تخلى النقد الأدبي عن البحث في القيم الجمالية للنص الأدبي بدعوى ارتباطها بما هو خارج النص. وجد الطريق مناسبة للبحث

في نصوص لم يكن من مهامها انتاج الجمال او التعبير عنه، فابتعد النقد مرتين عن القيم الفنية والجمالية. مرة حين أهمل البحث فيها ومرة حين انتقل الى دراسة نصوص خارج أدبية. مثل نصوص الاشهار والدعاية واحيانا حتى خارج النصوص مثل سلوك الجماهير.

4- **غياب الفهم النظري للتحديث:** تنصرف عمليات التحديث في النقد العربي إلى استيراد المناهج جاهزة من الغرب وتطبيقها على الادب العربي. وهذا فهم يضيف إلى النقد أزمة إضافية ولا يقدم حلا ولا يساهم في التحديث. ولا ادري كيف يتصور النقاد أن حل مشكلة النقد تتمثل في استيراد المنهج مع أن الاستيراد وتبعاته كان في الأصل هو المشكلة في النقد الأدبي. ان مفهم التحديث يستدعي سؤالا غائبا هو ماذا أحدث؟ وهذا يعني وجود واقع ثقافي لم يصل بعد إلى حالة الحداثة ويحتاج إلى تحديث، ونحن حين نتأمل خطاب الحداثة العربية يتبين لنا أن الأمر ليس على هذا النحو، فما يصرح به خطاب الحداثة هو أننا استوردنا المنهج كما استوردنا القضايا الأدبية التي اشتغل عليها المنهج، والرؤية التي طبق بها، والهدف الذي من أجله كان المنهج. يمكن أن نشير إلى كتاب كمال أبوديب " جماليات التجاوز" حيث يمكن وصف مضمونه ومنهجه بمابعد الحداثي.

5- **الانغماس في المشكلات الداخلية للنقد:** واعني بذلك المشكلات الناجمة عن التبعية والترجمة خاصة. فمازال النقد يحاول ترتيب بيته من الداخل في إصلاح الترجمة واقامة المصطلحات وإزالة الاضطراب المفهومي، ومنذ أن بدأ ذلك لم

ينته منه، ولن ينتهي. بل إن مشكلاته تزداد باستمرار، لان المشكل ليس في المصطلح والمفهوم والترجمة وإنما في كون النقد ذاته لم يتأسس على واقع الثقافة العربية. الترجمة أمر في غاية الأهمية لكن فعاليتها تكون بمقدار ما تنتجه الثقافة الأصلية. أما بالصورة الحالية فإننا سنظل نترجم ولكننا لا نستطيع أن ننشئ نظرية في النقد أو الأدب أو غيرهما، لأننا أولا نترجم من موقع التابع الضعيف وثانيا لأننا نحصر التحديث في مقوم جانبي.

6ـ **الاهتمام بمسائل هامشية:** على الرغم من تراكم القضايا الهامة في الادب العربي إلا النقد المعاصر، نظرا لتبعيته للغرب، انهمك في دراسة القضايا الهامشية التي تحيط بالأدب وليست جزءا أساسيا منه، مثل دراسة أغلفة الدواوين والروايات ودراسة العناوين والاهداءات والحواشي والمقدمات، وما يسمى بالعتبات النصية، ودراسة البياضات والفراغات وفضاء النص وتشكله على بياض الورقة. وازداد الأمر سوءا حين تبني بعض الخطابات النقدية بعض مفاهيم التفكيك، وخاصة مفاهيم الإرجاء. إن الإرجاء يحول النص الأدبي إلى ممارسة عدمية يغيب فيها المعنى وتقوض القيمة إلى الأبد قد تكون هذه القضايا ذات دلالة في الثقافة الغربية تعبر عن حالة حضارية تتميز بالخواء والفراغ و فقدان الثقة في الإنسان و الافكار، ولكن القارئ العربي لن يتقبل مثل هذه الممارسات التي يراها عبثية.

7ـ **الغموض وأزمة التلقي:** ما يزال القارئ العربي يشكو من الطبيعة اللغوية للخطاب النقدي المعاصر، فالنقد أصبح بالنسبة إليه متاهة محيرة لا يخرج منها بشيء ذي بال، فالاختلافات

المصطلحية والمفاهيمية وضعت الخطاب النقدي في مأزق التواصل المبتور، وأفقدت الخطاب النقدي رسالته المعرفية، وخلق حالة من الاضطراب والارتباك وسوء الفهم والتفاهم، إذ يفترض في الخطاب النقدي أن يكون خطاب توضيح ولكنه في خطاب الحداثة تحول إلى حجاب يستر المعنى ويخفيه ويؤجله.

8ـ **سلطة التراث:** يشكل التراث بسلطته الرمزية وبارتباطه بالهوية مازقا من مآزق التحديث؛ ففي بعض الخطابات النقدية المتكئة على التراث يكمن هاجس خوف غريب. خاصة حين يكون خطاب الحداثة المواجه له ثوريا وصادما وعدوانيا، ويصبح هذا المأزق أكثر خطورة حين يصبح التراث في نظر البعض خطابا مقدسا مرتبطا بما هو ديني، ويصبح الدفاع عنه حالة تصل احيانا الى حد التعبد، مما يُفقد الفكر القدرة على الادراك السليم ويمنعه من التمييز الدقيق بين مكونات التراث وحالاته وتحولاته، فيصبح بالتالي كل حديث(بدعة) وكل قديم (سنة).

9ـ **التبعية:** تأتي التبعية، اخيرا، لتحجب بشكل قاتل أية اجتهادات شخصية لتحديث أصيل للنقد الأدبي، فهي لم تترك مساحة للتأمل والتفكير والإبداع، ولتشوه مفهوم الحداثة وتجعلها تقليدا قد يكون أسوء من أنواع التقليد الأخرى. مما يعني أن الخطاب النقدي العربي يعيش حالة من الاغتراب تذيبه في الآخر وتزيل فاعليته وتحجبه عن إدراك ذاتيته

رئيس التحرير

أ.د عبد الله العشي

حوسبة النظام اللغوي العربي
-المعجم الآلي عند البروفسور عبد الرحمن الحاج صالح
-أنموذجا-

د/ راضية بن عريبة

جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف-

إنّ الثورة التكنولوجية الحاسوبية الحديثة ألقت بظلالها على اللّغاتِ الطّبيعية محدثةً الانقلاب التاريخيّ في المجالين المعرفي واللّغوي، وغدتِ الحاجةُ ماسّةً لاستجابةِ اللّغة الطّبيعية لذلك التّأثيرِ لمواكبةِ ظاهرةِ التّسْريعِ الّتي وُسِمَ بها هذا العنصر.[1]

لذلك نبتت اللّسانيات الحاسوبيّةُ العربيّةُ على غرارِ اللّسانيات الحاسوبيّةِ العامّةِ استجابةً لدواعي حضارية واستراتيجية يُنشِدها مستقبل اللّغة العربيّةِ. [2]

1/ **تعريف اللسانيات الحاسوبيّة:** اللّسانيات الحاسوبيّة (computational linguistics)، وتسمّى أيضاً علوم اللّغة الحاسوبيّة، وهي علومٌ حديثةٌ تستخدمُ الحواسيب في تحويل النّصوصِ والمعلوماتِ اللّغويّة إلى لغاتِ الحاسبِ الرّقمية لتحليلها، وترجمتها للغاتٍ أخرى[3]

تعدُّ دراسةُ اللّغة العربيّةِ باستخدامِ اللّسانيات الحاسوبيّةِ من أحدثِ الاتّجاهاتِ اللّغوية في اللّسانيات العربيّة المعاصرةِ.

2. نشأة اللسانيات الحاسوبيّة:_تمّ اختراعُ جهازِ الحاسوب - كما تذكر المصادر- في أواخرِ النّصفِ الأوّلِ من القرنِ العشرين، وتحديداً عام 1948م وأصبح منذ ذلك التّاريخ متاحاً للإفادةِ منه في جميعِ مجالاتِ الحياةِ، ومختلفِ العلومِ والمعارفِ الإنسانية، وتطوّرت تقنية هذا الجهاز عبر السّنواتِ تطوّراً مذهلاً منذ ظهورِ الجيلِ الأوّلِ من الحواسيبِ الآليّة سنة 1951م وحتّى ظهورِ الجيلِ الخامسِ منه سنة 1991م[4].فعلى المستوى الأمريكيّ يذكر الدّكتور (مايكل زار تِشناك) أستاذ علمِ الدّلالةِ ومنظّم البرمجة اللّسانية الآليّة بجامعة (جورج تاون) أنّ العمل في اللّسانيات الآلية بدأ في قسم اللّسانيات بجامعة (جورج تاون) سنة 1954م، وذلك في حقل التّرجمة الآلية من اللّغاتِ الأخرى إلى اللّغة الإنجليزية وهذا يعني أنّ بداية الخمسينيّات من القرن الماضي شهدت ولادة المعالجة الآليّة للغاتِ البشريّة[5]

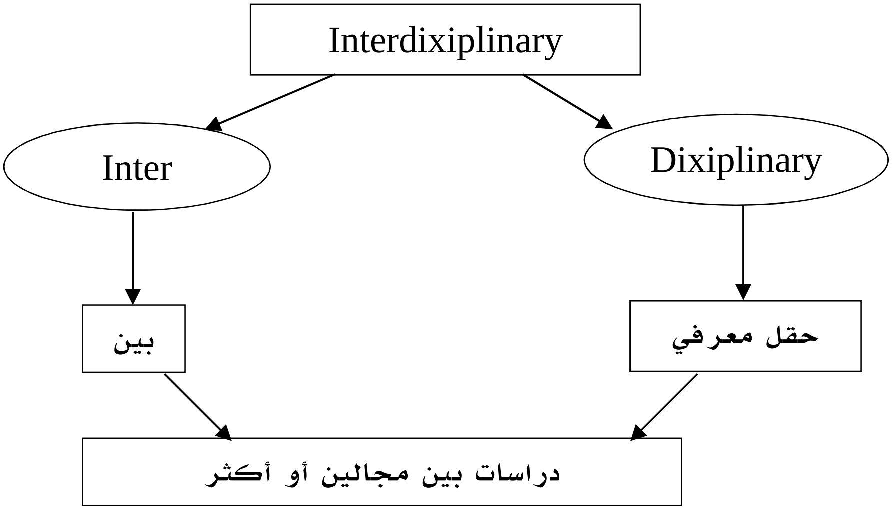
أمّا على المستوى الأوربيّ فتذكر المصادر أنّ أقدم محاولةٍ لدراسة اللّغة بواسطةِ الحاسوبِ كانت سنة 1961م، بجامعةِ قوتبرغ (Göteborg) السّويدية.

والبداية العلميّة لهذا الاتّجاهِ كانت في مركز التّحليلِ الآليِّ للّغة بمدينة قالارات (Gallarat) بإيطاليا سنة 1962م[6] أمّا قضيّة

الاتّصال العلميِّ بين الحاسوب والبحثِ اللّغويِّ العربيِّ، كما يذكر إبراهيم إنّيس، فكانت في الكويت عام 1971م، ويعدّ كتاب (اللّغة العربيّة والحاسوب للدّكتور (نبيل علي) سنة 1988م أوّل كتابٍ يتناول موضوع اللّسانيات الحاسوبية.

3-اللّسانيات الحاسوبية والدّراسات البينيّة:

الدّراسة البينيّة: لقد أدّى تواصل المعارف وتشابكها إلى إيجاد ما يعرف بالدّراسات البينيّة (Interdixiplinary) التي تتداخل فيها التخصّصات، حيث تمّ التأكيد على طبيعة العلاقات بين المعارف الإنسانية المستمرّة في تقدّمها[7] تتكوّن كلمة البينيّة Interdixiplinary من مقطعين أساسيّين مقطع (Inter) وتعني بنية وكلمة نظام(dixiplinary) وتعني مجالاً دراسياً معيّناً، كما يوضّحه الشّكل الآتي[8]:

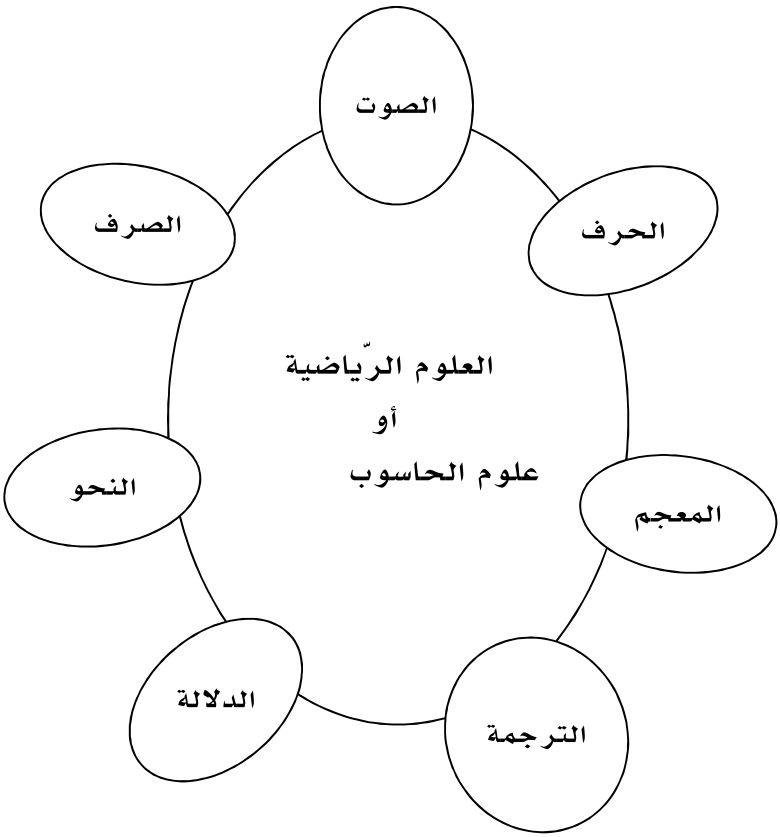


ومن هذا المنطلق فقد تمّ تعريف الدّراسات البينيّة من قبل (كْلايْن وويليم) على أنّها دراسات تعتمد على حقلين أو أكثر من حقول المعرفة الرّائدة، أو العمليّة التي يتمّ بموجبها الإجابة عن بعض الأسئلة أو حلّ بعض المشاكل أو معالجة موضوع واسع جداً يصعب التعامل معه بشكلٍ كافٍ عن طريق نظامٍ أو تخصّصٍ واحدٍ.[9]

فالنّظام فرعٌ من فروعِ المعرفة أو حقلٌ دراسيٌّ يقع ضمن أيٍّ من الثّلاث مجموعات أو التخصّصات التالية:[10]

- ✓ العلوم: الفيزياء، الكيمياء، البيولوجيا، الجيولوجيا، الزّراعة الهندسة.
- ✓ العلوم الاجتماعية: علم النّفس، القانون، علم الإنسان، الاقتصاد والعلوم السياسية، علم الاجتماع.
- ✓ العلوم الإنسانية: الفنون، الأدب، التاريخ، الفلسفة، الدّين، المسرح والموسيقى.

ويمكن إسقاط الدراسات البينيّة ضمن المعالجة الآلية للّغة العربيّة في المخطّط الآتي:



رسم توضيحي يبيّن إمكانية الدّمج بين العلوم الرّياضيّة أو علوم الحاسوب بعلوم اللّغة العربيّة

4.الهدف من الدّراسات البينيّة: تهدف الدّراسات البينيّة في مجال المعالجة الآلية للّغة العربيّة بشكلٍ عامٍ إلى:

1. دمج المعرفة اللّسانية بالحاسوب.
2. الإبداع في طرق التفكير اللّساني الحاسوبي.
3. تحقيق التكامل بين مختلف العلوم اللّغويّة والعلوم الرّياضيّة والعلوم الحاسوبية.
4. إنّتاج المعرفة الكلّية لتوحيد الرّؤى الجديدة.
5. الاطلاع على التّجارب المحلّية والإقليميّة والعالميّة الخاصّة بهذا المجال.

5ـ اللسانيات الحاسوبية والمعالجة الآلية للغة:

1/المعالجة الآلية للّغة: تهتمّ المعالجة الآلية للّغة بدراسة الجوانب الحاسوبية للّغة والمشاكل اللّسانية والحاسوبية التي تواجه هذه المعالجة سواء أكانت هذه اللّغة منطوقة أم مكتوبة. وبناء نظام معالجة اللّغة العربيّة مهمّة معقّدة وصعبة، وذلك لصعوبة إدماج المعارف الصّوتيّة والصّرفية والنّحويّة والدّلالية في هذا النّظام.

تعريف بالمعالجة الآلية:

المعالجة: هي التّطبيق الآلي على مجموعة من نصوص اللّغة، وذلك بتغييرها وتحويلها، وإبداع شيء جديد اعتماداً عليها، ويتمّ ذلك باستعمال تقنيات وأدوات من علوم اللّسانيات والإعلام

الآلي والنّمذجة (Modélisation)، ويجب التفرقة بين وصف المعارف التي هي من وظيفة اللّسانيات والتعبير عن هذه المعارف في نماذج باستخدام تقنيات واستراتيجيات فعّالة مستمدّة من علم الحاسوب، وهي وظيفة علم اللّغة الحاسوبي[11]

الآلية: العمليّات الآلية هي التي تجري عن طريق الآلة، والتي تقابلها العمليات التي تجري بواسطة الإنسان والحاسوب هو الآلة التي تستعمل في معالجة اللّغة- الذي اخترع إجراء العمليات الحسابية، ووجب تطوره لمعالجة المعلومات ذات الصّلة بالطّبيعة اللّسانية، حيث أنّ المعالجة الآلية هي تتابعه حركات حسابية تقوم بها الآلة وفق تسلسل زمني أي إنّ برنامج المعالجة الآلية (Automatique Programme) يمكن أن يكون كلّياً(Total) أو جزئياً (Contraintes) حيث أنّ: [12]

أ- كلّي: يقوم الحاسوب بكلّ شيء.

ب- جزئي: يتدخّل الإنسان في بعض المراحل.

ومعالجة شيء لساني في الآلة كثيرة في وصف النّصوص اللّغويّة نفسها لذا يجب نمذجة مكوّنات النّصوص بطريقة واضحة ومتناسقة(Cohérence)[13]

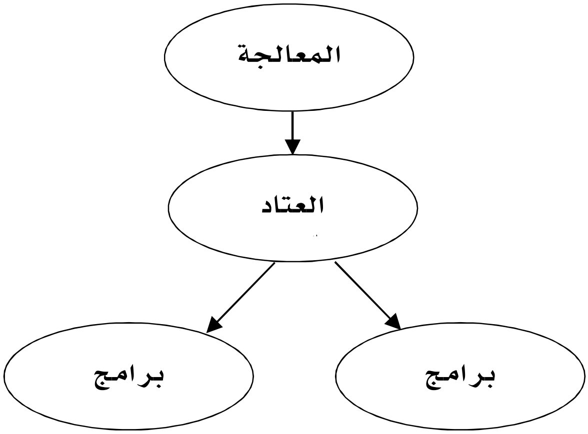
حيث يقرّ البحث اللّساني المعرفي بواقع علميّ مفاده أنّ النّماذج قد أصبحت تفرض نفسها كتقنية ومنهج. وهدف هذه التيّارات المعرفيّة بسبب طابعها العلمي والتكنولوجي [14]

2-مجالات البحث في المعالجة الآلية للغة: تنقسم مجالات البحث في المعالجة الآلية للّغة إلى ثلاثة مجالات أساسية:

الأوّل: مجال مشترك ونقصد به العتاد اللّساني.

الثاني: برامج بحثية.

الثالث: برامج تعليميّة.



العتاد اللساني:

- المعاجم الالكترونية المتكاملة (أصوات، صرف، تركيب)؛
- مولّد ومحلّل صرفيّات؛
- مولّد ومحلّل نحويّات؛
- المدقّق النّحوي والإملائي؛
- المشكّل الآلي.

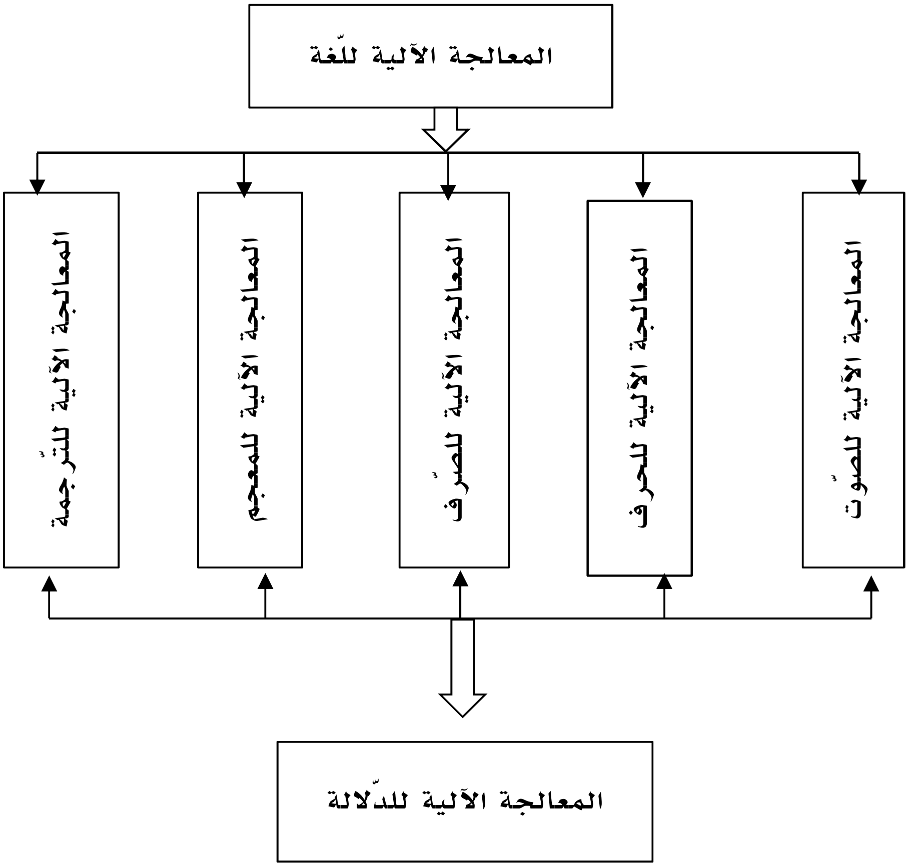
1- البحث العلمي:

- التعرّف البصري على الحروف سواء منها المطبوع أم اليدوي؛
- الترجمة الآلية والترجمة المسعفة بالحاسوب؛
- التوليف الصّوتي؛
- التوثيق الآلي؛
- الفهم الآلي للنّصوص.

2- التعليم:

- تصميم برامج تعليمية على عتاد إلكتروني؛
- تصميم برامج على الإنّترنت برامج عالمية؛
- وإذا خصّصنا أيّ برنامج تعليمي مصمّم لأيّ مرحلة من مراحل التعليم، سنجده يحصر خبرته في الجانب التربوي والجانب الحاسوبي، أمّا الخبرة اللّسانية التي تشكل عصبه المركزي فقلما تؤخذ في الحسبان، ممّا جعل منها برامج غير

قادرة على القيام بمهمّتها في عالمنا المتطوّر الّذي أصبحت فيه تقنية التّعليم تحتلّ الصّدارة في صناعة البرامج التعليميّة والبحثيّة[15] .ومن خلال هذه المحاضرات المحصورة في هذه المداخلة تنحصر المعالجة الآلية في المستويات الآتية:



المعالجة الآلية للمعجم العربي – عند البروفسور (عبد الرحمن الحاج صالح) أنموذجا

تتبوأ المعالجة الآلية للمعجم العربي مكانة متميزة في ميادين التعامل مع اللّغة العربية على وفق منظور معلوماتي، وتعدّ مدخلا أساسا وقاسما مشتركا لإدارة معظم نظمها الآلية التي تعنى بإنّشاء نظم المعلومات والمعارف.

يقصد بالمعالجة الآلية للمعجم العربي اعتماد نظم الحوسبة المتقدمة تستند إلى خوارزميات برمجية تستثمر المنطق المعجمي العربي في معالجة المفردة العربية عن طريق استخلاص العناصر الأوليّة لبنية الكلمة، ومباشرة تحديد سماتها المعجمية.

يعتمد المعجم الآلي المعجمي على معالجة مفردة واحدة حسب اختيار المستخدم، ويباشر بإظهار أهمّ الجذور المتاحة لتلك المفردة في الموسوعة قيد الدراسة، مع إتاحة الفرصة لانتقاء الجذر المناسب لعملية البحث.

ويلاحظ أنّ المعالج المعجمي الآلي متعدد الأطوار يمتاز بآلية عمل متقدمة من الناحيتين البرمجية البحتة والمعالجة المعجمية واللّغوية، الأمر الذي جعله يتبوأ مكانة بارزة في ميدان البحث الحاسوبي بالموسوعات، ونظرا لخلو الساحة العربية من المحللات المعجمية الآلية ترقى إلى مستواه

الرصين في المنطق اللّغوي والبرمجي المحكم، سنحاول دراسة آلية عمله لفهم المزيد عن هيكلته المعجمية اللغوية البرمجية.

أولا :المحلل المعجمي الآلي متعدّد الأطوار:

المعالج الصرف معجمي: يقوم هذا المعالج بتفكيك الكلمة قيد التحليل عن طريق إزالة ما يتصل بها من سوابق (كالأدوات والحروف) ولواحق (كالضمائر المتصلة، وزوائد التصريف، وعلامات الإعراب)، كذلك يعمد إلى ردّ التعديلات الفونولوجية التي تتمّ على حدود عناصر البنية الصرفية للكلمة إلى أصلها، كي تصبح صالحة لعملية المعالجة.

فعلى سبيل المثال عند هذا المعالج بعملية تفكيك الكلمة (والدين) يظهر أمامه أكثر من احتمال لعملية التفكيك الصرف معجمي، وكما يلي[16]:

* الاحتمال الأول: والد + ين ⇐ مثنى مذكر.

* الاحتمال الثإنّي: والد+ ين ⇐ جمع مذكر سالم.

* الاحتمال الثالث: و+الدين ⇐ كلمة الدين من الفعل الثلاثي دان.

*الاحتمال الرابع: و+ الدين ⇐ كلمة الدين من الفعل الثلاثي دان.

ولتفادي الضياع في متاهات تحليل المبنيات كالضمائر وحروف الجر وظرفي الزمان والمكان، ثم توفير آلية ذكية يمكن أن توظف من خلال هذا المعالج لمقارنة جذع الكلمة المعجمية المفكّكة مع قائمة من الكلم المبني باللّغة العربية .

وقد حاول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ذلك من خلال المثال المولّد للاسم (أو حده الإجرائي) في ذخيرته.

ثانيا المعالج الإشتقاقي: يباشر المعالج الاشتقاقي عمله باستخلاص الجذور والصيغة الصرفية، الجذع أو الجذوع التي قام بتفكيكها المعالج الصرف معجمي، مع افتراض عدّ وجود علامات التشكيل تبدأ عملية الاستخلاص بمقارنة سلسلة حروف الجذع مع قائمة قوالب الهياكل الصرفية التي تتضمنها قاعدة بيانات، فعند تطابق سلسلة الحروف مع أخذ الهياكل، يقوم المستخلص بتمييز حروف الجر المناظرة لحروف العلّة الواردة في الهيكل المطابق[17] .

بعد استخلاص الجذر، يقارن بمعجم الجذور المسموح بها للوصول إلى جذر واحد أو بضعة جذور لهذه الكلمة.

وبعدها يقدم المستخلص الاشتقاقي مخرجاته إلى المعالج الإعرابي على هيئة سلسلة الجذور والهياكل الصرفية المحتملة لجذور الكلمة وعلى الوجه التالي:

الجذر	الوزن	الاحتمال الصرفي
1-دين	فعل	والدين
-2		والدين
3- ولد	فاعل	والدين
-4	ولد	والدين

ثالثا: المعالج الإعرابي: تصبح الحالة الإعرابية للكلمة هدفا لهذا النظام، حيث يعمد إلى تمييزها بناء على الوسم الإعرابي الذي تتضمنه ممثلا في الإعراب بالحروف أو علامات حركات التشكيل الظاهرة، أو الحذف أحيانا[18]

رابعا: معالج التشكيل: يعمد معالج التشكيل إلى إعادة تركيب عناصر الكلمة لغرض مقارنتها بالكلمة المدخلة إلى ساحة المعالجة الآلية، وذلك للتأكد من التحليل الصرف المعجمي لبنيتها ويتم ذلك عن طريق إعادة تركيب ج\ع الكلمة، عبر صهر الجذر مع جميع الصيغ الصرفية المناظرة للهيكل الصرفي الذي حدده المستخلص والتي يسمح المعجم اللغوي بانطباقها عليها 19 فعلى سبيل المثال وفي حالة الهيكل الصرفي (مفعل) يقوم معالج التشكيل باسترجاع الصيغ الصرفية المناظرة له من ملف الصيغ الصرفية وهي: مفعل، منفعل ... بعد ذلك يقوم بالتأكد من صحة انطباق الصيغة الصرفية المحتملة على جذع الكلمة قيد الدراسة، ليقوم بعد ذلك بصهر الجذر مع كلّ صيغة صرفية منطبقة عليهن ثم ينفذ جميع

عمليات الإبدال والإعلال الواجبة تحت توجيه سلسلة قواعد الصرف الصوتية التي يتعامل معها، بعدها يدمج عناصر الكلمة الأخرى (السوابق واللواحق). مع جذع الكلمة الذي أعاد تركيبه.

وتستمر فعالية المعالج التشكيلي تركيب الكلمة المعجمية تامّة التشكيل لحين المطابقة التامة.

3- سبل تطوير أداء المحلل المعجمي في ضوء الذخيرة اللغوية:

يبدو جليا أنّ المحلل المعجمي الآلي متعدد الأطوار ذو فائدة كبيرة في ميدان البحث عن النصوص في الموسوعات العربية (على مستوى الكلمة مجموعة كلمات، أو جذر الكلمة) ويتصف بكفاءة جيدة وسرعة كبيرة، كذلك فإنّ التعديلات التي أجرتها العالمية على إصداراتها الجديدة قد غطت كثيرا من الجوانب التي كانت تشكل ثغرات ملحوظة في أداء المحلل المعجمي في الإصدار الأوّل.

بيد أنّ هذا الأمر لا يعني اكتمال دورة العمل المعجمي البرمجي في هذا المجال، بل يجب أن يشمل على جملة من الإضافات الجديدة إلى الخوارزميات لتطوير النموذج المعجمي الآلي ومن أهمّها:[20] ضرورة توفير بيانات معجمية تربط بين جذر الكلمة والصيغ الصرفية المنطبقة عليه من جانب وبين الكلمات المشتقة ومعانيها الصرفية معجمية من جانب آخر.

1- اعتماد مبدأ الإحصاء المعجمي لسلاسل الرموز اللغوية لترشيد حالات اللبس الزائفة وشبه الزائفة عن طريق توفير عدد معقول من الإحصائيات الصرفية لمعدلات استخدام الجذور والصيغ الصرفية والحالات التصريفية والإعرابية.

2- الاهتمام بزيادة كفاءة أداء المعالج المعجمي الآلي بحيث يمتلك القدرة على التعامل مع النصّ الخالي من التشكيل، لتجاوز عقبة الحاجة للنصّوص التامّة التشكيل، وجزئية التشكيل، واللّتان سوف تنصهران في ظاهرة غياب تشكيل المفردة العربية.

3- توظيف مدقّق إملائي لتمييز الأخطاء الإملائية للكلمة المدخلة إلى المعالج الآلي تلقائيا، في قطاعي الكلمة المشكلة وغير المشكلة للتقليل من حجم الضياعات بالتفتيش عن الكلمات.

4- استخدام آليات جديدة لتحسين أداء المعالج المعجمي الآلي في استرجاع المعلومات العربية – وذلك ما تسعى إليه الذخيرة اللّغوية – وتجاوز عقبة الاختيار اليدوي للمستخدم من قائمة احتمالات الكلمات والجذور.

خاتمة:

من خلال ما تمّ ذكره ولو بشكل مبسط، يمكن التوصل إلى النتائج التالية:

1-إنّ التحليل العربي إلى الكلمة المعجمية إلى مادة أصلية وصيغ يساعد المهندسين اللّسانين في وضع برمجيات لعلاج المفردات في الحاسوب وذلك بحصر كل الصيغ بمدلولاتها من الاستعمال الحقيقي للغة.

2-إنّ عملية الزيادة في المثال المولد للاسم عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح تساعد على التحويل (تحويل الأصل) وتحديد المواضيع والمواقع الخاصّة أثناء المعالجة الآلية.

3-من خلال المحلّل المعجمي الآلي يمكن لنا دراسة النصوص آليا.

4-إمكانية فهرسته بكيفية آلية لكلّ الألفاظ المعجمية وذلك لوضع معجم إلكتروني شامل للّغة العربية.

5-الاعتماد على البنك المعجمي الآلي في البحث عن التطور المعجمي للألفاظ العربية، ومن ثمّ إمكانية وضع معجم تاريخي آلي دقيق للّغة العربية وذلك ما يسعى إليه مشروع الذخيرة اللغوية العربية.

6-استثمار مفاهيم الدكتور (عبد الرحمن الحاج صالح) في ظلّ أعمال الذخيرة اللّغوية وتطبيقها على أرض الواقع وذلك لخدمة اللّغة العربية.

الهوامش:

---

[1]- ينظر: فعاليّة اللّسانيات الحاسوبيّة العربيّة، عمود ديدوح، مجلّة ألأثر، الآداب واللّغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 08، 2009، ص: 90.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 91.

[3]- ينظر: اللّغة العربيّة والحاسوب، نبيل علي، مؤسّسة تعريب، الكويت، 1988م، ص: 01.

[4]- ينظر: توظيف اللّسانيات الحاسوبية في خدمة الدّراساتِ اللّغوي العربيّة (جهود ونتائج)، عبد الرحمن بن حسن العارف، جامعة أمّ القرى، مكّة، ص: 01.

[5]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 02.

[6]- ينظر: توظيف اللّسانيات الحاسوبيّة في خدمة الدّراسات اللّغويّة العربيّة (جهود ونتائج(، عبد الرحمن بن حسن العارف، ص: 03.

[7]- ينظر: برامج الدّراسات البينيّة واحتياجات السّوق، مركز البحوث والدّراسات الغرفة الصّناعية التجارية، الإدارة العامّة للبحوث والمعلومات، الرياض، د ط، 1432هـ، ص: 07.

[8]- ينظر: مقال: الدّراسات البينيّة، رؤية لتطوير التعليم الجامعي، إعداد أ. د عمار بن عبد المنعم أمين، عميد كلّية علوم الأرض، جامعة الملك بن عبد العزيز، ص: 02.

[9]- ينظر: الدراسات البينيّة، عمّار بن عبد المنعم أمين، ص: 02.

[10]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 02.

[11]-ينظر: المعالجة الآلية للّغة العربيّة، إنّشاء نموذج لساني صرفي إعرابي للفعل العربي، فارس شاشة، مذكرة ماجستير في علم المكتبات والتوثيق، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجزائر، 2008، ص: 13.

[12]- ينظر: المعالجة الآلية للّغة العربيّة، فارس شاشة، ص: 13.

[13]- ينظر: المعالجة الآلية للّغة، مسارات تحليل الجمل العربيّة باعتماد نماذج شبكات الانتقال، بن عيسى زغبوش، مصطفى بوعنّاني، مجلّة كلّية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس، المغرب، العدد 14، 2006، ص: 80.

[14]- ينظر: المرجع نفسه والصّفحة. 3

[15]- ينظر: اللّغة العربيّة والحاسوب، محمّد الحنّاش، ص: 24.

[16]-ينظر: اللّسانيات-المجال والوظيفة و المنهج –سمير شريف اسيتية-الأردن- عمان-عالم الكتب الحديث ،ط1،2005،ص548.

[17]- ينظر : المرجع نفسه والصفحة.

[18]- ينظر: سبل تطوير محلل الصرف الآلي – حسن مظفر الرزو – ص 12

[19]- ينظر: سبل تطوير محلل الصرف الآلي- حسن مظفر الرزو- ص: 12

[20]- ينظر المرجع نفسه- ص 10

من قضايا اللفظ في اللغة العربية

أ. آسيا قرين

ج. الجزائر-2-

سنتناول في هذا المقال تعريف اللّفظ لغة واصطلاحا وتحليل بنية اللّفظ العربي انطلاقا من مادته الأصلية (الصوت)، فندرس مستواه الصوتي من خلال التطرق إلى مخارج الحروف العربية وصفاتها، التقارب الصوتي في اللّفظ، الانسجام الصوتي وما يلحقه من استحسان ومن اقتصاد لجهد المتكلّم. كما سنفصل في ظاهرة التنافر اللّفظي وما يلحقها من استهجان ومن زيادة جهد المخاطب. سنحدّد أيضا معنى الإعراب باعتباره ظاهرة صوتية ونعرف المقطع الصوتي بأنواعه ثم ننتقل إلى عماد اللّفظ، وهو المستوى الصرفي، فنميز بين الوزن والصيغة ثمّ ننتقل إلى طرق توليد اللّفظ العربي من خلال التطرق إلى الاشتقاق، النحت، الاقتراض.

1-تعريف اللفظ (لغة واصطلاحا)

1-1-اللّفظ في اللّغة: يعني الطرح والرمي والنبذ مطلقا، سواء أكان الطرح من الفمّ أم من غيره. فاللّفظ كما جاء في لسان العرب: أَن ترمي بشيء كان في فِيكَ والفعل لَفَظ الشيءَ.

يقال: لفَظْتُ الشيء من فمي أَلفِظُه لَفْظاً رميته، وذلك الشيء لُفاظةٌ، قال امرؤ القيس يصف حماراً:

يُوارِدُ مَجْهُولاتِ كلّ خَمِيلةٍ يَمُجُّ لُفاظَ البقْلِ في كلّ مَشْرَب[1].

قال ابن فارس: «اللاّم والفاء والظاء كلمة صحيحة تدلّ على طرح الشيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم، تقول: لفظ بالكلام يلفظ لفظا، ولفظت الشيء من فمي،[2] كما عرفه الرمانيفي قوله: «اللّفظ كلام يخرج من الفم» [3]، ويريد بذلك الكلام بمعناه اللّغوي لا الاصطلاحي. استعمل بعد ذلك " بمعنى الملفوظ به... كما استعمل القول بمعنى المقول، وهذا كما يقال: الدينار ضرب الأمير، أي: مضروبه"، ولا بدّ من ملاحظة أنّ استعماله بهذا المعنى خاصّ، فاللّفظ بهذا المعنى " يطلق على كلّ حرف، من حروف المعجم أو من حروف المعاني، وعلى أكثر منه، مفيدا كان أولا[4]. وجاء في القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق: ١٨ أي «يَلْفِظ» أَيِا بْنُ آدَمَ مِنْ قَوْل أَيْ مَا يَتَكلّم بِكلّمَةٍ (إلاّ لديه رقيب عتيد)، أي إلاّ ولها من يرقبها بعد لذلك يكتبها لا يترك كلّمة ولا حركة»[5]. وفي الحديث النبوي: «ويبقى كلّ أرض شرار أهلها تلفظهم أرضهم» أي تقذفهم وترميهم[6].

1-1-1-اللّفظ اصطلاحا: استعمل النحاة (اللّفظ) اصطلاحا، بمعناه اللّغوي الأخير، أي بمعنى اسم المفعول (الملفوظ)، وأرادوا به خصوص ما كان أصواتا يلفظها الفم[7].

ويبدو أن هذا الإشكال غير وارد، إذ ليس هناك اثنينية بين الصوت وبين الحرف أو الحروف، لكي يكون الصوت وعاء للحرف، بل هما في الواقع شيء واحد، ومعنى اشتمال الصوت على بعض الحروف هو تكوّنه منها، ولا شكّ في أنّ بعض الحروف يصدق على الحرف الواحد، كصدقه على ما زاد عليه. فاللّفظ قد يكون حرفا واحداً أو عدّة أحرف (سواء المتواضع عليه أم المهمل).

2-البنية الصوتية للفظ: اللّغة ظاهرة صوتية تختلف اختلافاً كلّياً عن سائر الرموز الأخرى غير اللّغوية، ومن ثمّ فإن دراستها دراسة علمية تستوجب البدء بالأصوات بوصفها وحدات مميزة تنتج عنها آلاف الكلّمات ذات الدلالات المختلفة. وتجدر الإشارة إلى أنّ ما نود الحديث عنه في هذا السياق هو القيمة الدلالية للصوت أي الفونيم، على أساس أنّ الفونيمات تلعب دوراً فعالاً في تحديد دلالات الألفاظ. إن الاعتماد على النطق غاية في الأهمية، وعليه فإن الدراسات اللسانية الحديثة أولته أهميّة منظمة، كذلك نظام المقاطع، أصبح من القضايا التي توليها الدراسات البنيوية وعلم اللّغة أهمية بالغة.

إن اللّغة العربية لها تسعة وعشرون حرفا [8] اتفق على تسميتها بفونيمات اللّغة العربية، يضاف إليها رموز الحركات (أصوات العلة القصيرة)، فهي إذاً تتألف من صوامت وحركات، أما أصواتها المستعملة فأكثر بكثير، وهذا حال أغلب اللّغات الحية.

أمّا النبر فهو الضغط على مقطع خاصّ من كلّ كلمة، لجعله بارزا أوضح في السمع ممّا عداه من مقاطع الكلمة وقد اختلفت آراء العلماء حول وجود النبر في العربية الفصحى. تجدر الإشارة إلى أن قول جني: «اللّغة أصوات»يعبر بها كل ّقوم عن أغراضه»[9]. لا يعني أن للحروف حياة مستقلة على الرغم من أهميتها البالغة في تركيب الوحدة الحية المستقلة التي هي اللّفظة.

فباختلاف ائتلاف الحروف تختلف الألفاظ لهذا سنبدأ كلامنا في هذا المقال بالحروف مفردة قبل أن تتركب المقاطع.

-1.2-مخارج الحروف العربية: للحروف العربية ستة عشر مخرجا كما جاء في كتاب سيبويه وهي:

- **الحلق:** منها ثلاثة فأقصاها مخرجا : الهمزة والهاء والألف، ومن أوسط الحلق مخرجا العين والحاء، وأدناها مخرجا من الفم الغين والخاء.
- **أقصى اللسان:** وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف.
- أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.

•وسط اللسان بينه وبين الحنك الأعلى مخرجا الجيم والشين والياء.

•ومن بين أو لحافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد.

•ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الثنايا مخرج النون.

•ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء.

•وممّا بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء، والدال والتاء.

•وممّا بين طرف اللسان وفوق الثنايا مخرجا الزاي، والسين والصاد.

•وممّا بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال، والثاء.

•ومن باطن الشّفة السّفلى وأطراف الثنايا العُلى مخرج الفاء.

•وممّا بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو.

• ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة[10].

2-1-1- صفات الحروف: الحروف المجهورة هي: (ء، أ، ع، غ، ق، ج، ي، ض، ل، ن، ر، ط، د، ز، ظ، ذ، ب، م، و) فذلك تسعة عشر حرفاً، وأمّا المهموسة (ه، ح، خ، ك، ش، س، ث، ص، ت، ف)

فذلك عشرة أحرف، وأمّا الشـديدة فهـي (ه، ق، ك، ج، ط، ت، د، ب) والرخـوة هـي (ه، ح، غ، خ، ش، ص، ظ، ز، س، ظ، ث، ذ، ف) والحرف المنحرف (ل) والحرف الشديد «صـوت الغنـة (ن، م) المكرر (ر)، أمّا الحروف اللينة فهي (و،ي) وحرف الهوى هو(أ) والحروف المطبقة هـي (ص، ض، ط، ظ) أمّـا المتفتحـة فكـلّ ما سوى ذلك من الحروف[11].

2-2-التقارب الصوتي في اللفظ Dissimilation/Assimilation[12]:

اهـتمّ علمـاء العربيـة منـذ القـدم بهـذه الظـاهرة الصـوتية ومنحوها اهتماما كبيرا وعبـروا عنهـا بمصـطلحات مختلفـة: فسيبويه عبّر عنها بالمضارعة[13] وابن جني عبّر عنهـا بمصـطلح الإدغام الأصغر[14] وابن فارس بالمحاذاة[15] وهذه الظاهرة مـا هـي إلاّ جزء من دعائم «النظرية الحراكية العربية»[16].

- **التقارب الصـوتي عنـد سـيبويه:** عـالج سـيبويه التقـارب الصوتي في باب الحرف الذي يضـارع بـه حـرفٌ مـن موضـعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه، فقال: «فأما الذي يضارع به الحرف من مخرجه، فالصاد السـاكنة إذا كانت بعدها الدال وذلك نحو: تصدر، وأصدر، والتصدير لأنّهما قد صارتا في كلمة واحدة، كما صـارت مـع التـاء فـي كلمـة واحدة في افتعل، فلم تدغم الصاد في التاء ولم تدغم الدال فيها، ولم تبدل لأنّها ليست بمنزلة اصطبر، وهـي مـن نفـس الحـرف

فلما كانتا من نفس الحرف، أجريتا مجرى المضاعف الذي هو من نفس الحرف من باب مددت، فجعلوا الأول تابعا للآخر فضارعوا به أشبه الحروف من موضعه وهي الزاي لأنّها مجهورة غير مطبقةولم يبدلوها زايا خالصة كراهية الإجحاف بها للإطباق»[17].وقال أيضا: «وسمعنا العرب الفصحاء يجعلونها زايا خالصة كما جعلوا ذاهبا في الإدغام، وذلك قولك في التصدير: التزدير، في الفصد: الفزد، وفي أصدرت:ازدرت، وإنّما دعاهم أن يقربوها ويبدلوها أن يكون عملهم من وجه واحد، وليستعملوا ألسنتهم في ضرب واحد[18]. ويتضح من هذين النصّين أنّ سيبويه استعمل مصطلح المضارعة والتقريب مصطلحين للتعبير عن هذه الظاهرة الصوتية هما المضارعة والتقريب.

- **التقارب الصوتي عند ابن جني:** أمّا ابن جني فقد عالج هذه الظاهرة تحت ما يسمى بالإدغام الأصغر، وهو عنده « تقريب الحرف من الحرف، وإدناؤه من غير إدغام يكون هناك، وهو ضروب»[19]، وذكر أمثلة توضح هذا فقال: «فمن ذلك الإمالة، وإنّما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت وذلك نحو: عالم، وكتاب، وسعى، وقضى، واستقصى، ألا تراك قربت فتحة العين من عالم إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت الألف نحو الياء...، ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صادا، أو ضادا، أوطاء، أو ظاء فتقلب لها تاؤه طاء وذلك نحو:

اصطبر، واضطرب، واطرد، واظطلم فهذا تقريب من غير إدغام»[20]،ومن ذلك السين قبل الحرف المستعلى فتقرب منه بقلبها صادا على ما هو مبين في موضعه من باب الإدغام، وذلك قولهم: في سقت: صقت، وفي السوق، الصوق، وفي سبقت: صبقت، وفي سملق وسوبق: صملق وصوبق...، ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق نحو: شعير، وبعير، ورغيف. ومنه تقريب الحرف من الحرف نحو قولهم مصدر ومزدر...»[21]. ويتبيّن ممّا ذكره ابن جني في الأمثلة السابقة أن التقارب الصوتي يَعني تقريب صوت من صوت آخر طلبا للتوافق الصوتي في الكلام (إدغام عفوي صغير لا يحلّ محلّ الإدغام الأكبر).

- **التقارب الصوتي عند الرضي الأستراباذي:** أطلق الرضي الأستراباذي على التقارب الصوتي اسم المناسبة [22]، ويعني بها تحقيق الانسجام والتقارب الصوتي (الإمالة: أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة، وسببها قصدُ المناسبة لكسرة أو ياء...نحو عِمَادٍ وشَملاَلٍ)[23].

- **التقارب الصوتي عند ابن فارس:** يرى ابن فارس أن التقارب الصوتي هو المحاذاة؛ أي «أن يُجعل كلام بحذاء كلام فيؤتي به على وزنه لفظاً وكانا مختلفين فيقولون: «الغدايا والعشايا وقولهم: أعوذ بك من السّامّة واللامّة...اللامّة أصلها ألمّت لكن لما قرنت بالسّامّة جعلت على وزنها»[24].

2-3-درجات التقارب الصوتي في اللفظة:

• **الجهر والهمس:** إنّ حروف العربية تختلف جهراً وهمساً وشدة ورخاوة (أشرنا إليها في صفات الحروف)، فالتقاؤها سواء داخل اللّفظة الواحدة أم في مدرج الكلام يستدعى في بعض الحالات نوعا من المشابهة بينها من حيث صفاتها، وقد بين النحاة القدامى مظاهر هذه الدرجة من التقارب الصوتي وقد أشار ابن جني إليها في قوله «تقع تاء (افتعل) زايا أو دالا أو ذالا فتقلب تاؤه دالا كقولهم ازدان[25] ؛ أي: زان التي تصبح: ازتان لتصبح: ازدان وقد عالج ابن عصفور (ت 669هـ) هذه الصيغة فقال إنّ: «السبب في ذلك أنّ الزاي مجهورة والتاء مهموسة، والتاء شديدة والزاي رخوة، فتباعد ما بين الزاي والتاء فقربوا أحد الحرفين من الآخر ليقرب النطق بهما، فأبدلوا الدال من التاء لأنّها أخت التاء في المخرج والشدة، وأخت الزاي في الجهر»[26].

• **الشدة والرخاوة:** وَضّحَ علماء العربية القدماء هذه الدرجة من التقارب في معالجتهم لفظة (ست) التي أصلها(سدس)، فلما قربت السين في (سدس) إلى التاء صارت (سدت)، ثم فني صوت السين الرخو عند مجاورة الدال وهو صوت شديد وقلب إلى نظيره الشديد وهو التاء. قال ابن جني في معالجتها: «ومن ذلك قولهم: ست أصلها سدس، فقربوا السين من الدال بأن قلبوها تاء فصارت سدت فهذا تقريب إدغام، ثم إنهم في ما بعد

أبدلوا الدال تاء لقربها منها، إرادة للإدغام فقالوا: ست[27]. في هذا النوع من التقارب يتأثر الصوت الأول بالثاني.

الإطباق والانفتاح: ومن معالجات العرب في هذا المجال: الأفعال المبدوءة بأحد أصوات الإطباق المنقولة إلى صيغة (افتعل) وتتحول التاء فيها وهو صوت منفتح إلى نظيره الطاء (المطبق) تحت تأثير مجاورته لأحد الأصوات المطبقة، نحو: صبر، وضرب، واطّرد، وظلم التي تتحول إلى: اصتبر، واضترب، واطترد، واظتلم ثم تصبح بالتقارب الصوتي: «اصطبر، واضطرب، واطّرد، واظطلم»[28] في هذا النوع من التقارب يتأثر الصوت الثاني بالأوّل. هذا بالإضافة إلى ظواهر أخرى تخصّ اللّفظة تجعلها خفيفة على اللسان نذكر منها:

- **الانسجام الصوتي:** وهو نوع من التوافق الصوتي كما يقول إبراهيم أنيس: «ظاهرة من ظواهر التطور في حركات الكلّمات، فالكلمة المشتملة على حركات متباينة تميل في تطورها إلى التوافق والانسجام بين هذه الحركات لئلا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح»[29]. يظهر هذا الانسجام بين الحركات (الصوائت القصيرة) من خلال:
- **الإتباع الحركي:** وهو «ظاهرة صوتية تحدث نتيجة تأثير صوت في صوت آخر يجاوره في مستوى الحركة فيتماثلان في النطق، وتحدث بين الحركات (الصوائت القصار) المتباينة في كلّمة واحدة غالبا أو كلّمتين، فيتأثر أحدهما بالآخر فيؤدي

ذلك إلى حدوث انسجام صوتي بين الأصوات القصيرة»[30]. وسمّى سيبويه هذه الظاهرة (الإتباع) «في باب ما تكسر فيه الهاء التي هي علامة الإعراب فالهاء تكسر إذا كان ما قبلها ياءٌ أو كسرة وذلك قولك مررت بِهِى قبل» وسماها الزجاجي(ت 311ه)»المطابقة»[31]، وقال الرماني عنها في شرحه لكتاب سيبويه: «لا يتكلّم بحرف واحد حتى يوصل بغيره فالوصل هو الأصل في الكلام»[32] وسماها د. الحاج صالح: «الدينامية اللّفظية»[33].

- **الإدغام:** يرى إبراهيم أنيس أنْ تأثير الأصوات المتجاورة على بعضها يكون مختلفا (جزئي/كلّي)، قال: «تؤثر الأصوات اللّغوية المتجاورة بعضها ببعض، لكن نسبة التأثر تختلف من صوت إلى آخر، فقد يكون التأثر جزئيا كأن يفقد الصوت صفة من صفاته، فينتقل من الجهر إلى الهمس أو العكس، وقد يكون التأثر كلّيا يترتب عليه فناء الصوت في الصوت المجاور فناء تاما، وهذا ما اصطلح عليه القدماء بالإدغام»[34].فالإدغام في اصطلاح القدماء «يعني أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف لشدة اتصالهما كحرف واحد»[35].وأنواعه ثلاثة: إدغام المتقاربين: أي أن يقارب الصوتان المدغمان مخرجا أو صفة (مثل: (ف، ب) «نخسف بهم» (سورة سبأ/9) إدغام المتجانسين: الاتفاق في المخرج والاختلاف في الصفة مثل(ط، ت) وإدغام

المتماثلين: صوتان متفقان مخرجا وصفة[36]، مثل(ت، ت) في كلمة (تتبع).

• **الإمالة الصوتية**: هي ظاهرة صوتية ولهجية، اشتهرت بها طائفة من القبائل العربية، وظهرت جلية في القراءات القرآنية، ولهذا حظيت بعناية علماء العربية على مر الأزمان، وهي في حقيقتها ليست إلاّ صورة من صور نطق الألف، أو صورة من صور نطق الفتحة، وسماها الخليل الإجناح في ما رواه سيبويه[37].

الإمالة على ضربين: إمالة طويلة، وإمالة قصيرة.

الإمالة بسبب وجود الكسرة في سياق الكلمة، كإمالة: عابد، وعماد، ومساجد. وأحيانا من أجل تحقيق الانسجام أمالوا ما أصلُه ألّا يُمال، وذلك كأن تكون الألف في كلّمة لا تستحق الإمالة، لكنهم أمالوها لوقوعها قرب ألف أخرى ممالة، من ذلك قوله تعالى: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ٣ ﴾ الضحى: 1 - 3 فألف (الضحى) لا تجوز إمالتها، لأنّ أصلها الواو، لقولهم: الضحوة. وإنّما أمالوها حين قرنت بـ (سجى) و(قلى) فكلتاهما ممّا تمال ألفهما،لأنّ الألف فيهما أصلها الياء: (فأرادوا المشاكلّة، والمشاكلّة بين الألفاظ من مطلوبهم)[38].

• **المجاورة الصوتية**: المجاورة مصطلح أطلقه علماء العربية القدماء على إعطاء الشيء حكم الشيء إذا جاوره[39] . قال ابن

جني: «إذا جاور الشيء الشيء دخل في كثير من أحكامه»[40]. وأطلق عليها سيبويه الإتباع بالمجاورة وذلك نحو قوله «حملهم قرب الجوار على أن جرّ: هذا جحرُ ضبٍ خربٍ»[41]، ونحو قولهم: «حسبُك هذا، وبِحسبِك هذا، فلم تغير الباء معنى. وجرى مجراه قبل أن تدخل الباءُ، لأنّ بحسبِك في موضع ابتداءٍ»[42]

- ومن هنا يتبين أن المجاورة هي أخذ اللّفظ حكم اللّفظ الذي قبله من الجانب الصوتي. والمجاورة عند علماء العربية القدماء على نوعين: أحدهما تجاور الألفاظ. والآخر تجاور الأحوال من أمثلة ذلك: « قولهم: قنية وصبية، والأصل: قنوة من قنوْتُ، وصبية صبيان من صبوْتُ؛ وقياسه قنوة وصبوةٌ لكن لما جاورت الواو الكسرة قبلها فصارت الكسرة كأنها قبل الواو ولم يعتد الساكن حاجزا لضعفه»[43]. فعلماء العربية لم يعدوا الصوت الساكن الذي يفصل بين فاء الكلمة ولامها حاجزا قويا، لذلك تأثرت اللام بحركة الفاء (الكسرة) فانقلبت الواو إلى ياء لتجانس حركة الفاء المكسورة. ومن مجاورة الألفاظ، مجاورة العين للاّم بحملها على حكمها، نحو قولهم: «صيّم في صوّم، وجيّع في جوّع. فالأصل: صوم وجوع، فقلبت الواو ياء لمجاورتها اللاّم تشبيها بعصى»[44].

2-4- التنافر اللفظي: قد تكتسب اللّفظة قيمة جمالية من خلال تلاؤم حروفها وهو أحد شروط البلاغة، كما قد تكون

حروفها متنافرة أيضا (خاصّة المهمل منها) فتكون ثقيلة النطق ويتبع هذا الثقل جهد عضلي لآلة النطق وجارحة الكلام (اللسان). والجاحظ هو أول من تنبه لهذه الظاهرة اللّغوية وقسم التنافر وحدد شدته، من خلال قوله «ومن ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، فمن ذلك قول الشاعر:

وقبرُ حربٍ بمكان قفر   وليس قربَ قبْرِ حربٍ قبرُ»[45]

والتنافر عند البلاغيين قسمان: التنافر في اللّفظ المفرد والتنافر في الكلام المؤلف، ما يعنينا في بحثنا هو النوع الأول ويقسم إلى:

أ- **تنافر شديد:** وهو ناتج عن الثقل الشديد الذي يظهر عند تأليف الكلمة من حروف تعسر في النطق بسبب المخرج أو الضبط. ويمثل البلاغيون لهذا القسم بكلّمة (الهُعْخُع) التي وردت في قول أحد الأعراب لما سئل عن ناقته فقال: تركتها ترعى الهعخع. وقد جعل ابن سنان هذه اللّفظة دليلاً على المهمل الذي يصعب النطق به لتقارب حروفه، فلا يكاد على حد قوله يجيء في كلام العرب ثلاثة أحرف من جنس واحد في كلمة واحدة على ألسنتهم لثقله. وينكر ابن سنان الكلمة بهذا التأليف ويعدل إلى تأليف آخر هو(الخُعْخُع)، وهوالأقرب، في نظره إلى تأليف العرب، لأنّ تأليفه من حرفين فقط، وحروف الحلق خاصّة ممّا قلّ في تأليفهم من غير فصل يقع بينها[46].

ب -**تنافر خفيف:** وهو أقل وطأة من سابقه، إذ يشعر السامع في هذا النوع بشيء من الثقل الصوتي في نطق الكلمة يتبعه ثقل سمعي لدى المتلقي. أي إنّه يجتمع في هذا القسم نوعان من الثقل: أوّلهما: ثقل نطقي يعانيه الناطق ويشعر به السامع. وثانيهما: ثقل سمعي يعانيه السامع وحده. وقد مثل البلاغيون لهذا النوع بكلّمة (مستشزرات) في قول امرئ القيس:

غدائرهُ مستشزراتٌ إلى العلا تَضِلّ المَدَارَى في مثنى ومرسلِ

إذ ردوا الثقل فيها إلى توسط (الشين) بين التاء والزاي[47].

2-5- بين اللفظ والمقصود: من الأهميّة بمكان أن نتساءل إن كانت هناك علاقة بين الاسم والمسمى، وفي هذا المضمار يذهب «هرقليطس» إلى أن بين اللّفظ ومدلوله مناسبة طبيعية ضرورية أي أنّ كلّ الأشياء المادية ترسم جوهرها بحروفها.

وقد تبنى أفلاطون نفس الرأي فهو يقول «يوجد بالطبيعة اسم صحيح لكلّ كائن في الحياة. إذ الكلمة ليست تسمية يطلقها البعض على الشيء بعد التواطؤ...ولكن ثمة بالطبيعة... طريقة صحيحة للتدليل على الأشياء هي ذاتها لجميع الناس[48]. كما يحدثنا السيوطي عن أهل أصول الفقه "أنهم نقلوا عن عباد بن سليمان الصيمرى من المعتزلة أنّه ذهب إلى أن بين اللّفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع»[49].

وأول من أشار إلى هذه المناسبة بين الألفاظ ومدلولتها من علماء العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي ثم تلميذه سيبويه يقول ابن جني «اعلم أنّ هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل وسيبويه وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته قال الخليل كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومداً فقالوا صرّ، توهموا في صوت البازي تقطيع فقالو: صر صر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو النقزان، والغليان والغثيان فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال "[50].

وكانت نتيجة الدراسة الاستقرائية التي قام بها هؤلاء النحاة وعلى رأسهم الخليل وسيبويه وابن جني أنهم كشفوا ظواهر غريبة في اللّغة فتوصلوا إلى أن المفردات التي تبتدِئ بنفس الحرف (الصوت) تنتمي إلى نفس المجموعة (نفس الصفات أو الأفعال أو التعبير عن المشاعر...) مثلا صوت الغين إذا جاء في أول الثلاثي دّل على الغموض والاستتار (غاب، غرب، غرق، غاص، غمض، غمس، غرق، غشي...)، وصوت الفاء يدل على الفتح والفصل والسعادة (فتح، فرح، فجر، فلة، فلق، فرق، فتنة، فرّج...) وصوت التاء يدل على الشتم (تباً، ثكلّتك أمك...)، وصوت الحاء يدلّ على المشاعر (حب، حنين، حزن، حسرة...).والحق إن ابن جني تحمس لظاهرة العلاقة بين الألفاظ والمعاني تحمساً كبيراً في كتابه الخصائص مثلما

يظهر خاصّة من الباب الذي أسماه «تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني»[51].

3-الإعراب: يعتمد نظام اللّغة العربية على الإعراب فإنْ تخلت عنه تكون قد خرجت عن نظامها وأصبحت لغة أخرى غير العربية.

أ-الإعراب لغة: جاء في لسان العرب: «يقال عَرّبتُ عن القوم إذا تكلّمتُ عنهم واحتججت لهم، وقيل: إن أعربَ بمعنى عَرّبَ. وقال الأزهري: الإعرابُ والتعريب معناهما واحد وهو الإبانة، يقال: أعرب عنه لسانه وعرّب أي أبان وأفصح، وأعرب عن الرجل بيّن عنه...وإنما سُمي الإعراب إعراباً لتبيينه وإيضاحه...»[52].

ب-المعنى الاصطلاحي للإعراب: هو: « أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الاسم المتمكن والفعل المضارع» [53] وقال الصبان «الإعراب –في الاصطلاح مذهبان: الأوّل لفظي واختاره الناظم –يقصد ابن مالك-ونسبه إلى المحققين وعرفه في التسهيل بقوله: جيء به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون أو حذف. والمذهب الثاني معنوي والحركات دلائل عليه واختاره الأعلم وكثيرون وهو ظاهر مذهب سيبويه»[54] أمّا **البناء:** هو لزوم آخر الكلمة لحركة أو سكون أو ما ينوب عنهما ولا يكون ذلك بسبب العامل، ويرى سيبويه

أن علامات الإعراب هي: الرفع، النصب، الجر، الجزم، وحركات البناء هي: الضم، والفتح، والكسر، والوقف[55].

4-المقطع الصوتي: المقطع هو مجموعة من الأصوات المفردة تقع بين كلّ انفتاح من انفتاحات الفم أثناء الكلام وبين الانفتاح الذي يليه. وبعبارة أخرى: المقطع هو مجموعة من الأصوات المفردة تتألف من صوت طليق واحد معه صوت حبيس واحد أو أكثر[56].والتحليل الصوتي المقطعي لم يكن عملا اعتباطيا ولم يكتشف فجأة أو صدفة ولم يأت من فراغ بل كان نتاج الأبحاث الصوتية، والأمر بسيط في شكلّه اللّغوي إذ لا يمكن نطق وفهم واستيعاب الكلام من دون تقسيمه إلى المقاطع التي يتألف منها «والكتابة بدأت مقطعية قبل أن تكون هجائية، فالأكديون كانوا يرمزون إلى كلّ أصوات المقطع الواحد برمز واحد في كتابتهم المسمارية» لأنّهم لم يعرفوا صفة الانفراد للصوت «وقد عثر علماء اللّغة على نقوش لألسن قديمة لا تقيم فواصل بين كلّماتها بل بين مقاطعها»[57] وهذا ما يُظهر جهد العرب في ميدان الدراسات اللّغوية عامة والصوتية خاصّة.

4-1-أنواع المقاطع الصوتية: يتألف المقطع الصوتي (في الدراسات العربية) من أكثر من صوت فيكون من صوتين أو ثلاثة وإن كانت الكتابة العربية لا تظهر فيها كلّ عناصر المقطع أحيانا نظرا لعدم رسم المدات القصيرة (الحركات) إذ

أن كلّ مقطع صوتي لابدّ من أن يكون فيه صوت مدّ، قصيرا كان أم طويلا. وبناء على ذلك فإنّ المقطع الصوتي أنواع هي:

أ- **مقطع صوتي قصير مفتوح**: وهوما تألّف من صوت صامت يليه صوت صائت قصير مثل: (مَ، كُ، بِ). ومعنى مفتوح أن يكون قابلاً لأنّ يزاد في آخره صوت صامت آخر أما معنى (قصير) فلأن الصوت الصائت فيه قصير (حركة).

ب- **مقطع صوتي قصير مغلق**: ويكون بإغلاق المقطع بصوت صامت جديد مثل (مَـــنْ) ولا يتسع المقطع بعد ذلك لصوت آخر.

ج- **مقطع صوتي طويل مفتوح**: ويكون الصائت فيه حرف مدّ طويل: ألفًا أو ياءً، أو واوًا مثل: (مَا، فِي، تُو).

د- **مقطع صوتي طويل مغلق**: يضاف في هذه الحالة إلى المقطع السابق صوت صامت ساكن ويكون في آخر الكلمة مثل: (مالْ، فيلْ، توتْ). وهناك -كذلك- نوع من المقاطع يسمى بمزدوج الانغلاق مثل: اسم (فكتور) في الفرنسية[58] ويماثل ما يسمى بحرف اللين الصوت الصائب الطويل مثل: (بيت، قول)[59].

-تتوزع المقاطع في اللّفظة العربية وفق الآتي:

1-أحادية المقطع مثل: عـَــنْ: عَنْ.

2- ثنائية المقطع مثل: أُكْــتُبْ: أُكْــ/ ـــتُبْ.

3- ثلاثية المقطع مثل: كَــــاتِبٌ: كَـــا/ تِ/ بٌ.

4- رباعية المقطع مثل: مدرسة: مَدْ /رَ / سَ / ةٌ.

5- خماسية المقطع مثل: احْتِفَالاتٌ: احـْ / تِ / فا / لا / تُنْ.

6- سداسية المقطع مثل: اسْتِقْبَالَاتِهِمْ: اسْ / تقـــ/ بَا / لاَ /تِ / هِمْ.

7- سباعية المقطع مثل: استقبالاتهنَ: اســـْ / تقـــ / با / لا / ت / هـــُ / نَ.

5- **المستوى الصرفي**: (**لغة واصطلاحا**)

أ-**الصرف لغة**: التغيير والتحويـل ومنــه «تصــريف الريــاح» (سورة البقرة /164) أي تغيير وجهتها من مكان لآخر.

اصطلاحاً: يقصد به تحويل الأصل الواحد إلى أبنيــة مختلفــة لمعانٍ مقصودة مثال ذلك: شَربَ والأصل منه الشُرب وهو الاسم الجامد الدال على حدث ونستطيع أن نأخــذ منــه اســم مَشُــروب للدلالة على الشيء وهكذا... ولعلم الصرف قواعد وأصول نعرف من خلالها أبنية الكلمــة، والمقصــود بــذلك صــيغها الأصــلية والعارضة، وما يطرأ عليها من تغير معنوي في دلالتها كالنسبة والتصغير والتثنية والجمع والتأنيث والتذكير فــي الأســماء... وكذلك في ما يختصّ بالأفعال، فنقوم بتحويل الفعل الماضــي إلى فعل مضــارع والمضــــارع إلــى فعــل أمــر. وأيضــاً يمكننــا بوساطة علم التصريف أن ندرس مــا يطــرأ علــى الأفعــال مــن

تغيرات صوتية كالتجريد والزيادة والإبدال والإعلال والحذف والإدغام والقلب المكاني وهكذا إلى آخر المتغيرات الصوتية التي تصيب الكلام العربي.

• **الوزن:** هو وحدة قياس صرفية (قالب) تقاس بها صيغ الأبنية اللّغوية فقد اعتمد (فعل) أساسا، لتقابل (الفاء) الحرف الأول من الكلمة، و(العين) الحرف الثاني، و(اللام) الحرف الثالث. وهي الأصول حسب تصور أنّ العربية ثلاثية الأصول في البنية الأساسية للكلمة. أمّا الزوائد فتضاف حروفها كما هي إلى ما يقابل الأصول[60].

كَتَبَ	أَكتب	يَكتب	أُكتب	كَاتب	مَكتوب	كَاتبان	كُتاب	كَاتبات
فَعَلَ	أَفعل	يَفعل	أُفعل	فَاعل	مَفعول	فَاعلان	فُعال	فَاعلات

فهو تحويل الأصل الواحد(الجذر) إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة، لا تحصل تلك المعاني إلا بهذا التغيير

الصيغة: هناك من يرى أن الصيغة هي الوزن، وهناك من يفرق بينهما على أساس أنّ الوزن هو أصل المادة والصيغة هي هيئة المادة بعد الزيادة والتعديل أو أن الصيغة هي تسمية الأصناف مثل: صيغة الماضي، أو صيغة المضارع أواسم الفاعل، أو الصفة المشبهة وهكذا[61].

6- طرق توليد الألفاظ العربية:

6-1-الألفاظ المولّدة من ألفاظ أُصُول[62]: تناولت في موضع سابق طائفة من المقاييس المحددة للفظة من حيث هي وحدة تواضعت عليها الجماعة المستخدمة للّغة وتمثل الأصل أو اللّفظة القاعدية [63](Lexème de base) ، وسنحاول هنا أن نتعرض لطرائق أخرى يلجأ إليها أهل اللّغة لإيجاد وحدات لغوية أخرى تقتضيها حاجات التواصل. وهذه الطرائق في استحداث ألفاظ غير الألفاظ المتواضع عليها ابتداءً لها أهميّتها في إثراء اللّغة استجابة لدواعي الاستعمال، لكن من دون تَعسُّف أو عدول عن القواعد النحوية والصرفية الخاصّة باللّغة والتي كان الفصحاء يدركونها بالفطرة. ومن هذه الأساليب التي يعتمد عليها أهل اللّغة لاستحداث ألفاظ لتأدية معان هم في مسيس الحاجة للإعراب عنها والتي لا تؤديها الألفاظ التي تواضعت عليها الجماعة ابتداء، الاشتقاق.

•**الاشتقاق:** إن ما تجب الإشارة إليه بادئ ذي بدء هو أن الألفاظ التي تتولد من الاشتقاق من ألفاظ أصلية وإن أفادت زيادات في المعنى لا يدلّ عليها الأصل الذي انبثقت منه، فإنّها لا تَعْدَمُ الإيحاء بمعنى الأصل الذي خرجت منه[64]، لذلك قال الدكتور صبحي الصالح « إنّما ندرس الاشتقاق في ظلال دلالته الوضعية على أنه توليد لبعض الألفاظ من بعض بالرجوع بها

إلى أصل واحد يُحدّدُ مادتها ويوحي بمعناها المشترك الأصيل مثلما يوحي بمعناها الخاصّ الجديد[65]».

وبناء عليه عدّ الدكتور أحمد عبد الرحمن حماد الاشتقاق ضرباً من التوسع في اللّغة وعرفه مستفيداً من كلام لابن جني في الموضوع بأنّه «أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها، ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلفا حروفا أو هيئة كضارب من ضرب[66]».

إن ما يشيء به كلام الأستاذين صبحي الصالح وأحمد عبد الرحمن حماد هو أن الاشتقاق بأضربه المختلفة «الأصغر والكبير والأكبر»، يُعد وسيلة ناجعة بأيدي أهل اللّغة لإثرائها اعتماداً على ما في موادها من إمكانات للتوالد، وهو توالد وضعوا له ضوابط تعتبر بمنزلة مقاييس للتعرف على هذه الألفاظ الجديدة التي تخرج من صُلب الألفاظ الأصول. فبالنسبة إلى ما أطلق عليه القدماء الاشتقاق الأصغر، فإن طريقة صياغته على حدّ عبارة السيوطي هي «تقليب تصاريف الكلمة حتى يُرجع منها إلى صيغة هي أصل الصيغ كلّها دلالة اطراد أو حروفا غالبا كَضَرْب، فإنّه دال على مطلق الضرب فقط، أما ضارب ومضروب، ويضرب واضرب كلّها أكثر دلالة وأكثر حروفا، وضَرَبَ الماضي مُساو حروفاً وأكثر دلالة وكلّها مشتركة في «ض، ر، ب» وفي هيئة تركيبها [67]».

فإننا نرى بوضوح أن صيغ الألفاظ التي نتجت عن هذا الإجـراء ليست مخالفة للصيغ المتداولة في العربية، وأن اللّفظة الأصلية وما تفرع عنها تشترك جميعها في حروفها الثلاثة الأصول وهي (الفاء، العين واللاّم)، وأنّ الوحدات التـي تولـدت مـن التفريـع تشترك في معنى الحدث، سوى إن كلّ واحدة منها تفيـد فضـلاً عن معنى الحدث معنى آخر، مثـل زمـن الحـدث فـي (يضـرب) وفاعل الحدث (في ضارب) ومفعول الحدث في (مضروب). أمّـا اللّفظة الأصلية وهي المصـدر (ضَـرْب)، فإنّهـا تـدلّ علـى اسـم الحدث ليس إلاّ [68]. ولا بدّ من الإشارة إلـى أنّ هـذا الضـرب مـن توليد الألفاظ في ما أطلق عليه القدماء الاشتقاق الأصغر «إنمـا يلحق بالأصول الدالة على الأفعـال والأحـداث، لأنّ هـذه تتغيـر وتستحيل من طـور إلـى طـور، لمـا ينتابهـا مـــن العـوارض، فالضرب مثلاً يختلف باختلاف زمن حدوثه وباختلاف الفاعليـة والمفعولية إلى غير ذلك من الاعتبارات[69] أمّا الاشتقاق الكبيـر بوصفه إجراءً لتوليد ألفاظ فرعية فهو كمـا يقـول الـدكتور صبحي الصالح «عبارة عن ارتباط مطلق غير مقيد بترتيب بين مجموعات ثلاثية صوتية ترجع تقاليبها الستة وما يتصرف مـن كلّ منها إلى مدلول واحد مهما يتغاير ترتيبها الصـوتي».[70] إن مؤدى هذا الكلام أن حروف اللّفظة الأصلية مهما كان المَوْضـع الذي تحتله في الألفاظ المتفرعة عنها، فإن المعنى الذي يجمعها واحد. ويمثل ابن جني لهذا النوع من الاشتقاق [71] بتقاليب المادة

الثلاثية (س ل م) التي تعطينا عدداً من الألفاظ يجمعها معنى «الإصحاب والملاينة».

-**الاشتقاق الكبير:** وعلى أساس من المواضع المختلفة التي تأخذها حروف اللّفظة الأصلية مع كلّ ترتيب جديد، راح ابن جنيّ يحدّد معاني المستعمل من الألفاظ الناتجة من هذه التقليبات مُقرّراً أن «المعنى الجامع المشتمل عليها الإصحاب والملاينة»[72] ولكنه لم يغفل الدلالة الخاصّة التي تفيدها كلّ وحدة. ولطول كلامه في هذا الموضوع نقتصر بقوله بعد تنصيصه على المعنى الجامع بينهما «منها الثوب السَّمَلُ وهو الخلق وذلك لأنّه ليس عليه من الوبر والزئبر ما على الجديد، فاليد إذا مرّت عليه لِلّمس لم يستوقفها عنه حدّة المنسج ولا خشنة الملمس. (والسمل) الماء القليل: كأنّه شيء قد أخلق وضعف عن قوة المضطرب...ومنها (السلامة). وذلك أنّ السليم فيه عيب تقف النفس عليه ولا يعترض عليها به... ومنها (الأملس) و(الملساء)، وذلك أنّه إنْ عارض اليد شيء حائل بينها وبين الملموس، لم يصحّ هناك لمس وإنّما هو إهواء باليد نحوه ووصول منها إليه. ولو كان هناك حائل لاستوقفت به عنه[73]. «وقد تنبه ابن جني إلى أن ما ينتج من تغيير ترتيب حروف اللّفظة ليس كلّه مستعملاً بالضرورة، فقد يكون فيه المهمل كما هوبيّن من قوله عن إحدى المواد المحَصّلَة من تقليب حروف «س. م. ل»، «فأما (ل س م) فمهملٌ»[74]. والملاحظ

هنا أنّ ابن جني في تناوله هذا الصنف من الاشتقاق يقع في سياج فكرة تقليب الأصول عند الخليل بن أحمد[75]، التي توقفنا عندها في موطن سابق. ولابد أن نسجل في هذا المضمار احتراز ابن جني في ما يخص اطراد الاشتقاق الكبير في جميع مواد اللّغة، فقد قال: «واعلم أنا لا ندعي أن هذا مستمر في جميع اللّغة، كما لا ندعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللّغة».[76]

أمّا الاشتقاق الأكبر فنرى في ما قدمه عنه اللّغويون شيئا غير قليل من التكلّف والتعسف في ربطهم دلالة مادة لغوية بدلالة مادة لغوية أخرى، لتقارب بين بعض مخارج الحروف المشكلّة لهما أو لمماثلةٍ في صفات هذه الحروف، فذلك في نظرهم ما يسوغ إحلال مكان المادة الأصل مادة أخرى بديلة عنها لتصاقبٍ بين حروفها ينتج عنه تقارب في دلالتيهما. ولتوضيح ذلك يقول ابن جني في مادتي «عصر» و«أزل»: قالوا «عصر الشيء وقالوا أزاله إذا حبسه. والعصر ضربٌ من الحبس وذلك من (ع ص ر) وهذا من (أزل).والعين أخت الهمزة والصاد أخت الزاي، والراء أخت اللام، وقالوا الأزم: المنع والعصب: الشد، فالمعنيان متقاربان والهمزة أخت العين والزاي أخت الصاد والميم أخت الباء، وذلك من (أزم) وهذا من (ع ص ب)»[77].واضحٌ إذاً، كما يقول الدكتور صبحي الصالح، أن هذا النوع من الاشتقاق يقوم على الإبدال،،أي إبدال الحروف بعضها ببعض، لذلك راح اللّغويون «يلتمسون الشواهد على

تماثل المعنى بين الصورتين المبدلة والمبدل منها»[78] ،فمن سنن العرب في نظرهم « إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض ويقولون: مدحه ومدهه، وفرس رفل ورفن وهو كثير مشهور قد ألّف فيه العلماء[79] «وبَعْدُ، فسواء اعتبرنا محصلة الاشتقاق الأكبر ظاهرة من ظواهر الترادف أو عددناها نتيجة من نتائج التطور الصوتي مثلما عَنّ لبعض الدراسين[80] ، فإنّه من الصعب الحديث في هذا المجال عن لفظة أصلية ولفظة فرعية لعدم توفرنا على صورة دقيقة للتطور التاريخي للغة العربية من شأنها أن تمكننا من التمييز بين ما هو أصل وبين ما هو فرع، لذلك فإن كلّ صورة منهما تُعَدٌّ في تقديرنا وحدة قائمة بذاتها تنطبق عليها عين المقاييس الخاصّة بتحديد:

- **النحت:**[81] هناك طريقة أخرى في توليد الألفاظ في العربية أطلق عليها علماء اللّغة اسم «النحت» وهو مثلما يقول ابن فارس «النحت أن تأخذ كلّمتين وتنحت منهما كلّمةٌ آخذة منهما جميعا بحظ »[82].

- وحسب ابن فارس فإنّ النحت من الأساليب التي كان يلجأ إليها العرب لتوليد الألفاظ بعضها من بعض، فقد قال في هذا الصدد «العرب تنحت من كلّمتين كلّمة واحدة وهو جنس من الاختصار. وذلك «رجل عَبْشمي» منسوب إلى اسمين وأنشد الخليل:

أقول لها ودمعُ العين جار   ألم تحْزُنك حَيْعلةُ المنادي

من قوله، "حيّ على"[83] إذا دققنا في كلام ابن فارس فإنّنا نلاحظ أنّ غاية العرب من توليد الكلم بعضه من بعض في هذه الحالة هي الاختصار، وليس استحداث ألفاظ للتعبير عن معان لا تؤديها الألفاظ المتواضع عليها ابتداء، وهذا ما يفسر–ربما- قلة النحت في لغتهم وقلة الشواهد المقدمة بشأنه ويبدو أن ذلك هوما جعل شواهده من المحفوظ في كلامهم لا ممّا يقاس عليه لقلتها.

كما يفهم مما قاله أبو حيان في شرح تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك وأورده السيوطي في المزهر، فقد قال "والمحفوظ عبشمي في عبد شمس، وعبدري في عبد الدار ومرقسي في امرئ القيس، وعبقسي في عبد القيس، وتيْملي في تيم الله..."[84]. سوى إنّ ابن فارس خالف ذلك وقال بصحة القياس عل الأمثلة القليلة التي صحت عن العرب فابتدع لنفسه – مثلما يقول الدكتور صبحي الصالح مذهبا في القياس والاشتقاق حين رأى قول العرب للرجل الشديد «ضبطَر» من«ضَبَرَ» وفي قولهم « صهصلق» إنه من «صهل» و«صلق وفي الصّلْدم» إنّه من "الصلد" و"الصدم"...

وقد بنى معجمه: المقاييس على هذا المذهب في كلّ مادة رباعية أو خماسية أمكنه أن يرى فيها شيئاً من النحت، حتى كثرت المواد المنحوتة على مذهبه لو استخرجت من مواطنها المتفرقة في معجمه[85] .

ما نؤكد عليه هو أن الألفاظ التي ولدها العرب عن طريق النحت من أكثر من كلّمة على سبيل الاختصار وإن كان استحداثها حصل على سبيل الاتفاق، فإنّها تُعدّ من الألفاظ الفروع، نعنى أنّها متفرعة عن أصول متواضع عليها وسابقة لها وأنّ الواحدة منها تحيل على المعنى نفسه الذي تحيل عليه الكلّمتان اللتان نُحتت منهما، بعبارة أخرى إنّنا في هذه الحالة إزاء مرجع واحد من دون أية زيادة معنوية، فلفظة "عبقسي" على سبيل المثال لها المراجع نفسه الذي للأصل الذي تفرعت عنه وهو"عبد القيس"، فعندما نقول عن رجل إنه "عبدري" فإن ذلك يعني أن نسبه في بني عبد الدار، فسواء قلنا إنّه من بني عبد الدار أم إنّه عبدري فما يفهم من كلامنا واحد في الحالتين.

معنى ذلك أنّ النحت بهذا المفهوم إذا كان يحقق الاختصار ويحدث نمواً في اللّغة من حيث عدد ألفاظها، فإنّه من حيث الدلالة لا يفيد معاني إضافية على نَحْو ما يقع في الاشتقاق الأصغر مثلاً. وما نعود إلى تأكيده هو أن الألفاظ المنحوتة فروع تولدت من أصول متواضع عليها، وهي بالنسبة إلى العرب الفصحاء سماعية وليست قياسية.

- **الاقتراض:** إن الاقتراض مثلما يعرفه بعض الدارسين المعاصرين هو إحدى الوسائل التي تثري اللّغات بوساطتها أرصدتها المعجمية، فعن طريقه يَعْبُرُ عنصر لغوي ما للغة من

اللّغات ليستقر في نظام لغوي آخر[86]. لذلك فإنّه يختلف من هذه الناحية عن الاشتقاق بأنواعه وعن النحت، لأنّ الوحدات اللّغوية الجديدة التي تظهر بفضله في اللّغة المستقبلة لا تَنبثقُ من العناصر.

إن الاقتراض الذي يحدث بين اللّغات ظاهرة لغوية تنتج غالباً من الاحتكاك الذي يحصل بينها فتنتقل عناصر لغوية معجمية بصفة خاصّة إلى اللّغة الستقبلية، لكن قد يَكون هذا الوافد الجديد عليها عنصراً تركيبيا أو صوتيا كما يقول مؤلفو[87] "La Grammaire d'aujourd'hui». إن هذه الحقيقة اللّغوية (أعني الاقتراض) ليست خاصّة بلغة معينة إنما تمس جميع الأنظمة اللّغوية متى توافرت أسبابها سواء أتعلق الأمر بتجاورها واتصال بعضها ببعض بأي شكلّ من الأشكال أم بحاجة أهل اللّغة للتعبير عن معان ومفاهيم جديدة لا أدلة لها في لغتهم. بالنسبة إلى العربية، فإن من الدراسين من لاحظ أن الاقتراض من حيث هو ظاهرة لغوية حدث حتى بين لهجاتها فتبادلت "الألفاظ والتراكيب ووسائل التعبير"[88].

سوى إن الأمر لم يقتصر فيها على تبادل التأثير والتأثر داخليا، فمثلما استعارت منها اللّغات الأخرى بعضا من عناصرها استقبلت منها هي أيضا ما أثرت به ثروتها اللّغوية. واستقبال العربية العناصر اللّغوية الوافدة من اللّغات الأخرى بدأ قبل الإسلام، فظهرت على ألسنة العرب ألفاظ مقترضة من لغات

الأمم الأخرى. ففي الشعر الجاهلي شواهد على هذه الظاهرة من ذلك قول امرئ القيس في معلقته[89].

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

إنّ لفظة "السجنجل" تعني المرآة وهي كلّمة رومية معربة مثلما قال شراح المعلقات[90]. ومن ذلك أيضا قول الأعشى[91].

فذاك وما انجى من الموت ربه ساباط حتى مات وهو محرزق

إن لفظة "محرزق" في هذا البيت معربة من لفظة "هرزوق" النبطية ومعناها "مخنوق"[92]. والأمثلة على ما دخل العربية في العصر الجاهلي من ألفاظ أجنبية استخدمها الشعراء وغير الشعراء في أشعارهم وفي كلامهم كثيرة، قال الدكتور صبحي الصالح «فقي الجاهلية عُرّب عن الفارسية مثل الدولاب والدكسكرة والكعك، والسميد والجُلُنّار، وعن الهندية أو السنسكريتية مثل الفلفل، والجاموس، والشطرنج، والصندل وعن اليونانية مثل القبان والقنطار والترياق[93].وقد اتسعت العربية أكثر فأكثر لهذا الضرب من الألفاظ الوافدة على سبيل الاقتراض بعد العصر الجاهلي، وعلى إثر امتداد الإسلام خارج الجزيرة العربية واتساع رقعة التواصل بين العرب وغيرهم من العناصر الأجنبية، لاسيما عندما أحسوا بالحاجة لنقل العلوم والمعارف التي كانت بأيدي الأمم الأخرى. قال الدكتور صبحي الصالح يتحدث عن نقل العرب العلوم الدخيلة إلى لغتهم "أمّا العلوم الدخيلة فقد اتسعت العربية أيضا لترجمتها وتعريب مصطلحاتها، وبلغت حركة الترجمة في عصر المأمون أوجها

حين عربت ألفاظ الطب والطبيعة والكيمياء والفلك والرياضيات والفلسفة"[94].وما تجدر الإشارة إليه هو أن العربية في استقبالها هذه العناصر اللّغوية الوافدة كانت تتبع فيه إجراءين، فمنها ما تخضعه لقوانينها فيُصبح موافقا لأبنية الكلام العربي فيعامل "معاملة العربية من حيث الاشتقاق والتثنية والجمع والتصغير وغيره "[95] . ومن أمثلة ذلك "اللجام" فهو "لغام" فقد جمعوه على لجم وقالوا في تصغيره "لُجيم" واشتقوا منه الفعل "ألجم" ووضعوا له مصدراً والإلجام، ولاكتساب هذه اللّفظة خصائص اللّفظة العربية بدت وكأنها لفظة عربية أصيلة أو كما يقول أحمد عبد الرحمن "وتكاد هذه الكلمة، "أعني لجاماً، لتمكنها في الاستعمال وتصرفها فيه تقضي بأنّها موضوعة عربية لا معربة ولا منقولة لولا ما قضوا به من أنها معربة من لغام"[96] . وقد أخضعوا الألفاظ المقترضة للنظام الصوتي للّغة العربية. عندما اقتضى الأمر ذلك لتتوافق من هذه الناحية مع خصائص اللّفظ العربي، كما يوضحه كلام ابن درستويه في شرح الفصيح، قال «الجص فارسي معرب(كج) أبدلت فيه الجيم من كاف أعجمية لا تشبه كاف العرب والصاد من جيم أعجمية، وبعضهم يقول "القص بالفتح، وهو أفصح، ولغة أهل الحجاز"[97]. ومثل هذا التصرف في الألفاظ المقترضة أحدثوه أيضا في بعض الاسماء الأعجمية فغيروا حروفها بالإبدال للسبب الذي ذكرناه من ذلك "اسماعيل وأصله اشمائيل فأبدلوا لقرب المخرج" كما نقله أحمد عبد الرحمن حماد عن الجواليقي في المغرب[98]

لأنّ من خصائص فصاحة اللّفظ في العربيـة ألاّ يكـون ثقـيلا في النطق ولا متنافر الحروف. والأمثلة على هذا الإجراء الـذي سـلكه العـرب مـع الألفـاظ التـي اتسـعت لهـا لغـتهم كثيـرة، استعرضها العلماء القدامى الذين تعرضوا لهذه الظاهرة اللّغويـة فـي مصـنفاتهم كـابن فـارس فـي الصـاحبي فـي فقـه اللّغـة والسيوطي في المزهـر، والجـواليقي فـي المعـرب مـن الكـلام الأعجمي، على حروف المعجم، وسواهم. وجملة الأمـر بالنسـبة إلى هذا الإجراء الأول هو أنّ مـا اقترضـته العربيـة وأخضـعته لقوانينها ولبناها الصرفية ألحق بكلام أهلها فأضحى جزءا منـه مَوْسُوماً بميسمه فأطلق عليه علماء اللّغة اسم "المعـرب"[99]. أمّـا الإجراء الثاني فيخص اقتراض ألفاظ من لغات أخـرى مـن دون إلحاقها بأبنية العربية وقوانينها من ذلك «خراسان» لأنّـه "لا يثبت به فعلان"، ويَخُصُّ هذا الإجراء كذلك ذلك القسـم مـن الألفاظ الذي غيره العـرب مـن دون أن يلحقـوه بأبنيـة الكـلام العربي مثال ذلك "شنهشاه" في قول الأعشي:

وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه   له ما اشتهى راح عتيق وزنبق

وأصل هذه اللّفظة "شاهان شاه" وقد أحدثوا فيها تغييراً بحـذف الألف فأصبحت كما أثبتها الشاعر في بيته[100].إن هذا الصنف من الألفاظ الأجنبية التي دخلت العربية ولم تُخضع لقوانينها وبناها الصرفية ولم يولد منها المتكلّمون ألفاظـا أخـرى علـى سـبيل الاشتقاق، تُصَنّفُ في الدخيل، وفي ضوء ما تقدم يمكننا أن نوجز كلامنا عن الاقتراض

7-دراسة المعنى بالمبنى:

تمهيد: كان الرابط العلائقي بين اللّفظ والمعنى في الفلسفة القديمة مبْنياً على أساس تأملي بدءا من زمان أفلاطون، وقد رأينا في المباحث السابقة أن سيبويه أول من ميّز بين سلامة اللّفظ وسلامة المعنى من خلال طرحه لنماذج الكلام في باب الكلام والإحالة[101] فقد بين سيبويه -لأوّل مرة في تاريخ علوم اللسان هذه المرة أيضا- أن اللّفظ والمعنى ينفرد كلّ واحد عن الآخر بالاستقامة أو عدم الاستقامة تخصه دون الآخر[102] فقد يكون اللّفظ سليما والمعنى فاسدا أو العكس (ينظر جدول الاستقامة لسيبويه). وجاء على لسان الخليل في ما يخص علاقة المعنى بالمبنى أيضا وبلفظ صريح قوله:"كأنهم توهموا في صوت الجند باستطالة ومدًا فقالوا صرّ وتوهموا في صوت الباز تقطيعا فقالوا صَرْصَرَ»[103]. من هنا نلاحظ تفطن الخليل إلى أن بين الفعل الثلاثي المضعف العين صرّ وبين صر وبين معناه (صرّ: صوت حاد) تناسباً من حيث بنية الصيغة ودلالتها على المعنى بالنسبة إلى تلك اللّفظة. فلقد التفت الخليل وسيبويه كذلك إلى أثر زيادة المبنى في زيادة المعنى، كما التفتا إلى الهدف من الزّيادة في المبنى التي تلحقها زيادة في المعنى أو العكس وهو هنا المبالغة والتوكيد والبعد الزمني. وقد عقد الخليل لذلك أبواباً في معجمه العين قلّب فيه اللّفظ الواحد (نفس الحروف) فتقاربت المعاني في الألفاظ المتولدة من التقليب مثل: **ف، ق،** ع **عقف** = عطف الشيء/**عفق**= يغيب غيبه/**قعف** =شدة الوطء بالقوائم/**قفع** =ضرب خشبي يمشي

الرجال تحته إلى الحصون في الحرب/**فقع** = ضرب من الكمأة[104].

فكلّها تتفق في الدلالة على الانخفاض والدنو إلى الأسفل.

فهل هناك علاقة بين المبنى والمعنى؟ أم هي مجرد علاقة تواضع وضعها اللّغويون لتقنين نظام اللّغة؟

7-1-علاقة اللّفظ بالمعنى: الدراسة التي قام بها سيبويه اعتمادا على كلام العرب تدل على الاهتمام باستقامة اللّفظ (سلامته من الخطأ) والمعنى (سلامته من الجانب الإحالي الدلالي والإفادي)، من هنا يتضح أن ميدان النحو واللّغة (هما بالمواضعة)، فسلامة اللّفظ لا تلزم سلامة المعنى وبالعكس[105] وهذا يدل على عدم وجود علاقة بينهما واستقلال كلّ واحد عن الآخر في الاستعمال، وهذا ما تفطن إليه الخليل قبل سيبويه من خلال طريقة القلب المكاني الدائري، فهو على مستوى الألفاظ يستخدم نفس الحروف للمفردة الواحدة وهذا يعطي عدّة معان وأحيانا معنى واحداً وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني فقال "فلو أنّ واضع اللّغة كان قد قال "ربض" مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد"[106] فالقضية هي استعمال اللّفظ حسب أوضاع اللّغة "لأنّ المواضعة إذا استقرت فيه على طريقة صار بمنزلة ما لا يصح إلا كذلك"[107] وهذا طريق لا يتنافى مع قواعد الكلام والإملاء...وعليه فالمواضعة هي التي تختار الألفاظ المناسبة لمعنى معين لأن قاعدة وجوهر الوضع هو مجرد

اتفاق اجتماعي؛ فقط وليست علاقة ملزمة بين اللّفظ والمعنى وبعد الاتفاق الجماعي والاجتماعي تتسع دائرة اللّفظ وتنتشر (اللّغة المنطوقة، الكتب، المعاجم...)،وأحيانا الاقتضاء أو ما يسمى **بمعنى المعنى** عند الجرجاني، فدلالة اللّفظ غير كافية لإفهام الغير فلابد على المتكلّم أن يستعين بقرائن أخرى يقتضيها المقام وبها يحدث التواصل والفهم في دورة الخطاب ويفسر ذلك بانتقال الذهن من مفهوم اللّفظ إلى ما يلازمه من اللوازم[108] من كناية واستعارة وتمثيل...كما يوضحه الرسم التالي الذي ننقله عن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح[109].

اللّفظ ←	دلالته كلّفظ ←	مايلزم ←	معنى آخر هوالمراد
مثل:1- ← طويل النجاد ← ← 2-كثير الرماد 3-نؤوم الضحى	معناه الوضعي: طويل الغمد معناه الوضعي: مفهوم معناه الوضعي: مفهوم	← ← ← ← ← ←	طويل القامة (طويل الغمد طويل القامة) أنه مضياف (كثرة الرماد كثرة الطبخ) تنتمي إلى أسرة موسرة
إطلاق اللّفظ	الدلالة الوضعية	لزوم معنى اللّفظ عقلاً لمعنى آخر (استدلال عقلي)	المراد هو: المعنى اللازم له

الدلالة العقلية في الكلام

"اتفاق اجتماعي" فقط وليست علاقة ملزمة بين اللّفظ والمعنى وبعد الاتفاق الجماعي والاجتماعي تتسع دائرة اللّفظ وتنتشر (اللّغة المنطوقة، الكتب، المعاجم...)، وأحيانا الاقتضاء أو ما يسمى **بمعنى المعنى** عند الجرجاني، فدلالة اللّفظ غير كافية لإفهام الغير فلابد على المتكلّم أن يستعين بقرائن أخرى يقتضيها المقام وبها يحدث التواصل والفهم في دورة الخطاب ويفسر ذلك بانتقال «الذهن من مفهوم اللّفظ إلى ما يلازمه من اللوازم[110] من كناية واستعارة وتمثيل...كما يوضحه الرسم التالي الذي ننقله عن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح[111] .وهذا ما وضحه حازم القرطاجني في كلامه عن علاقة مفاهيم الاستعمال فقال: لَمّا كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلا على المعاني التي احتاج الناس إلى تفاهمها بحسب احتياجهم إلى بعضهم بعضا على تحصيل المنافع وإزاحة المضار وإلى استفادتهم حقائق الأمور وإفادتها، وجب أن يكون المتكلّم يبتغي إمّا إفادة المخاطب أو الاستفادة منه[112] ، فالكلام جوهر المعنى التخاطب بين الناس، وهنا تبرز أهمّ وظيفة في اللّغة وهي تحقيق الإفادة للمخاطَب ولعل أبلغ قول يثبت ذلك هو قول ابن جني اللّغة هي أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم، من هذا المنطلق فإنّ اللّغة وضع واستعمال أي تطبيق فعلي للمواضعة. وقد تعدّدت النظريات وتباينت في معالجة المعنى (النظرية التصورية، الإشارية، السياقية، الحقول الدلالية، والتداولية أو نظرية أفعال الكلامles actes de langage وفي

نظرهم اختيار الأفعال الكلامية والنصّوص خارج السياق ماهي إلاّ مرحلة وسيطة ولكنّها ضرورية في فهم الطبيعة الاجتماعية والكلام ويمكن أن نذكر هنا كلاً من "جون أوستين J.AUSTIN وجون (سورل) (J.SEAREL) في أفعال الكلام و(بول قرايس) (P.GRICE) في ما سماه "حكم الحديث".

7-2-علاقة زيادة المبنى بالمعنى: زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى وهو أساس تقوم عليه كلّ نظرية لغوية مفهوم يقوم على فكرة مفادها: أنه كلّما زاد اللّفظ زاد المعنى وكلّما كان المعنى أبلغ طرأت زيادة على المبنى، أي كلّما كانت زيادة في عدد الحروف الأصلية المؤدية لأصل المبنى ازداد المعنى ونتج عنه تفريعات جديدة لم تدلّ عليها اللّفظة في جذرها الأصل يوقد وضح ذلك ابن جني عندما قال "الأصوات تابعة للمعاني، فمتى قويت ومتى ضعفت ضعفت، ويكفيك من ذلك قولهم: قطع وقطّع وكسر وكسّر زادوا في الصوت لزيادة المعنى واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه نحو﴿يا حَسْرَهْ على عبادي﴾ (يسن/135) تقرأ الهاء الساكنة لتقوية المعنى في النفس ذلك أنّ الموضع وعظ وايقاظ وتحذير»[113]، مِن المؤثرات التي تلحق آخِرَ الفِعل وتؤثِّر فيه: نونَا التوكيد. وهما نونان تلحقانِ آخِرَ الفِعل لتوكيده: إحداهما: نون ثَقيلة، والثانية: نون خفيفة. **النون الأولى:** نون ثقيلة، التوكيد بها أشد[114] وأبْلغ من **نون الثانية** الخفيفة؛ لأنّ زِيادة المبنَى تدلُّ على زيادة المعنى غالبًا، وقد يكون مِن هذا القبيل قول "زليخا" زوْج عزيز مصر، حيث حكى قولها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَيُسْجَنَنَّ

وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ (يوسف/32)، نتبيّن من قولها، « ليُسْجَنَنّ» هذه شديدة، " وَلَيَكُونًا" خفيفة هذا حرصًا منها على سجْنه في بيتها؛ لتراه في كلّ وقت أكثرَ من كونها تراه صاغراً. وانتبه الصرفيون إلى حدود هذا الأساس اللّغوي العامّ فاعتبروه وأوضحوا أنّ الزيادات الصرفية الواقعة عند تغيير الصيغ من دلالة إلى دلالة أخرى أومن فئة صرفية إلى أخرى، كتحويل الماضي إلى مضارع وأمر، أو تحويل المبني للمعلوم إلى مبني للمجهول، أو تحويل اسم الفاعل إلى اسم المفعول أو الصفة المشبهة وسائر المشتقات الأخرى، إنّها الزيادة الحاصلة عند التغير ليست لزيادة المعنى الأصلي وانما لتغييره وتبديله، فهناك فرق بين (ملئ) و(امتلئ) وبين (ضرب) و(أضربُ) (يضربُ) (تضربُ) (نضربُ) ففي الحالة الأولى تَقَوّى المعنى وكثر وأمّا في الحالة الثانية فقد تبدل المعنى وتفرع إلى الزمن الحاضر أو المستقبل، فحروف(أنيت) المضافة إلى الماضي وقعت للتفرقة وليست لزيادة المعنى وتقويته، لأنّ الماضي بمجرّد الزيادة اختفى دلاليا والحدث باق على صورته الأولى.

وظهر حدث آخر دال على المستقبل(ضرب) وزادت تفرعاته. ونبقى مع زمن المستقبل مع أحرف التنفيس (سين وسوف) إذا اعتمدنا معيار زيادة الأحرف المؤدي إلى زيادة المعنى فقد قال ابن يعيش في شرح المفصل: هذان الحرفان معناهما التنفيس في الزمان، فإذا دخلا على فعل مضارع خلصاه للاستقبال، وأزالا عنه الشياع، إلاّ أنّ (سوف) أشدّ تراخياً في الاستقبال من السين وأبلغ تنفيساً.[115] فإذا قلت: سأضربك وسوف أضربك فهناك اختلاف

في البعد الزماني بين الحرفين: السين أقرب من سوف وفي الحالة: الأولى سأضربك أي إن السين للوعد بحصول ما دلّ على الوعد وذلك عين التوكيد لكن في الحالة الثانية مع سوف أضربك الوعد أقوى والتوكيد مؤكّد بقيام الفاعل بفعل الضرب مقارنة بالسين، الوعد بها أضعف والتوكيد أقل.

نمثل لها بقوله تعالى ﴿وسوفَ يُؤتِ اللهُ المؤمنينَ أجراً عظيماً﴾(النساء / 146)، و﴿فسَيُدخلُهم في رحمةٍ منه وفضلٍ﴾ (النساء /175)، فكلّاهما وعد للمؤمنين، وقد يلتمس البعض تعليلات للتفرقة، بأنّ النصّ الأول لأجر يوم القيامة، والثاني لأجر الدنيا. ففي الحالة الأولى الوعد مؤكد ومستمر لأنّ الحياة فيها دائمة وحقيقية بينما الثانية فيها مغريات وقد يتغير فيها فعل المؤمن. ولإظهار دلالة (سوف) على الاستمرارية نمثل بقوله تعالى: ﴿ومنْ يفعلْ ذلك عدواناً وظلماً فسوفَ نُصليه ناراً﴾(النساء /30)، وبقوله أيضًا: ﴿ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة اللهِ فسوفَ نُؤتيه أجراً عظيماً﴾ (النساء/ 113).

تُظهر هذه الأمثلة أنّ علاقة المعنى بالمبنى علاقة قوية، فكلّما زاد حرف في المبنى زاد المعنى فالهدف تبليغ معنى معين أو للدلالة على صيغة معينة اشتقت من الأصل لتتفرع لعدة صيغ محددة بمعانٍ معينة.

الخاتمة:

من خلال هذا التحليل يتضح ممّا سبق من دراسة بنية اللّفظ العربي فائدة كبيرة في معرفة الصيغ الجائزة في اللّغة المدروسة. ففي اللّغة العربية تُعيننا هذه الدّراسة على معرفة نسج اللّفظ العربي الأصيل، ونسج ما ليس بعربي من الألفاظ الأعجمية، كما تُعيننا على معرفة موسيقى اللّفظ (استحسانه أو استهجانه)، وكيفية تعليم القراءة والكتابة للصغار وحتى تعليم اللّغة للصم البكم، وبعد هذا العرض سواء أتعلق ذلك بالصوت (الحرف، مخرجه، صفاته) أم بالمقطع الصوتي (صيغة اللّفظ) تتبين لنا أهميّة هذه الدراسة التي تشكلّ كيفية الكلام وتقويمه وتحليله، كما تبين عمق دراسة بنية اللّفظ العربي في علم الأصوات والمورفولوجيا، وتوضح تَميز اللّغة العربية عن اللّغات الأخرى من خلال بنيتها الصوتية والصرفية، والحقيقة إنّ اللّغة العربية منفردة عن اللّغات الأخرى في خصائصها وشروطها اللّغوية.[116]

الهوامش

[1] ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (لفظ).

[2] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، المجمع العلمي الإسلامي، 1399 هـ/ 1979مادة (لفظ).

[3] الرماني، كتاب الحدود في النحو وكتاب منازل الحرف، تصنيف أبو الحسن علي بن عيسى بن علي الروماني، الطبعة الحجرية الحديثة،ص.7

[4] الرضّي الأسترابادي، شرح الرضّي لكافية ابن الحاجب، تح: حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي، طباعة إدارة الثقافة والنشر بجامعة محمد بن

سعود الإسلامية، عمادة البحث العلمي، المملكة العربية السعودية 1993،4/1.

[5] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت 1969،4/ 224.

[6] أبوداود الطيالسي (378-384ه)، مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، ص.302.

[7] خالد الأزهري، شرح الأزهرية في علم العربية، (فاس) المغرب، 1294هـ، ص.11.

[8] سيبويه أبوبشر عمر بن عثمان بن قنبر(ت 180 ه). الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،ط.3، مكتبة الخانجي-القاهرة-1406ه/1988م.،431/4.

[9] ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392ه). الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، القاهرة، 1381 ه/1952 م. 3/1.

[10] يُنظر، سيبويه الكتاب، 4/ 433-434.

[11] يُنظر، المرجع السابق.

[12] إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، مكتبة النهضة، مطبعة النهضة، مصر، (د.ت)، ص:173.

[13] سيبويه، الكتاب، 4 / 477-478.

[14] ابن جنى، الخصائص،2/ 143-145.

[15] ابن فارس، الصاحِبيٌ في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن يسج،ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418ه/1997م، ص. 174.

[16] عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007م. 176/2.

[17] سيبويه، الكتاب،477-478

[18] سيبويه، الكتاب 4/ 478-477

[19] ابن جني الخصائص، 141/2.

[20] المرجع السابق.

[21] المرجع السابق، ص ص141-144.

[22] الرضي الأستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن ومحمد الزفراف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1402ه/1982م،4/3.

[23] المرجع السابق.

[24] ابن فارس، الصاحبيّ في فقه اللّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، مرجع سابق، ص.174.

[25] الخصائص، 142/2.

[26] ابن عصفور الإشبيلي، الممتع في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، ط3، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1978، ص365.

[27] الخصائص. 143/2.

[28] ابن جني الخصائص. 141/2.

[29] إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ط3، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1965.ص.96.

[30] احمد علم الدين النجدي، اللهجات العربية في التراث، مطبعة الدار العربية للكتاب، تونس 1983،143/1.

[31] أبي إسحاق الزجاج، معاني القران وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط1، عالم الكتب، بيروت 1988،380/1.

[32] بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،175/2.

[33]المرجع السابق.

[34] إبراهيم أنيس، الأصوات اللّغوية، ط4، مطبعة الانجلو المصرية، القاهرة 1971،ص ص.128-130.

[35] موفق الدين (أبوالبقاء يعيش بــن علــي بــن يعــيش الموصــلي)، شــرح المفصل للزمخشريّ، تحقيق: إميل بديع يعقوب،ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت،،لبنان،1422ه /2001م،10 /121.

[36] يُنظر، ابن الجزري (ت833)، النشر في القراءات القرآنية، إشراف علــي محمد الضياع المكتبة التجارية، مصر (د.ت)، ص.274.

[37] يُنظر، سيبويه الكتاب،3/ 278.

[38] ابن يعيش، شرح المفصل،64/9.

[39] يُنظر، ابن هشام الانصاري، مغني اللبيب، عن كتب الأعاريب، تح: مــازن المبارك ومحمد علي حمد الله مراجعــة سـعيد الأفغــاني ط.5، دار الفكــر، بيروت، 1979، ص.894.

[40] ابن جني، المنصف لكتاب التصريف، تحقيق إبراهيم مصـطفى، عبــد الله أمين، ط1،وزارة المعارف، إدارة إحياء التــراث القديم،مصرـــ1383ه/1954 م،2/2.

[41] سيبويه الكتاب،67/1

[42] نفسه،67/1-68.

[43] ابن جني، المنصف، 2/2.

[44] ابن جني الخصائص،218/3.

[45] أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبين، تح: عبد السلام محمد هارون، القاهرة،1949، 67/1.

[46] يُنظر، ابن سنان الخفاجي، سِرٌ الفصاحة ط.1، دار الكتب العلمية، بيروت 1982، ص.57

[47] يُنظر، أسامة عبد العزيز جاب الله، جماليات التلاؤم والتنافر بين البلاغيين واللّغويين، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، م18، ع3، ابريل، 2010 ص:2.

[48] ينظرمحمد الانطاكي، الوجيز في فقه اللّغة، ط 2، مكتبة دار الشرق بيروت، ص .366-367.

[49] السيوطي جلال الدين، المزهر، مصر، 1355ه، 31/1

[50] ابن جنى، الخصائص،2/ 152

[51] ابن جني، الخصائص،145/1-152.

[52] ابن منظور، لسان العرب مادة (عرب).

[53] ابن هشام، شرح شذور الذهب، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط.4، مصر،1948، ص.33.

[54] الصبان، محمد بن علي، حاشية الصبان على شرح الأشمرني على ألفية ابن مالك، طبعة المكتبة التجارية الكبرى (د، ت) 43/1.

[55] يُنظر، سبيويه الكتاب 13/1.

[56] يُنظر، محمد الانطاكي، الوجيز في فقه اللّغة، مرجع سابق، ص 254.

[57] المرجع السابق.

[58] يُنظر، عبد السلام المسدي، اللسانيات من خلال النصوص الدار التونسية للنشر، النشرة الأولى، تونس، 1984 ص 81.

[59] يُنظر، أحمد شامية، في اللّغة، دار البلاغ للنشر والتوزيع، ط.1، الجزائر2002، ص.23.

[60] يُنظر.أحمد شامية، في اللّغة، مرجع سابق، ص.33.

[61] المرجع السابق.

[62] مثل الألفاظ المشتقة من ألفاظ أصول بناء على رأي القدماء الذين قالوا« إن بعض الكلّم مشتق وبعضه غير مشتق » كالأصمعي وأبي الحسن الأخفش وابن السراج والرماني وغيرهم. خلافا لمن نفوا ذلك وذهبوا إلى أن «الكلّم كلّه أصل» وخلافاً أيضا لمن قالوا« الكلّم كلّه مشتق» يُنظر السيوطي، المزهر،346/1،348،351.

[63] عن التحويلات التي يمكن إحداثها في اللّفظة القاعدية في الفرنسية في موضوع الاشتقاق (dérivation)ينظر مثلا:

Jacqueline Picoche ,Précis de Lexicologie Française, L'Etude et l'Enseignement du vocabulaire,éd Nathan,Paris 1992 PP 17-18.

[64] الاشتقاق (dérivation) في لغة مثل الفرنسية يؤدي معاني إضافية «غالباً» زيادة على إيحائه بمعنى الأصل، لكن إجراءاته لا تطابق إجراءاته في العربية، فهويتم بزيادة سابقة على يسار الأصل أو لاحقة على يمينه (préfixe et suffixe) كما في refaire بالنسبة إلى الأصل faire و événementiel بالنسبة إلى الأصل événement. ولكن هناك زيادات تُفضي إلى معنى هو ضدٌ لمعنى الأصل كما في intolérance بالنسبة إلى tolérance وantigel بالنسبة إلى gel يُنظر:

M. Arrivé et autres, la Grammaire Aujourd'hui, guide alphabétique de la linguistique Française, éd Flammarion, Paris 1986 PP 214-215.

[65] صبحي الصالح، دراسات في فقه اللّغة، ط10، دار العلم للملايين، بيروت 1983، ص.174.

[66] أحمد عبد الرحمن حماد، عوامل التطور اللّغوي، دراسة في نمو وتطور الثروة اللّغوية، ط،1، دار الأندلس، بيروت، لبنان 1983، ص.17.

[67] السيوطي جلال الدين، المزهر في علوم اللّغة وأنواعها ط،3 دار إحياء الكتب العربية، 346/1.

[68] لذلك يرى البصريون أن المصدر هو أصل الاشتقاق، في حين بنى الكوفيون وجهة نظرهم في الاشتقاق على مبدأ التجريد والزيادة، فالمجرد بالنسبة إليهم أقرب إلى الأصالة من المزيد، لذلك قالوا إن صيغ الكلام الأكثر تجريداً هي صيغة الماضي الثلاثي المجرد المسند إلى المفرد الغائب، لذلك فإن أصل المشتقات عندهم هو الفعل الماضي. يُنظر تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، ط6، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب (د.ت) ص ص.166-167.

[69] صبحي الصالح دراسات في فقه اللّغة، مرجع سابق، ص.186.

[70] صبحي الصالح دراسات في فقه اللّغة، مرجع سابق، ص.186.

[71] إن ابن جني كما تنبه إلى ذلك صبحي الصالح كان يجعل أحيانا الاشتقاقين الكبير والصغير شيئاً واحداً، المرجع السابق، ص.187.

[72] ابن جني، الخصائص، 137/1.

[73] المرجع السابق، ص.138.

[74] المرجع نفسه.

[75] والفرق أن الخليل لم يُعْنَ بالربط بين دلالات الصور اللّفظية الناتجة عن التقليب مثلما فعل أصحاب الاشتقاق، إنّما كان همّه في طريقته

الإحصائية حصر المستعمل من كلّمات اللّغة. يُنظر في ذلك، إبراهيم أنيس، من أسرار اللّغة، ط6، مكتبة الأنجلو، القاهرة، 1978، ص.49.

[76] ابن جني، الخصائص،138/1.

[77] ابن جني، الخصائص،150/1.

[78] صبحي الصالح، دراسات في فقه اللّغة، مرجع سابق، ص. 212.

[79] الكلام لابن فارس في الصاحبي في فقه اللّغة، أورده صبحي الصالح في كتابه دراسات في فقه اللّغة، ص.154.

[80] ينظر مثلاً صبحي الصالح دراسات في فقه اللّغة، ص: 212-213، وقد أشار في هذا الموطن أيضا إلى أن الدكتور إبراهيم أنيس يعتبر هذه الظاهرة نتيجة للتطور الصوتي، ينظر ما قاله إبراهيم أنيس في هذه المسألة في كتابة من أسرار اللّغة، مرجع سابق، ص. 58.

[81] هناك من يُعد النحت ضرباً من الاشتقاق ويطلق عليه الاشتقاق الكُبّار ينظر صبحي الصالح دراسات في فقه اللّغة، ص.243.

[82] ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، مرجع سابق،328/1-329.

[83] ابن فارس، معجم مقاييس اللّغة، مرجع سابق،328/1-329.

[84] السيوطي، المزهر،485/1.

[85] صبحي الصالح، دراسات في فقه اللّغة، ص.244، وينظر ما كتبه أحمد عبد الرحمن حماد عن هذا الإجراء عند ابن فارس في عوامل التطور اللّغوي، ص ص.37-39.

[86] Voir,M.Arrivé et autres ,La Grammaire d’Aujourd’hui,op,cit,p.244. Franck Neveu,Dictionnaire des sciences du langage, Armand-colin ,Paris ,2004 p.117.et Michel Pugeoise ,Dictionnaire de rhétorique, Armand – colin/SEJER,Paris,2004.113.

[87] Voir,M.Arrivé et autres ,La Grammaire d'Aujourd'hui,op,cit,p.245

[88] صبحي الصالح، دراسات في فقه اللّغة،ص. 315.

[89] بولس سلامة، تقديم وشرح المعلقات العشر، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت 1969، ص.31.

[90] يُنظر، المرجع السابق، ص. 31 هامش.3.

[91] السيوطي، المزهر،292/1.

[92] يُنظر، أحمد عبد الرحمن حماد، عوامل التطور اللّغوي، ص.100.

[93] صبحي أحمد، دراسات في فقه اللّغة، ص.316 وينظر حسن ظاظا، كلام العرب، الإسكندرية، مطبعة المصري، دار المعارف 1971، ص.58.

[94] صبحي الصالح، دراسات في فقه اللّغة، ص.320.

[95] أحمد عبد الرحمن حماد، عوامل التطور اللّغوي ص.101، وينظر صبحي الصالح، دراسات في فقه اللّغة ص . 322-323.

[96] أحمد عبد الرحمن حماد، عوامل التطور اللّغوي، ص.100.

[97] ابن درستويه، شرح الفصيح، نقلاً عن أحمد عبد الرحمن حماد، عوامل التطور اللّغوي،ص.88.

[98] ينظر، أحمد عبد الرحمن حماد، المرجع السابق، ص. 88-89.

[99] يُنظر، مثلاً الثعالبي، فقه اللّغة وسر العربية، مطبعة الاستقامة، القاهرة (د.ت)ص ص.253-255، والسيوطي، المزهر 284/1.

[100] ينظر،السيوطي، المزهر،292/1.

[101] يُنظر، سيبويه، الكتاب،25/1.

[102] عبد الرحمن الحاج صالح، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – الجزائر - (د، ت).،ص.113.

[103] ابن جني، الخصائص،152/2.

[104] ينظر، الخليل، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي دار مكتبة الهلال،(د، ت)174/1-176.

[105] انظر: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، ص.35.

[106] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص.49.

[107] الكلام للقاضي عبد الجبار أورده الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، يُنظر، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، ص. 35.

[108] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص. 49

[109] الكلام للقاضي عبد الجبار أورده الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، يُنظر، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، ص. 35.

[110] المرجع السابق، ص.121.

[111] انظر: الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، ص.122.

[112] حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتح: محمد الحبيب بن الخوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص344.

[113] ابن جني، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدى ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، إعداد محمد بشير الإدلبي، تصدير: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، إدراة احياء التراث الإسلامي،1386ه/1966م، 210/2.

[114] يُنظر، سيبويه الكتاب،509/3

[115] ابن يعيش، شرح المفصل، 148/8-149

[116]ابن يعيش، شرح المفصل، 148/8-149

نمثل لها بقوله تعالى ﴿وسوفَ يُؤتِ اللهُ المؤمنينَ أجراً عظيماً﴾(النساء / 146)،

الاستثمار في اللغة العربيّة: مجالاته وعائداته

أ. ياسين بوارس،

ج/مولود معمري، تيزي وزو

الملخّص: يعرض هذا البحث موضوع الاستثمار في اللّغة العربيّة من حيث **مجالاته وعائداته** في تحديده لمفهوم الاستثمار بشكل عامّ، والاستثمار في اللّغة بشكل خاصّ، وتحديده الانتماء العلميّ لمبحث الاستثمار في اللّغات، باعتباره مبحثا علميًا اقتصاديًا من جهة، ولسانيًا من جهة أخرى، ثمّ تحديده مجالات الاستثمار في اللّغة العربيّة، بما فيها التّعليم، والبحث العلميّ، والتّرجمة والإعلام، والتّجارة الدّوليّة، وهي المجالات الّتي تقوم أساسا على وظيفيّة اللّغة ما يجعلها سوقا استثماريّة لتوظيف اللّغات في تحقيق العائدات والأرباح.

الكلمات المفتاحيّة: الاستثمار، اللّغة، العربيّة، المجال، العائد.

Abstract: This paper deals with the topic of investment in the Arabic language in terms of fields and revenues. Its aim is to give a definition to the concept of investing in general, and investing in the language in particular, as well as to determine the scientific affiliation of the Study of investing in languages; since it’s considered a scientific and

economic study, on one hand and a linguistic one on the other hand. Then, the focus was on the fields of investing in Arabic language, including education, scientific research, translation, media, and international commerce. which are the fields mainly based on the language functionality, so as to become an investment market for the use of languages to achieve revenues and profits.

مقدّمة: تُعَدُّ اللّغة -فضلا عن كونها وسيلة تواصل- وسيلة لتنمية الاقتصاد في المجتمعات، وهي بذلك تُعادُل منزلة رؤوس الأموال النّقديّة أو العينيّة الّتي تُستَثمر في تنميته؛ باعتبار أنّ كلّا منهما (اللّغة والمال) أداتان لتحقيق العائدات والأرباح الّتي تزداد فرصها كلّما ازداد الاستثمار فيهما واتّسع مجاله. وتتّوضح العلاقة بين رأس المال واللّغة في علم الاقتصاد الّذي يُعنَى بعلميتي الإنتاج والتّوزيع، في وظيفيّة كلِّ منهما في زيادة الإنتاج ورؤوس الأموال، طالما أنّ هذا هو الهدف الحقيقيٌّ للاقتصاد الذي يهدف بدوره إلى زيادة الإنتاج لتغطية الطّلب. وتتجاوز بهذا وظيفيّة اللّغة في التّواصل إلى وظيفيّتها في تنمية الاقتصاد، ما جعلها تُعَدُّ أحد الموارد الاقتصاديّة الّتي يمكن استثمارها في تنمية الاقتصاد في المجتمعات.

وينطبق الأمر نفسه على اللّغة العربيّة في الوطن العربيّ، الّذي تعاني بلدانه عجزا اقتصاديّا جزئيا أو كلّيا في الإنتاج وتغطية الطّلب؛ ما جعلها تعتمد على الاستيراد بالعملة الصّعبة

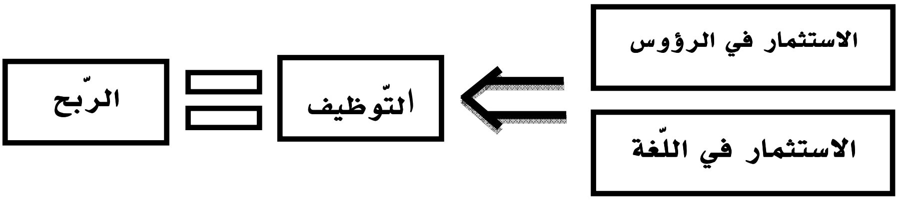
في تغطية هذا العجز؛ وهذا راجع إلى قلّة الموارد الاقتصاديّة -على اختلاف طبيعتها في كلّ دولة -المستثمرة لتنمية الاقتصاد من جهة، ومحدوديّة الاستثمار في هذه الموارد من جهة أخرى. وينطبق هذا على اللّغة العربيّة ورأس المال البشريّ النّاطق بها، اللّذان يعرفان محدوديّة الاستثمار فيهما في دول الوطن العربي، رغم ما لهما من أهميّة في القطاع الاقتصاديّ، ودور في تنمية الاقتصاد؛ حيث يمكن استثمار اللّغة العربيّة والنّاطقين بها في زيادة الإنتاج وتغطية الطّلب، وتحقيق العائدات والأرباح وتنميّة الاقتصاد العربيّ، وهذا في توظيفهما في مجالات الاستثمار الكفيلة بتحقيق هذا الهدف. وهو ما نهدف إليه بالتّحديد في هذا البحث من خلال تحديدنا لمفهوم الاستثمار بشكل عامّ والاستثمار في اللّغة بشكل خاصّ، وتحديد انتمائه العلميّ باعتباره مبحثا علمياً اقتصادياً من جهة ولسانياً من جهة أخرى، ثمّ بيان مجالات الاستثمار في اللغة العربية وعائدات هذا الاستثمار على الوطن العربيّ.

أولا- مفهوم الاستثمار في اللغة: ارتبط مفهوم الاستثمار بعلم الاقتصاد، الّذي يهتمّ بدراسة عمليتي الإنتاج والتّوزيع، حيث دلّ من خلاله على توظيف رأس المال النّقديّ (المال) أو العينيّ (المباني المؤسّسات، الآلات، اليد البشريّة، حقول النّفط، الأراضي) بهدف تحقيق العائد أو الرّبح، أو زيادة الإنتاج ولهذا عُرِّف الاستثمار في هذين النّوعين من رأس المال، بأنّه "توظيف

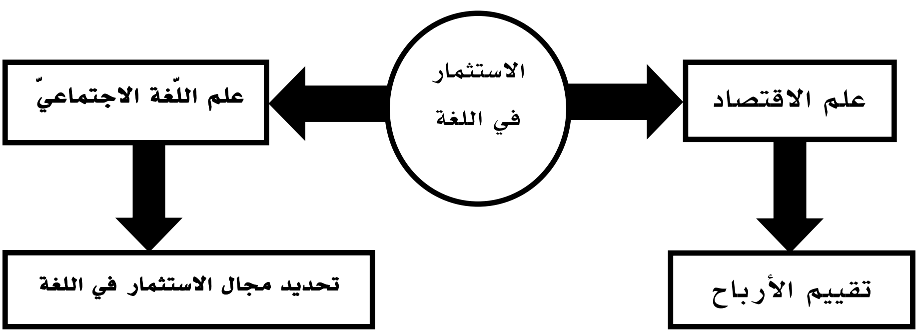
المال بهدف تحقيق العائد أو الدّخل أو الربح. (حردان طاهر حيدر، 1997، ص13) ويحدّد هذا التّعريف مفهوم الاستثمار بأداته وهدفه، بما لا يمنع أيّ أداة تتّفق مع رأس المال في تحقيق الرّبح أو العائد مِنَ أنْ تأخذ مفهوم الاستثمار وهو ما يوضّح لنا العلاقة بين الاستثمار في رأس المال والاستثمار في اللّغة؛ إذ إنّه لمّا كانت اللّغة إحدى الإمكانات الّتي يمكن استغلالها في تحقيق العائد أو الرّبح، اتّفق الاستثمار في اللّغة مع الاستثمار في رؤوس الأموال في الهدف، واختلفا في الأداة، ومن هنا أمكننا تعريف الاستثمار في اللّغة بأنّه **توظيف اللّغة في زيادة الإنتاج وتحقيق العائدات والأرباح، من خلال تسخيرها وتسخير الألسنة البشريّة النّاطقة بها في تحقيق هذا الهدف.**

ويتّضح من كِلَا التّعريفين أنّ ما يجمع بين مفهومي الاستثمار في رأس المال والاستثمار في اللّغة هو استلزام الاستثمار لتّوظيفهما أداتين لتحقيق العائد والرِّبح، وكذلك هدف الاستثمار فيهما؛ حيث يستلزم الاستثمار في كليهما **التوظيف** في مجالات الاستثمار، وهدف الاستثمار في كلّ منهما **هو تحقيق العائد والرّبح.** أمّا ما يفرّق بين مفهومي كلّ منهما **فهي أداة الاستثمار** التي تتمثّل في النّوع الأول من الاستثمار في رؤوس الأموال وفي النّوع الثاني في اللّغة، وعلى اختلاف طبيعتهما فإنّ كلاً منهما يعدٌ أداة استثمارية وموردا من الموارد الاقتصادية التي يمكن

على أساسها تحقيق الأرباح وزيادة رؤوس الأموال. وهو ما يمكن تمثيله بالتّرسيمة الآتية:



ويمكن بهذه العلاقة الّتي تجمع بين مفهومي الاستثمار في رؤوس الأموال والاستثمار في اللّغة، عدُّ الاستثمار في اللّغة مصدرا من مصادر الدّخل وموردا من الموارد الاقتصاديّة، كما يمكن تصنيفه مبحثا علميًا مشتركا بين **علم الاقتصاد** و**علم اللّغة الاجتماعيّ**، ويكون الجامع بينهما هو **الموضوع** الّذي هو **الاستثمار في اللّغة**، حيث يُعنَى الأوّل منهما فيه **بتقييم الأرباح** والإنتاج الّذي يوفّره الاستثمار في اللّغة في حين يُعنَى الثّاني بتحديد مجالات



الاستثمار فيها؛ من خلال رصد وظائف اللّغة داخل المجتمع (لغة تواصل/تعليم/لغة رسميّة/وطنيّة/أجنبيّة). وهو ما يمكن توضيحه بالتّرسيمة الآتية:

ثانيا ـ الاستثمار في اللغة العربيّة: مجالاته وعائداته: مثل ما انطبق مصطلح الاستثمار بمفهومه على توظيف اللّغة بصفة عامّة في تحقيق العائدات والأرباح، ينطبق مصطلحا ومفهوما على توظيف اللّغة العربيّة بصفة خاصّة في تحقيق هذا الهدف، على أساس أنّها إحدى الإمكانات الّتي يمكن لدول الوطن العربيّ توظيفها في مجالات الاستثمار، لتحقّيق العائدات والأرباح وزيادة الإنتاج، في ظلّ اقتصاد الاستيراد الّذي تعتمده لتغطية العجز الاقتصادي. "وهناك عدّة مؤشّرات تدلّ على أنّ اللّغة العربيّة تتصدّر الرّتب ضمن اللّغات الكونيّة الكبرى، وتجعل منها سلعة مربحة، لا مبخوسة، كما ينظر إلى ذلك البعض وأنّ موجباتها أكثر من نواقصها. ضمنها أنّ رقميتها في تحسن وتزايد مستمرين، مما يؤكّد حيويّتها، وأنّها لغة الإعلام الدّوليّة، بفضائيات عربيّة واسعة الانتشار، والتّأثير في الإعلام العربيّ والدّوليّ، مثل الجزيرة وأبو ظبي والعربيّة، والحرّة، وأ.ر.ت، وم.ب.س... إلخ. وتسجِّل الصّحف المعرّبة أرقام المبيعات المرتفعة الّتي تصل إلى أربعة أضعاف مبيعات الصّحف باللّغات الأجنبيّة على الأقلّ. فهناك من المؤشّرات القويّة، ما يدلّ على أنّ اللّغة العربيّة سلعة مُربِحة، ومنتوج مستقبليّ في عالم

المعلومات والاقتصاد المعرفيّ، وأنّ تدبير شؤونها ينبغي أنْ يأخذ بعين الاعتبار هذا المعطى." (الفاسيّ الفهريّ عبد القادر، 2012، ج1، ص21). الّذي يؤكّد فاعليّة اللّغة العربيّة في تنمية الاقتصاد العربيّ في حال توظيفها في مجالات الاستثمار الّتي تعود على المجتمع العربيّ بالعائدات الاقتصاديّة.

ويُقصَد بمجال الاستثمار الميدان/القطاع الذي يمكن توظيف المال/اللّغة فيه، لتحقيق العائد أو الرّبح، باعتبار أنّ الهدف من الاستثمار هو تحقيق هذا الهدف. وتختلف مجالات الاستثمار بين رؤوس الأموال واللّغة باختلاف الوظائف والأدوار الّتي يؤدّيها كلّ منهما في المجتمع؛ حيث نجد رؤوس الأموال إذا كانت نقدية فوظيفتها المبادلات التجارية، ومجال الاستثمار فيها يكون أوسع باعتبارها وسيلة مبادلات أمّا إذا كانت عينيّة/ممتلكات (مؤسّسات، بناء، أراضي، حقول نفط، يد عاملة، طائرات) فوظيفتها خدماتيّة، ومجال الاستثمار فيها لتحقيق الرّبح يكون في توفير الخدمات حسب حاجات السّوق والطّلب في حين نجد أنّ اللّغة في المجتمع، تتجاوز وظيفتها التّواصليّة إلى **التّعليم، والبحث العلميّ، والتّرجمة والإعلام، والتّجارة**، وهي المجالات الّتي تقوم على وظيفيّة اللّغة، وتُعدّ السّوق الاستثماريّة في اللّغات.

ويتمّ تقييم العائد الاقتصاديّ للاستثمار في الأموال النّقديّة أو العينيّة بالرّبح والخسارة، من خلال القيمة النّقديّة الّتي

يضيفها توظيف هذه الأموال إلى رأس المال المُستثمَر، بعد انقضاء مدّة الاستثمار؛ لأنّ توظيف الأموال للحصول على الأرباح، يشترط "التّخلّي عنها في لحظة زمنية معيّنة، ولفترة زمنيّة معيّنة؛ بقصد الحصول على تدفّقات ماليّة مستقبليّة، تُعوِّض عن القيمة الحالية للأموال المُستثمَرة وتعوّض عن كامل المخاطرة الموافِقَة للمستقبل." (حردان طاهر حيدر، 1997، ص13) ويتّضح بهذا أنّ عائدات الاستثمار في الأموال يتمّ تقييمها اعتمادا على القيمة النّقديّة، أو العائد الّذي يضيفه الاستثمار إلى رأس المال المُستثمَر أو إلى المُستَثمِر في حدّ ذاته، والمدّة الّتي تمّ فيها توظيف هذه الأموال في الاستثمار، بحيث كلّ ما كانت القيمة النّقديّة الّتي يضيفها الاستثمار إلى رأس المال المُستثمَر أكبر، ومُدّة الاستثمار أقلّ كان الرِّبح أوفر وأسرع والعكس صحيح، وبهذا فالقيمة النّقديّة المُضَافَة إلى رأس المال تُقيِّم وفرة الرِّبح، ومدّة الاستثمار تُقيِّم سرعة الرِّبح. وحينما نأتي إلى الاستثمار في اللّغة بصفة عامّة والعربيّة بصفة خاصّة، فإن تقييم الاستثمار فيها يكون كذلك اعتمادا على تقييم مداخيل الاستثمار في اللّغة والقيمة النّقديّة الّتي يضيفها هذا الاستثمار في اللّغة إلى رؤوس الأموال أو ميزانيّة الدُّول؛ حيث تكون فيها مدّة الاستثمار مؤشِّرا على سرعة الرِّبح، وقيمة العائد مؤشرا على وفرة الرِّبح.

1- التّعليم: يُعَدُّ التّعليم مجالا للاستثمار في اللّغة، باعتباره مؤسسة قاعديّة تقوم أساساً على وظيفيّة اللّغة في هذا المجال، الّذي يُعَدُّ بالنسبة للفرد وسيلة لتحصيل المعرفة العلميّة، وتطوير الذّات فكريّا واجتماعيّا، في حين يمثِّل بالنّسبة للدّول والمجتمعات وسيلة لتحقيق التقدم العلمي وتطوير المجتمع وذلك في اعتماد التّعليم وسيلة لتحقيق هدفين أساسين هما: **أولا: توطين المعرفة العلميّة، وثانيا: توفير اليد العاملة المؤهّلة لتسيير القطاعات الاقتصاديّة في المجتمع، بما فيها قطاع الزّراعة وقطاع الصّحة وقطاع الهندسة وقطاع الصّناعة.**

1-1 توطين المعرفة العلميّة: يُقصَد بتوطين المعرفة العلميّة، هو نشرها بين جميع أبناء الوطن حتّى تكون مُلْكَ أكبر عدد من أفراده. ويَتِمُّ تحقيق هذا الهدف في الدّول والمجتمعات، باستثمار لغة جامعة بين أبنائها في التّعليم، تمنحُ الفرصةَ نفسها لجميع أفراده في تحصيل المعرفة العلميّة، وتُمَكِّنُ من نشر هذه المعرفة على نطاق واسع من المجتمع؛ وهو ما لا تحقِّقه لغة أجنبية عنه مهما كان تفوقها العلميّ؛ لأنّ اللّغة الجامعة والعملة الوطنيّة لهما الدّور نفسُه؛ باعتبارهما رمزا للوحدة الوطنية، فإذا كانت المعاملة التّجارية داخل الوطن لا تتمُّ إلا بوحدة العملة الوطنية، فكذلك التواصل الاجتماعي أو العلمي على مستوى الوطن لا تحققه إلا لغة وطنيّة جامعة/مشتركة، "وإذا كانت العملة الوطنيّة من

مقومات السّيادة الوطنيّة ولا يمكن أن تحلّ محلها عملة أجنبيّة؛ فإنّ اللّغة الوطنيّة كذلك هي من أهم أدوات تعزيز المواطنة." (صليبه نجوى، 2015) ولا يمكن أن تحلّ محلّها لغة أجنبية تحقق هذه الوطنيّة، أو تضمن التواصل الاجتماعي والعلمي أو توطين المعرفة العلميّة، في استثمارها اقتصاديًا في التّعليم لتحقيق هذا الهدف.

وقد نجحت الدّول المتقدّمة في استثمار لغاتها في توطين المعرفة العلميّة، ما جعلها تتحوّل في ظرف وجيز إلى مجتمعات منتجة للمعرفة، وذلك بعد علمها يقينا أنّ "الاستثمار في اللّغة الوطنيّة، يعني الاستثمار في توطين الصّناعة، والتّجارة، والتقنيّة، والمعارف المختلفة، ولا يمكن أنْ يتحقّق أي نجاح إلا بإتقان اللّغة الوطنيّة، وتوظيفها، وتفعيلها في جميع المجالات." (صليبه نجوى، 2015) الّتي يمكن أنْ تُستثمَر فيها اللّغة وتُوظف بشكل يعود على المجتمع بتحقيق المنفعة أو العائد الماديّ. "وقد أثبتت تجارب هذه الأمم أنّ تحقيق التّنميّة، والتّقدّم العلميّ والتكنولوجيّ، والحدّ من التّبعيّة، يتطلّب استيعاب المعرفة وتوطينها والإبداع فيها باللّغة **الوطنيّة الجامعة**، حتّى ولو كان عدد مستعمليها قليلا، وما حقّقته كوريا الجنوبيّة، وإيرلّندة، وإسرائيل على سبيل المثال يؤكّد المقولة السّابقة." (ولد خليفة محمد العربي، ج1 2012) كما يدحض فرضيّة أنّ نشر المعرفة وتوطينها في مجتمع من المجتمعات، يمكن أن

يتحقّق بلغة يُشتَرط فيها الاتصاف بالعلميّة فحسب، بغضّ النّظر عن صفتها أو علاقتها بالمجتمع.

2-1 توفير اليد العاملة المؤهّلة لتسيير القطاعات الاقتصاديّة في المجتمع: تسعى الدّول لتوفير اليد العاملة المؤَهّلة لتسيير القطاعات الاقتصادية بما فيها قطاع **الزراعة وقطاع الصّحة وقطاع الهندسة والبناء وقطاع الصناعة**، في توجيه تخصّصات تعليمها عامّة والتّعليم العاليّ خاصّة نحو هذه القطاعات؛ لتحقيق الاكتفاء الذّاتيّ من حيث الإنتاج؛ حيث " تضع هذه الدول خططها بعيدة المدى، على أسس من استثمار نتائج التعليم في إزالة الأميّة الوظيفية في قطاعات الإنتاج، وهو ما جعل السياسة اللغوية في بعض الدول المتقدمة ضمن مسؤوليات وزارة المالية." (درّاج أحمد، 2007) ولضمان الدّول أكثرَ عدد من المُؤهّلين لتسيير هذه القطاعات، تعمل على الاستثمار في لغاتها في نشر المعرفة العلميّة؛ حتّى يحظى جميع أبنائها بنفس الفرصة في امتلاك المعرفة العلميّة المُؤهِلة، على أساس أنّ التّعليم بلغة أجنبيّة مهما كان تفوقها العلميّ، يعدّ من جهة زيادة في تكلفة التّأهيل العلميّ لليد العاملة، ومن جهة ثانية تبديداً وتضييعا للطّاقة البشريّة التي يمتلكها المجتمع في التّأهيل العلميّ؛ بسبب حاجز اللّغة الأجنبيّة الّتي لا تتاح ملكتها إلّا لقلّة من أبنائه، أو تفرض عليهم المرور بمرحلتين في التّحصيل العلميّ، **أولا:** تعلّم اللّغة الأجنبيّة **وثانيًا:** تعلّم المعرفة

العلميّة، وعادة ما يضيع جهد معظم المتعلّمين في المرحلة الأولى، وهو ما يزيد في تكلفة التّعليم، ويعمل على تعطّيل جزء من أفراد المجتمع عن تحصيل المعرفة العلميّة المؤهِّلة.

ويتّضح بهذا أنّ الاستثمار في اللّغة الأجنبيّة في التّعليم مكلف من جهة وغير مربح من جهة ثانية؛ إذ يقلّل التّعليم باللّغة الأجنبيّة من مردوديّة التّعليم في تخريج اليد العاملة المؤهّلة؛ ما يضطّر المجتمع إلى اللّجوء في تغطية الطّلب على القطاعات الاقتصاديّة إلى استيراد اليد العاملة أو المنتوجات الاستهلاكيّة بالعملة الصّعبة الباهظة الثّمن، وهو ما تعيشه دول الوطن العربيّ؛ حيث تظهر مؤشِّرات العجز فيها في ما يتعلّق بكل من قطاع الزّراعة، وقطاع الصّحة، وقطاع الصّناعة، وقطاع الهندسة، على مستوى الإنتاج أو اليد العاملة، في ما يلي:

- تحوّل الوطن العربيّ إلى سوق لترويج السّلع الأجنبيّة الصّينيّة والأوربيّة والأمريكيّة؛ بدل تحوّله إلى سوق منافس؛

- عجز معظم دول الوطن العربيّ عن تحقيق اكتفائها الذّاتي في المواد الغذائيّة الأساس؛ (ينظر: المنظّمة العربيّة للتنميّة الزّراعيّة، 2013، ص30).

- عجز دول الوطن العربي عن تغطية حاجيات قطاع الصحة من الأدوية والأطباء والمستشفيات؛ ما جعلها تلجأ إلى استيراد الأدوية بالعملة الصّعبة، وخدمات الأطباء الأجانب بأثمان باهظة؛

- لجوء دول الوطن العربيّ إلى اليد العاملة الأجنبيّة الباهظة الثّمن، وتسليمها كبرى المشاريع والمنشآت الضّخمة (آبار النّفط، والجسور العملاقة، والأنفاق، والعمارات السّكنيّة، والملاعب، والعمارات الشّاهقة، وخطوط السّكك الحديديّة، والطرقات... إلخ) إلى الشّركات الأجنبيّة، بالعملة الصّعبة.

وكلّ هذه المؤشرات وغيرها دليل على العجز الاقتصاديّ لدول الوطن العربيّ، الذي ترتبط أسباب العجز فيه، باللّغة المستثمرة في التّعليم العاليّ العربيّ؛ حيث يتم تعليم التّخصّصات العلميّة المفتوحة على القطاعات الاقتصادية، بما فيها قطاع **الزّراعة، والصّحة، والصّناعة، والهندسة**، باللّغة الأجنبيّة (الإنجليزية/الفرنسيّة) بدل اللغة العربيّة، وهو ما ابتعد بالتّعليم في الوطن العربيّ عن تحقيق هدفه الحقيقيّ من توطين المعرفة العلميّة، وتوفير اليد العاملة المؤهّلة لتسيير هذه القطاعات، مع العلم أنّ الاستثمار في اللّغة الأجنبيّة في تحقيق هذين الهدفين **مُكلِف من جهة، وأقلّ عائد من جهة ثانية من النّاحية الاقتصاديّة**؛ إذ إنّ المعرفة العلميّة الّتي يتمّ نشرها باللّغة الأجنبيّة تتطلّب أموالا باهظة، تُنفَق على تعليم اللّغة الأجنبيّة أوّلا، ثمّ إنّ مستوى انتشار المعرفة في المجتمع يظلّ محدودا على عدد أفراده الذين حصّلوا ملكة اللّغة الأجنبيّة، وهو ما يقلّل من نسبة تأهيل اليد العاملة، وبالتّالي قلّة الإنتاج والخدمات. "كما أنّه لا أحد برهن على الفوائد الاقتصاديّة الجماعيّة

لاختيار اللغة الأجنبيّة لهذه الوظائف الامتيازيّة؛ بل إنّ المؤشّرات العامّة تدل على أنّ العربيّة، هي اللّغة ذات الفوائد الاقتصاديّة والتّواصليّة على أرضها، وإنْ كان هذا لا يتنافى ودعمها بلغات أخرى، وفي طليعتها الإنجليزية، والفرنسيّة، والألمانيّة" (الفاسيّ الفهريّ عبد القادر، 2012، ج1، ص17-18) باعتبارها لغات ذات قيمة اقتصاديّة عالية في سوق اللّغات الّذي يَعتمِد فيه بعضُها بعضًا في التّبادل المعرفيّ، ويتمّ دعم العربيّة أو غيرها من اللّغات من هذا التبادل المعرفيّ عن طريق الأبحاث العلميّة والتّرجمة، لتوطين المعرفة العلمية في البلدان العربيّة باللّغة العربيّة.

ويتنافى إذَنْ التّعليم باللّغة الأجنبيّة **علميًا** مع شرط توطين المعرفة العلميّة، وبناء مجتمع العلم والمعرفة، على أساس أنّ هذا الهدف يتحقّق بلغة نابعة من المجتمع، جامعة بين أبنائه على مستوى التواصل الاجتماعي أو العلميّ. كما يتنافى **اقتصاديّا** مع تأهيل اليد العاملة بأقل تكلفة؛ على أساس أنّ المعرفة العلميّة الّتي يتمّ تعليمها باللّغة الأجنبيّة تتطلّب أموالا باهظة، تُنفَق على تعليم اللّغة الأجنبيّة أوّلا. وتفاديا لما وقعت فيه دول الوطن العربيّ، "اتّجه العالم المتقدم كلّه نحو تعظيم العائد الاقتصادي لاستخدام اللغة الأم، بعد أن أثبتت أحدث النظريات الاقتصادية... أنّ الاستثمار في تعليم اللغة الأصليّة في المجالات التّكنلوجيّة، يعد استثمارا مثاليا طويل الأجل تتعاظم

فوائده كلّما أحسنت المؤسسات التعليمية والثقافية إدارته واستشراف أهميته" (درّاج أحمد، 2007) وهذا بعلم دول العالم المتقدّم يقينا أنّ الاستثمار في اللّغة الوطنيّة في توطين المعرفة وتأهيل اليد العاملة وتوفيرها، أجدى من الاستثمار في اللّغة الأجنبيّة مهما كان تفوّقها العلميّ.

ويمكن على هذا الأساس رصد العائد الاقتصادي لاستثمار دول الوطن العربيّ اللّغة العربيّة في مجال التّعليم، في ما يلي:

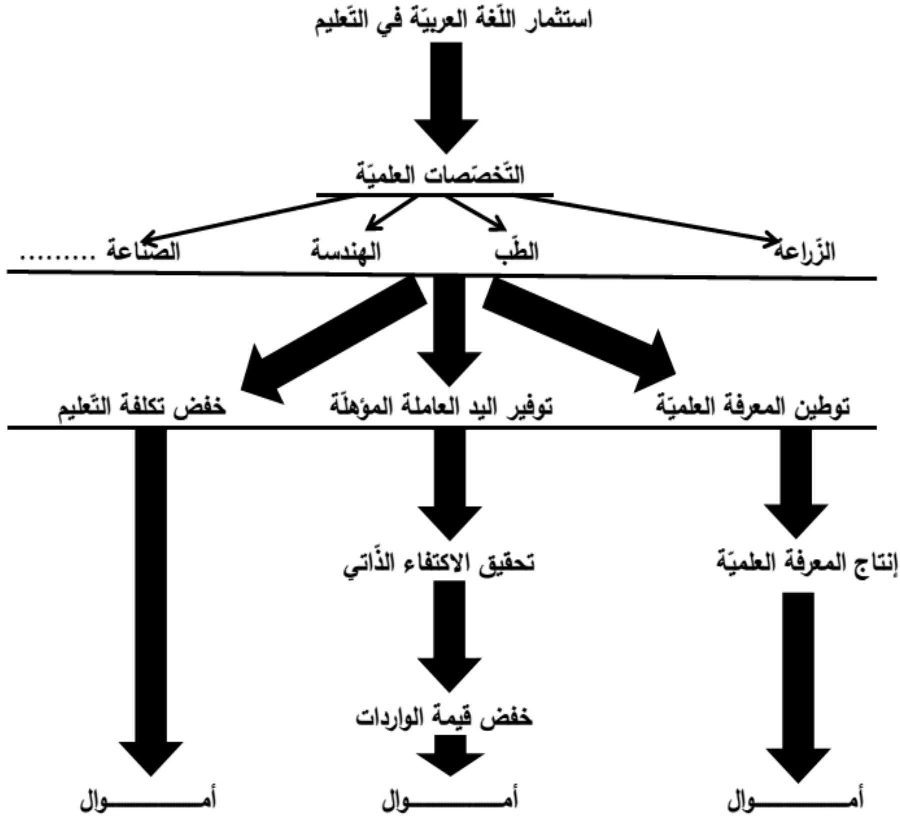
- توطين المعرفة العلميّة؛

- خفض تكلفة التّعليم وتأهيل اليد العاملة، بربح تكلفة تعليم اللّغة الأجنبيّة؛

- توفير اليد العاملة المؤهّلة لزيادة الإنتاج؛

- تحقيق الاكتفاء الذّاتي لخفض قيمة الواردات.

وتعدّ هذه العائدات الاقتصاديّة لاستثمار اللّغة العربيّة في مجال التّعليم، على خلوها من الإحصاءات النّقديّة، ذات عائد اقتصاديّ نقديّ عال، لما تلعبه اللّغة العربيّة من دور في خفض تكلفة التّعليم وتوفير اليد العاملة المؤهلة، وهو ما لا يعجز عن تحقيقه الاستثمار في اللّغة الأجنبية في هذا المجال، الذي يتطلّب باللّغة الأجنبيّة أموالا باهظة في تعليم اللّغة الأجنبيّة، وإجراء التّربصات العلمية خارج البلدان العربية بالعملة الصّعبة؛ كما يقلِّل من مردودية التعليم في تخريج اليد العاملة المؤهلة.



2- البحث العلمـيّ: يُعَدٌ البحث العلميّ أحد مجالات الاستثمار في اللّغات، وسوقا من الأسواق الاستثماريّة فيها، لِمَا للبحث العلميّ من دور في إنتاج المعرفة العلميّة، ذات العائد الاقتصاديّ العاليّ في السّوق المحليّة والعالميّة؛ ولِمَا للّغة فيه من دور في تعزيز البحث العلميّ في المجتمع، وزيادة فرص العمل فيه، إضافة إلى توفير الأسواق المحلّية والعالميّة؛ حيث يمكن اعتبار المناطق النّاطقة بلغة من اللّغات سوقا لترويج الإنتاج العلميّ أو الأدبيّ لهذه اللّغة، وتحقيق العائد الاقتصاديّ من استثمارها

في مجال البحث العلميّ وإنتاج المعرفة. وهذا بناء على "أنّ اللّغة الوطنيّة ثروة اقتصاديّة، وأنّ تراكم المعرفة بها يعادل تراكم الثروة المادية في باطن الأرض أو على ظهرها، وفي خزائن البنوك الوطنيّة. وهذا هو الأساس الذي تعتمد عليه الدول المتحضرة، التي تعرف أن العلم والبحث العلمي قاطرة التقدم لأي مجتمع" (درّاج أحمد، 2007) يعتمد لغته في ممارسة التّعليم والبحث العلميّ من أجل توطين المعرفة وإنتاجها في آن واحد باعتبار أن توطين المعرفة يجعل كل فرد من أفراد المجتمع، له قابليّة تطوير تلك المعرفة التي حصّلها لإنتاج معرفة جديدة تُعَدٌّ موردا ماليًا في عرضها في السّوق العلميّة.

وبناء على هذا يمكن تمثُّل مُجمَل عائدات الاستثمار في اللغة عامة واللغة العربية خاصة في مجال البحث العلميّ في ما يلي:

- زيادة فرص العمل وتوفير مناصب شغل لخريجي جامعات الوطن العربيّ، وهو ما يعني تحويل رأس المال البشري من حالة استهلاك إلى حالة إنتاج للمعرفة؛

- زيادة الإنتاج العلميّ للّغة العربيّة، وهو ما يزيد من قيمتها العلميّة في السّوق المحلّية والعالميّة ويزيد من فرص الرِّبح في الاستثمار فيها؛

- توفير الأسواق المحلّيّة والعالميّة للإنتاج العلميّ باللّغة العربيّة؛

ويُقدّر عدد النّاطقين باللّغة العربيّة بـ 6,66% من سكان العالم، ما يعني اتّساع السّوق العالميّة للاستثمار في اللّغة العربيّة في مجال البحث العلميّ وإنتاج المعرفة، مقارنة بغيرها من اللّغات الّتي تعرف انتشارا محدودا في العالم ما يجعل الاستثمار فيها في مجال البحث العلميّ أقلّ عائد، لكون إنتاجها العلميّ يعرف محدوديّة الطّلب في الأسواق العالميّة، ما يقلِّل من قيمة مبيعاتها ومن هذه اللّغات الألمانية 2.77%، والفرنسية 3.05%، والبنغالية 3.19% والبرتغالية 3.26%، والرّوسية 3.95%، وغيرها من اللّغات التي تعرف انتشارا محدودا من الكرة الأرضيّة، خلافا للّغات ذات الانتشار الواسع، والتي هي اللغة الإنجليزية 25%، ولغة الماندرين الصّينيّة 18.05%، واللّغة الهنديّة 11.51%، واللّغة العربيّة، (ينظر: موقع قناة RT Arabic، 2015) ما يجعلها ذاتَ عائد اقتصاديّ أكبر من غيرها في استثمار اللّغات في مجال البحث العلمي.

وإذا اعتبرنا أنّ الاستثمار في اللغة العربيّة في مجال البحث العلميّ، ذو عائد اقتصادي عال، فإنّ ارتفاع نسبة الأرباح في استثمار اللّغة العربيّة في هذا المجال يرتبط بما يلي:

- توسيع مجالات البحث العلميّ باللّغة العربيّة على مختلف تّخصصات العلوم الإنسانيّة والطبيعيّة؛

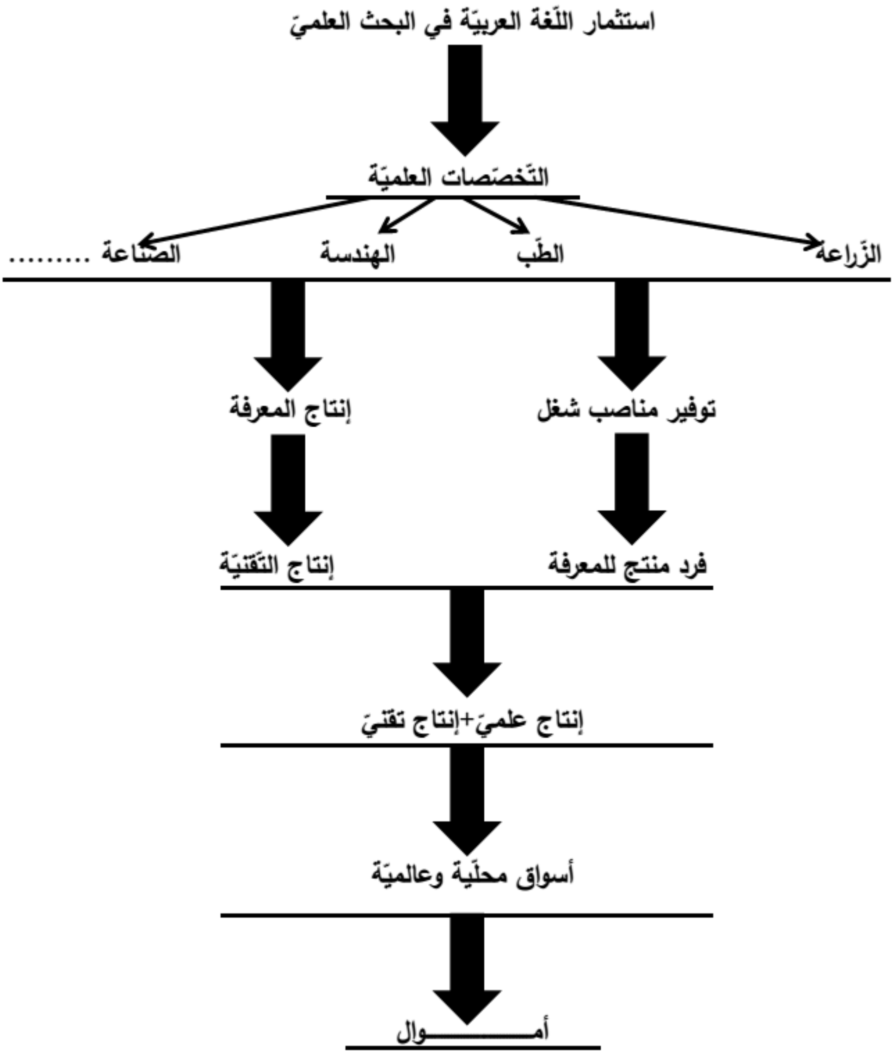
- تركيز البحث العلميّ باللّغة العربيّة على التّخصّصات ذات الطّلب المتزايد في الأسواق المحلّية أو العالميّة، بما فيها علوم الزّراعة، والطّب والهندسة، والصّناعة.

وإذا كانت فرص الرّبح وارتفاع نسبة الأرباح في استثمار اللّغة في مجال البحث العلميّ ترتبط بتوسيع مجالات البحث العلميّ، وممارسته في التّخصصات العلمية ذات الطّلب المتزايد والمقروئيّة العالية، فإنّ سرعة الرّبح في استثمار اللّغة في هذا المجال، ترتبط بتطوير آليات البحث العلميّ وأدواته؛ وفقا لِمَا يلي:

- توفير مؤسّسات البحث العلميّ، وتشجيع البحث العلميّ الفرديّ والجماعيّ؛

- تأمين أدوات البحث العلميّ باللّغة العربيّة ورقيّا وإلكترونيّا، بما فيها المصادر والمراجع والمعاجم والقواميس والموسوعات العلميّة؛

- اعتماد النّشر الورقيّ والإلكترونيّ.


استثمار اللّغة العربيّة في البحث العلميّ
التّخصّصات العلميّة
الزّراعة
الطّب
الهندسة
الصّناعة ....
توفير مناصب شغل
إنتاج المعرفة
فرد منتج للمعرفة
إنتاج التّقنيّة
إنتاج علميّ+إنتاج تقنيّ
أسواق محلّية وعالميّة
أمــــــوال

3- التّرجمة: نعتبر التّرجمة مجالا للاستثمار في اللّغات، بعدِّنا حركة التّرجمة في بلد ما سوقا استثماريّة لتوظيف اللّغة الهدف في تحقيق العائدات والأرباح، الّتي تزداد فرصها وسرعتها كلّما اتسعت مجالات التّرجمة وآلياتها؛ حيث يكمن دور توظيف اللّغة الهدف في مجال التّرجمة في زيادة فرص العمل في المجتمع، وزيادة الإنتاج العلميّ للّغة الهدف، وهو ما يزيد من قيمتها العلميّة في السّوق المحلّية والعالميّة، إضافة إلى خفض تكلفة تحصيل المعرفة العلمية. وبناء على هذا يمكن تمثّل مجمل عائدات الاستثمار في اللغة عامة واللغة العربية خاصة في مجال الترجمة في ما يلي:

- زيادة فرص العمل لخريجي الجامعات، وهو ما يعني نقل الفرد من حالة استهلاك إلى حالة إنتاج؛

- نقل المعرفة العلميّة الّتي لا تتوفّر عليها اللّغة الهدف، بدل الانتقال إلى اللّغة المصدر لتحصيلها، وهو ما يُكلِّف ميزانيّة المجتمعات خسائر مالية معتبرة، ما يعني خفض تكلفة تحصيل المعرفة العلميّة؛

- زيادة الإنتاج العلميّ للّغة الهدف، وهو ما يزيد من قيمتها العلميّة في السّوق المحلّية والعالميّة ويزيد من فرص الرِّبح في الاستثمار فيها؛

ويظهر بهذا أنّ الاستثمار في اللّغة في مجال التّرجمة، استثمار ذو عائد اقتصاديّ عال، تعود فوائده على المجتمع واللّغة

في آن واحد، لما يقدِّمه استثمار اللّغة في هذا المجال للمجتمع من زيادة في فرص العمل، وخفض تكلفة تحصيل المعرفة العلميّة، ولما يضيفه للّغة المستثمرة في حدّ ذاتها من قيمة علميّة، تحتاج اللّغة إلى سنوات من البحث والإنتاج العلميّ لتحصيلها "فحيثما اعتُبِرت اللّغات ثروات اجتماعيّة، فإنّ التّرجمة يجب أنْ تُفهَم باعتبارها استثمارا طويل الأمد؛ من أجل الحفاظ على قيمتها أو زيادتها. وحيث إنّ كلّ ترجمة إلى لغة تضيف قيمة إليها، فإنّه يمكن النّظر إلى مجمل كلّ التّرجمات إلى لغة ما، باعتباره مؤشّرا آخَرَ على قيمتها" (كولماس فلوريان، 2000، ص95) في سوق اللّغات الّذي تزداد فيه اللّغة قيمة، وتزداد فرص الرّبح في الاستثمار فيها، بقدر ما تضيفه لها التّرجمة من معرفة علميّة.

وبالنّظر إلى وظيفة اللّغة العربيّة في المجتمع العربيّ، نجد استثمارها في مجال الترجمة أضحى مطلبا اقتصاديًا وعلميًا في آن واحد؛ "حيث تشكّل العربيّة الأداة الأولى للتّواصل، والأداة الأساس لتحديد هويّة العربيّ ودينه، وبالانطلاق من دور اللّغة العربيّة ووظيفتها داخل المجتمع العربيّ، فإنّه يتحتم على كلّ القوى الثّقافيّة، والسّياسيّة، والاجتماعيّة في العالم العربيّ -السّياسيّة منها والمدنيّة- أن تعمل على دعم حركة التّرجمة، والإسهام في تفعيلها على المستويات كلّها. فالتّرجمة إلى العربيّة إغناء لها وتعزيز لبنائها؛ طالما أنّ ما يُتَرجم، يعبّر عنه باللّغة العربيّة، وأنّه مؤهّل لأنْ يدخل في أساس بناء الهويّة

العربيّة" (بركة بسّام، 2012، ص9-10) لأنّ ما يُتَرْجَم إليها وإن لم يكن ينتمي إليها من خلال الابتكار، أمكنه أن ينتمي إليها عن طريق اللّغة العربيّة.

ويمكن على هذا الأساس عدٌّ الاستثمار في اللّغة العربيّة في مجال التّرجمة، استثمارا ذا عائد اقتصاديّ عالّ، يتمثّل في زيادة فرص العمل لخريجي الجامعات في الوطن العربي، بما يعني تحويل الفرد العربي من مستهلك إلى منتج للمعرفة، وكذلك زيادة الإنتاج العلميّ للّغة العربيّة، ما يزيد من قيمتها العلميّة في السّوق المحلّيّة والعالميّة، إضافة إلى نشر المعرفة العلميّة في المجتمع العربيّ وتوطينها فيه بدل نقله إلى اللّغة المصدر لتحصيلها، وهو ما يكلّف ميزانيّة الدّول العربيّة خسائر مالية معتبرة في نقل المجتمع بأكمله إلى اللّغة الأجنبيّة مصدر المعرفة العلميّة.

ويشترك بهذا استثمار اللغة العربيّة في مجال الترجمة مع استثمارها في مجال البحث العلميّ في العائد الاقتصادي، باعتبارهما إنتاجا علميّا يقوم أساسا على توظيف اللّغة ورأس المال البشريّ؛ حيث يسهم كلٌّ منهما في زيادة فرص العمل في المجتمع، والإنتاج العلمي للغة العربية ما يزيد من قيمتها العلمية في الأسواق المحلية والعالمية، كما يشترك استثمارها في التّرجمة مع استثمارها في التّعليم في خفض تكلفة نشر المعرفة العلميّة وتوطينها في المجتمع؛ حيث توفّر التّرجمة على المجتمع الانتقال كليا إلى اللغة المصدر لتحصيل هذه

المعرفة. والتّرجمة بهذا -وإنْ كانت مساهمتها تتمّ بشكل غير مباشر على عكس التّعليم تبقى إحدى الوسائط التي تُعتَمد في إنتاج المعرفة العلميّة ونشرها وتوطينها في المجتمع، إذا كانت وفق تخطيط يتماشى وحاجيات البحث العلميّ.

وإذا اعتبرنا أنّ الاستثمار في اللغة العربيّة في مجال البحث العلميّ، ذو عائد اقتصادي عال، فإنّ ارتفاع نسبة الأرباح في استثمار اللّغة العربيّة في هذا المجال يرتبط بما يلي:

- توسيع مجالات إلى اللّغة العربيّة على مختلف تّخصصات العلوم الإنسانيّة والطبيعيّة؛

- تركيز الترجمة إلى اللّغة العربيّة على التّخصّصات ذات الطّلب المتزايد في الأسواق المحلّية أو العالميّة، بما فيها علوم الزّراعة، والطّب والهندسة، والصّناعة.

وإذا كانت فرص الرّبح وارتفاع نسبة الأرباح في استثمار اللّغة في مجال التّرجمة ترتبط بتوسيع مجالات الترجمة، وممارستها في التّخصصات العلمية ذات الطّلب المتزايد والمقروئيّة العالية، فإنّ سرعة الرّبح في استثمار اللّغة في هذا المجال، ترتبط بتطوير آليات الترجمة وأدواتها، وفقا لِمَا يلي:

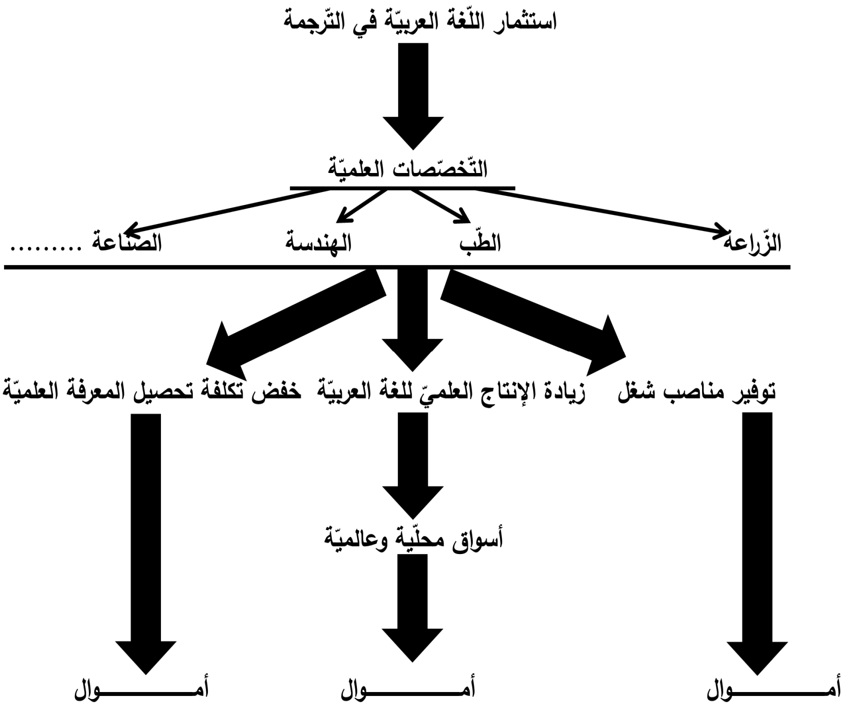
- توفير مؤسّسات التّرجمة؛ وتشجيع الترجمة الفردية والجماعية؛

- تطوير التّرجمة الآلية من اللّغات المصدر إلى اللّغة العربيّة؛

- تأمين أدوات التّرجمة بما فيها المعاجم والقواميس والبنوك المصطلحيّة لمختلف العلوم؛

- توجيه خريجي أقسام التّرجمة وأقسام اللّغات الأجنبية نحو ترجمة الكتب العلميّة في بحوثهم الأكاديّميّة؛

- تشجيع التّرجمة الثّنائيّة بين خريجي أقسام اللّغة العربيّة وأقسام اللّغات الأجنبيّة على ترجمة الكتب العلميّة.



4-الإعلام: يمثِّل الإعلام بشتى أنواعه المكتوب والمسموع والمرئي سوقا استثماريّة لتوظيف اللغة في تحقيق العائدات والأرباح؛ حيث يكمن دوره في المجتمعات في تزويد الأفراد بالأخبار المحلّية والدّولية كما يُعَدُّ سوقا ترويجيّة للمنتوجات المحلّيّة والأجنبيّة، في حين يكمن دور اللّغة فيه، في توسيع دائرة النّشر الإعلاميّ وزيادة عدد الجماهير الإعلاميّة قُرّاء ومستمعين ومشاهدين، ما يزيد من فرص عرض المنتوج وتسويقه عبر الإشهار أو الإعلان المصاحب للبرنامج الإعلاميِّ أو لمقال الصّحيفة الإعلاميّة. وهذا بعلمنا أنّ ما يهمُّ المستثمر في الإعلام، هو زيادة عدد المشاهدين أو القراء لزيادة فرص عرض المنتوج وتسويقه، فإنه "ليس غاية الإعلاميّ البحث عن متعة المتلقي أو تنمية ذوقه الجمالي، بل غايته مقتصرة على البحث عن ذروة المشاهدة الكبرى، بما تدرِّه من أرباح مرتبطة بالإعلانات، ما يوضِّح أنّ الإعلاميّ لا يضع في اهتماماته المُشاهِد، بل الهدف هو الوصول إلى أكبر عائد من المكاسب المالية" (الحقيوي سليمان، 2011) الّتي تحققها الإعلانات والإشهارات في عرض المنتوجات على الجماهير الإعلاميّة وتسويقها، وهو ما تزيد لغة البرنامج الإعلاميّ من فرصه؛ بحيث كلّ ما كانت لغة البرنامج/المقال موافقة للغة المشاهد/المستمع/القارئ، زاد عدد المشاهدين/المسمعين/ القرّاء، وزادت معه فرص عرض

المنتوج وتسويقه وزادت معه فرص الرّبح، والعكس صحيح. مثلما توضِّحه التّرسيمة الآتية:

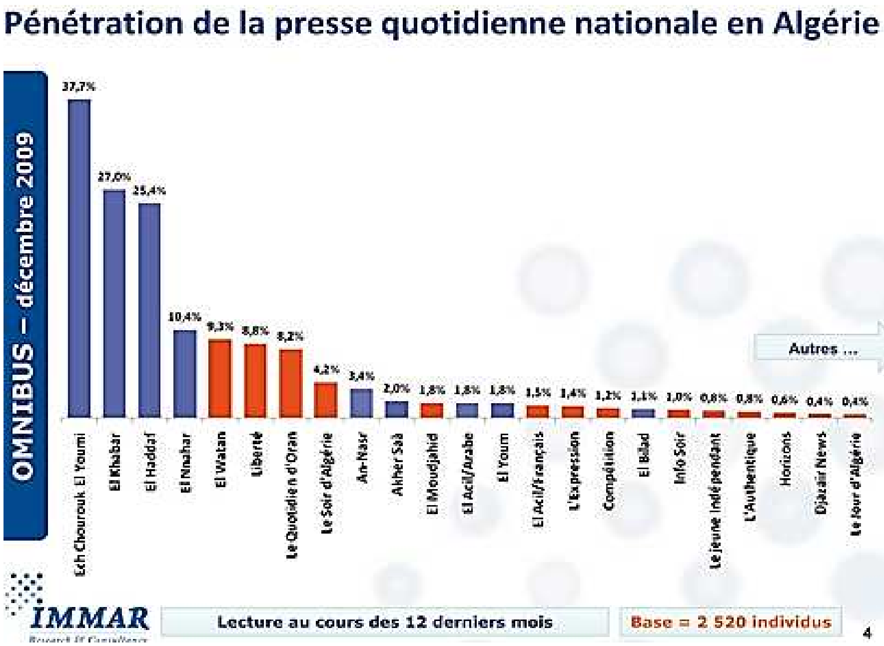
لغة البرنامج الإعلاميّ = لغة (المشاهد / المستمع / القارئ) ⇔ زيادة عدد (المشاهدين / المستمعين / القرّاء) ⇔ زيادة العرض الإشهاريّ للمنتوج ⇔ زيادة تسويق المنتوج ⇔ زيادة الأرباح.

لغة البرنامج الإعلاميّ ≠ لغة (المشاهد / المستمع / القارئ) ⇔ نقص عدد (المشاهدين / المستمعين / القرّاء) ⇔ نقص العرض الإشهاريّ للمنتوج ⇔ نقص تسويق المنتوج ⇔ نقص الأرباح.

ويتفاوت الإعلام المقروء، والمسموع، والمرئيٌّ في عدد الجماهير الإعلاميّة، ما يجعله يتفاوت في نسب الأرباح في استثمار اللّغة في هذا المجال؛ حيث نجد الإعلام المرئيّ أكثر جماهيريّة من النوعين الآخرين (المقروء والمسموع) ما يجعله أفضل مجال لاستثمار اللّغة.

وتمثِّل اللّغة العربيّة لسان 422000000 نسمة (أربع مئة واثنين وعشرين مليون) من سكان العالم ما يجعلها بالنسبة للمستثمرين في مجال الإعلام العربيّ وتسويق المنتوجات، أداة استثماريّة مربحة، على خلاف الاستثمار في اللّغات الأجنبيّة في الإعلام العربيّ؛ حيث عائداته الاقتصاديّة أقل بكثير من عائدات الاستثمار في اللّغة العربيّة في هذا المجال. وتؤكّد مقروئيّة الصّحف الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربية هذه الحقيقة الاقتصاديّة؛ حيث عدد قرّاء الصّحف المكتوبة بالعربيّة، ظلّ يشهد ارتفاعا مضاعفا مقارنة بعدد قرّاء الصّحف المكتوبة باللّغة

الفرنسيّة؛ الذي ظلّ يشهد انخفاضا ملحوظا، نحو ما يوضّحه الرّسم البيانيّ الآتي (بوكروح عبد الوهاب، 2010):



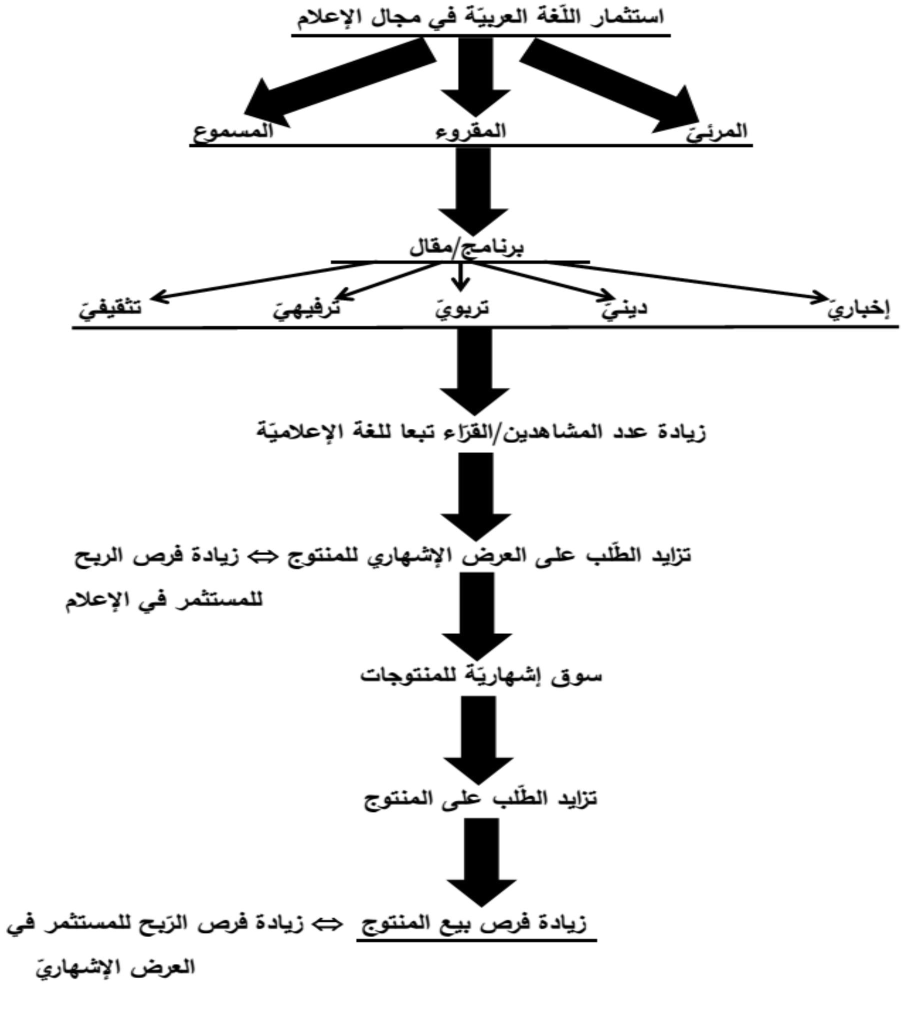
ويوضِّح الرّسم البياني الارتفاع الحاصل في عدد قرّاء الصّحف الجزائريّة المكتوبة باللّغة العربيّة مقارنة بالانخفاض الحادّ في عدد قرّاء الصّحف المكتوبة باللّغة الفرنسيّة؛ حيث تأتي كل من جريدة الشروق والخبر والهدّاف والنهار في المراتب الأولى، بنسب مقروئية عالية تصل على التوالي إلى 37,07%، و27%، و25%، و10,04%، في حين تأتي كل من جريدة الوطن والحرية ويوميّة وهران وتاريخ الجزائر في المراتب الدنيا، بنسب مقروئيّة منخفضة تصل على التوالي إلى 09,03% و08,08%، و08,02%، و04,02%. ومثلما انطبق الأمر على

الصّحف الجزائريّة ينطبق على الصّحف العربيّة عامّة؛ ما يؤكّد أنّ الاستثمار في اللغة العربيّة في مجال الإعلام العربيّ المقروء، ذو عائد اقتصاديّ أفضلَ بكثير من عائد الاستثمار في لغة أجنبية في هذا المجال.

وينطبق الأمر نفسه على مجالي الإعلام العربـيّ المسـموعِ والمرئيِّ؛ حيث الاستثمار في اللّغة العربيّـة فـي مجـال الإعـلام المرئيّ خاصّة ذو عائد اقتصاديّ عال، جعل كبـار المسـتثمرين في الإعلام يؤسِّسون عدّة قنـوات ناطقـة باللّغـة العربيّـة، منهـا الإخباريّة كالجزيرة الإخباريّة، والجزيرة الرّياضية، وأبو ظبيّ، والعربيّة، والحرّة، والدّينيّة كاقرأ، والرّسالة، ومكّة، والرّحمـة، وتربويّة كطيور الجنّـة، وتثقيفيّـة كناشـيونال جيوغرافيـك (National Geographic) وترفيهيّـــة كســـبيس تـــون (Spacetoon) وم.ب.س (MBC) وغيرهـــا مـــن القنـــوات النّاطقة باللّغة العربيّة. ويترجمون بعض البرامج الإعلاميّة بمـا فيها الأفلام والمسلسلات خاصّة، من اللّغـة الهنديّـة، والتّركيّـة، والصّينيّة، والإنجليزية، والفرنسيّة، إلى اللّغة العربيّة، إمّا لضيق سوق العرض الإعلاميّ للغة الإنتـاج؛ بسـبب قلّـة النـاطقين بهـا كترجمة الأفلام والمسلسلات من اللّغة التّركية والفرنسيّة إلى اللغة العربيّة وإمّا لتوسيع السّوق الإعلاميّة لهذه البرامج خـارج لغات الإنتاج في استثمار اللغات ذات الرأس المال البشريّ الهائـل

في توسيع هذه السوق الإعلاميّة، مثل نقل الأفلام والمسلسلات من اللغة الإنجليزية والهنديّة إلى اللغة العربيّة.

وبعلمنا أنّ العائدات الاقتصاديّة للاستثمار في مجال الإعلام بأنواعه تكون في العروض الإشهاريّة المصاحبة للبرامج الإعلاميّة والإعلانات المصاحبة لصفحات الجرائد، حيث كلّما كان البرنامج/الصّفحة ذا مشاهدة/مقروئيّة عالية، زادت نسبة الطّلب على العرض الإشهاريّ للمنتوج المراد تسويقه من خلال هذا البرنامج/الصّفحة، وزادت معه بذلك نسب أرباح المستثمر في هذا البرنامج/الصّفحة. ويكون الاستثمار في اللّغة العربيّة في هذا المجال باعتبارها ذات رأس مال بشري يأتي في المرتبة الرابعة عالميّا بنسبة 6,66% في توظيفها أداة إعلاميّة لزيادة فرص عدد المشاهدين/القرّاء للبرنامج/الصّفحة؛ لزيادة الطّلب على العرض الإشهاري للمنتوج، وهو ما يزيد من فرص الربح بالنسبة للمستثمر في مجال الإعلام، كما يزيد من فرص الربح بالنسبة للمستثمر في العرض الإشهاريّ، وهو ما يمكن تمثيله بالتّرسيمة الآتية:



5- التّجارة الدّوليّة: تعدّ التّجارة الدّوليّة مجالا من مجالات الاستثمار في اللّغة، باعتبار اللغة فيها أداة تجاريّة لتسويق المنتوج في الأسواق المحلّية والعالميّة؛ ولهذا يفرض قانون المبادلات التّجاريّة بين دولتين مختلفتين لغويًّا أن تكون لغة

المبادلات التّجارية وتسويق المنتوج واستخدامه أو استهلاكه هي لغة المُستورِد؛ وهذا لتحقيق التّوازن بين كلفة المنتوج وقيمته الحقيقية؛ لأنّ المنتوجات التي تُسيِّرها لغة المُصدِّر تكلّف أكبر من قيمتها، أو ذات تكلفة عالية؛ إذ تفرض على المستورد تعلُّم لغة المنتوج لمعرفة طرق استخدامه أو استهلاكه، أو تَحُدُّ من وظيفيته في الاستخدام والاستهلاك، وكلّا الأمرين يُعدّان زيادة في تكلفة المنتوج؛ باعتباره في الأوّل يفرض تعلّم لغة تسيير المنتوج ما يزيد من تكلّفته، وفي الثّاني يفرض شراء وظيفة واحدة أو أكثر للمنتج بتكلفة عدّة وظائف.

وينطبق هذا الأمر على المنتوجات الّتي تستوردها دول الوطن العربي من الدّول الأجنبيّة بتسيير اللّغات الأجنبيّة؛ مثل الهواتف والحواسيب وغيرها من المنتوجات الإلكترونيّة، والّتي لا تستخدم في الوطن العربيّ إلا في حدود ضيّقة هي الاتّصال، في حين يستخدم كلّ منهما في البلدان المصدّرة لهذا المنتوج في التّعليم، والبحث العلميّ، والتّجارة، وتسديد الفواتير، وكشف أرصدة الحسابات البريديّة والبنكيّة، وتحويل الأموال، وترتبط محدوديّة استخدام هذين الجهازين وتوظيفهما في الوطن العربي باللّغة الأجنبيّة الّتي تسيّر وظائفهما في المجتمع العربيّ.

ويتّضح بهذا أنّ المفارقات الاقتصادية التي يصنعها ترك الاستثمار في اللّغة العربيّة في مجال التّجارة العالمية،

والاستثمار في اللّغات الأجنبيّة في هذا المجال، يؤدِّي بميزانيات الدُّول العربيّة إلى دفع تكاليف باهظة على المنتوج يصل في بعض الأحيان إلى ضعف قيمته الحقيقيّة، ويكلفها خسائر مالية معتبرة، على أساس أنّ تحليل مثل هذه الحالة التجارية الّتي قد تدفع فيها كلٌ جهة تكلفة تعلم لغة الجهة الأخرى؛ حتى تُصدِّر إليها يؤدي إلى النتائج الآتية (ينظر: مراياتي محمد، 2006):

- إنّ معرفة الدّولة المُصدِّرة لغةَ الدّولة المستوردة ضروريةٌ، باعتبارها ذاتَ عائد اقتصاديّ في عملية التبادل التجاري وتسويق المنتوج، مثلها مثل تكلفة النّقل أو الشّحن مثلا؛

- تُعَدُّ الدّولة التي تستثمر في تعلُّم لغة المُصدِّر –لتستورد لا لتُصدِّر- هي **الخاسرة** في هذه المبادلات التجاريّة؛

(تخسر تكلفة تعلُّم اللّغة الأجنبيّة أو الترجمة + كلفة المنتوج=زيادة في كلفة المنتوج≠قيمة المنتوج الحقيقية).

- تُعَدُّ الدّولة الّتي تنجح في إقناع الدّول الأخرى بتعلُّم لغتها؛ لكي تصدّر إليهم هي **الرّابحة** ربحاً مضاعفاً؛

(تربح تكلفة تعلُّم لغات المُستورِدين للمنتوج أو تكلفة التّرجمة + تكلفة المنتوج).

- إنّ الترجمة وتعلّم اللّغة العلميّة الأجنبيّة مع عدم انتشار لغة العلم والتّقانة في المجتمع بلغة الأم، يفيد في الاستيراد (فائدة منقوصة)؛ ولكنّه يترافق مع ضعف في التّصدير، فهو إذاً استثمار لفائدة الدول المصدِّرة. ومن المعلوم أنّ المجتمعات غير العلمية هي مجتمعات مستوردة تتفاقم فيها البطالة، إذ إن

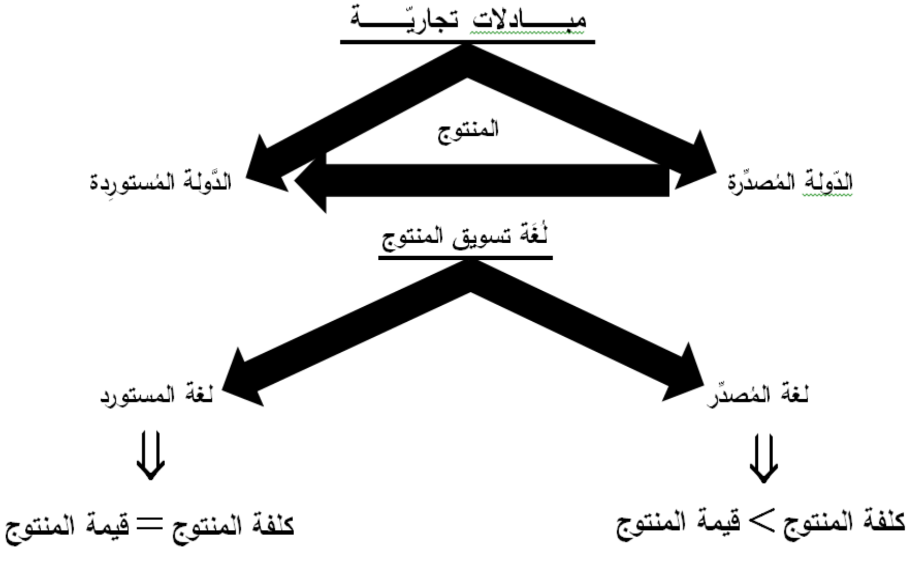
فرص العمل تتناسب طرداً مع الفرْق بين الصادرات والواردات (التصدير–الاستيراد)؛ بحيث كلما زاد الاستيراد زادت حدّة البطالة، وكلّما قلّ الاستيراد زادت فرص العمل.

وتنطبق النتيجة الأولى على الصين مثلا؛ حيث اتّجهت في بحثها عن أسواق خارجيّة في مجال التّجارة الدّولية، نحو الاستثمار في اللّغات واللّغة العربيّة خاصّة في تسويق منتوجاتها؛ ما جعلها في ظرف وجيز تتحوّل إلى أكبر متعامل تجاريّ مع الدّول الأجنبيّة ودول الوطن العربيّ، وسوقا منافسا للأسواق العالميّة في الوطن العربيّ؛ في استثمارها اللّغة العربية في تسويق منتوجاتها الإلكترونيّة خاصّة باللّغة العربيّة، ما أدى بها إلى زيادة عدد مبيعاتها، وكثرة الطلب على منتوجاتها، ومن بين هذه المنتوجات التي تمت برمجتها باللّغة العربيّة على مستوى التسويق أو الاستخدام:الحواسيب ولواحقها والبرامج الحاسوبيّة، والهواتف النّقالة، والألواح الإلكترونيّة، وألعاب الأطفال، وأجهزة التبريد والتّكييف، وأجهزة التّلفاز والرّاديو، ومؤقّتات الصّلاة، وغيرها من المنتوجات الإلكترونية ذات الطلب المتزايد في الأسواق العربيّة.

وتنطبق النّتيجة الثّانية والرابعة على دول الوطن العربيّ الذي تدفع فيه دوله في الاستيراد ضعف القيمة الحقيقية للمنتوجات المستوردة؛ حيث تتعلّم اللّغات الأجنبية وتترجم لغة تسويق المنتوجات الأجنبية إلى العربية بهدف الاستيراد؛ ما يكبد ميزانياتها خسائر مالية معتبرة في التّجارة العالميّة؛ ويقلِّل من فرص العمل في بلدانها؛ لاعتماد اقتصادها على الاستيراد

في تغطية العجز بدل الإنتاج. أمّا النتيجة الثالثة فتنطبق على الولايات المتحدة الإمريكية والدول الأوربية التي تفرض منتوجاتها على المستوردين تعلم لغاتها، ما يجعلها دوما رابحة في المعاملات التجارية العالمية.

وتؤكّد هذه المفارقات أنّ استثمار المجتمع العربيّ في اللّغة العربيّة في مجال التّجارة الدّوليّة، ذو عائد اقتصاديّ عالٍ يتمثّل في خفض تكلفة المنتوج، وزيادة وظيفيته في الاستخدام والاستهلاك، إذا ما وُضِعت اللّغة العربيّة شرطا لاستيراده من البلدان المصدّرة، فيما تزيد اللّغة الأجنبيّة من قيمة تكلفة المنتوج، وتحدّ من انتشاره واستخدامه في المجتمع العربيّ؛ في فرضها تعلُّم لغة المُنتِج أو المُصدِر. وهو ما يمكن تمثيله بالتّرسيمة الآتية:



خاتمة:

تعرّضنا في هذا البحث لموضوع الاستثمار في اللّغة العربيّة، من حيث مجالاته وعائداته الاقتصاديّة على المُستثمِر في هذه اللّغة، وعلى خلو هذه الدِّراسة من الإحصاءات النّقديّة التي تُقيِّم هذا العائد النّقديّ، لعدم وجود دراسة إحصائيّة -في حدود ما نعلم- للباحثين العرب أو الباحثين في علم الاقتصاد، تتقصى بالأرقام عائدات الاستثمار في اللغة العربية، فإنّ جملة النتائج المتوصل إليها في هذا البحث هي:

- يرتبط الاستثمار في رؤوس الأموال لتحقيق العائدات والأرباح بتوظيفها في مجالات الاستثمار؛ ما يعني أنّ الاستثمار في اللّغة العربيّة كذلك، يرتبط بتوظيفها في المجالات التي تقوم على وظيفيتها، بما فيها التعليم والبحث العلمي والترجمة والإعلام والتّجارة العالميّة باعتبارها أسواقا استثماريّة لتوظيف اللغة في تحقيق الهدف ذاته (العائدات والأرباح)؛

- يُشكِّل موضوع الاستثمار في اللّغات مبحثا علميًّا مشتركا بين علمي الاقتصاد وعلم اللّغة الاجتماعيّ؛ حيث يُعنَى الأوّل منهما بتحديد قيمة أرباح الاستثمار في اللّغة، ويعنى الثاني بتحديد دور اللغة في المجتمع؛ لتحديد مجالات الاستثمار فيها؛

- تأتي اللّغة العربيّة في المرتبة الرّابعة عالميًا من حيث عدد النّاطقين بها بنسبة 06,66% من سكان العالم، ما يعني أنّها إلى جانب رأس المال البشريّ الّذي تملكه، موردٌ من الموارد

الاقتصاديّة الهامّة، وأنّ الاستثمار فيها صار مطلبا علميّا واقتصاديّا في آن واحد؛ لما للاستثمار في اللّغة العربيّة من دور في التنمية الاقتصاديّة للمجتمع العربيّ، والتّخلص من اقتصاد الاستيراد؛

- تزداد فرص الربح في استثمار اللّغة العربيّة في توسيع مجالات الاستثمار فيها، أمّا سرعة الرّبح في الاستثمار فيها فترتبط بتطوير آليات البحث العلمي والتّرجمة؛

- يفيد استثمار الدّول العربيّة في اللّغةَ الأجنبيّة في مجال التّعليم فائدة منقوصة، باعتباره يُحُدُّ من انتشار المعرفة وتوطينها في المجتمع، ويزيد من كلفة تأهيل اليد العاملة، ويقلِّل من مردوديّة التّعليم. ويُعَدُّ اعتماد معظم دول الوطن العربيّ على الاستيراد في تغطية العجز الاقتصاديّ، مؤشرا على هذه الفائدة المنقوصة لهذا الاستثمار؛

قائمة المصادر والمراجع:

1- بركة، بسّام (2012). التّرجمة إلى العربيّة ودورها في تعزيز الثّقافة وبناء الهويّة. **مجلة تبيّن. 1** ص90-96. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات.

2- حردان، طاهر حيدر. (1997). **مبادئ الاستثمار**. عمان.

3- الحقيوي، سليمان. (2011). الخطاب السّينمائيّ المترجم: إشكالات اللّغة والتّلقي. **مجلة الرافد. 186**. تم استرجاعه في [2015-09-] على الرابط [http://arrafid.ae/arrafid/p29_6-2011.html].

4- درّاج، أحمد (2007) **العائد الاقتصاديّ للّغة الأصليّة**. تم استرجاعه في [2015-08-30] على الرابط

[http://www.muslm.org/vb/showthread.php?269168-].

5- الفاسيّ الفهري، عبد القادر. (2012). **اللّسان العربيّ الجامع: بين التّمسّك والتّنوّع والتّعدّد.** النّدوة الدّوليّة حول التّعدّد اللّسانيّ واللّغة الجامعة. الجزائر.

6- كولماس، فلوريان. (2000). **اللّغة والاقتصاد.** (تر: عوض أحمد). **في سلسلة عالم المعرفة.** الكويت: عالم المعرفة.

7- مراياتي، محمد. (2006). تأثير اللّغة في النّمو الاقتصاديّ والاجتماعيّ في الدّول العربيّة-الجزء الثّاني. **مجلّة المعلوماتيّة. 10.** الجمعيّة العلميّة السّوريّة للمعلوماتيّة، تم استرجاعه في [11-09-2015] على الرابط [http://infomag.news.sy/index.php?inc=].

8- المنظّمة العربيّة للتنميّة الزّراعيّة. (2013). **أوضاع الأمن الغذائيّ العربيّ 2013.** السّودان: جامعة الدّول العربيّة.

9- ولد خليفة، محمد العربي. (2012). **كلمة رئيس المجلس الأعلى للغة العربية.** النّدوة الدّوليّة حول التّعدّد اللّسانيّ واللّغة الجامعة. الجزائر.

10- بوكروح، عبد الوهاب. (04-04-2010). الشّروق .. الأولى، الأوسع انتشارا والأكثر تأثيرا في الشارع الجزائري، **الشّروق أون لاين.** تمّ استرجاعه في [08-09-2015] على الرابط [http://www.echoroukonline.com/ara/?news=50367].

11- صليبه، نجوى. (29 أيار (ماي) 2015). الاستثمار في اللغة العربية .. ثروة. **صحيفة تشرين أون لاين.** تم استرجاعه في [18-08-2015] على الرابط [http://tishreenonline.sy/index.php].

12- موقع قناة RT Arabic. (27-06-2015). **ترتيب لغات العالم من حيث الانتشار**، تمّ استرجاعه في [01-09-2015] على الرابط [http://arabic.rt.com/news/786982-].

علم الإسمائية علاقته العلمية، وإجراءاته
"دراسة تبونيمية لموقعيين"

د. رشيد حليم

ج. الطارف /الجزائر

الملخّص:

يساهم العاملّ الجغرافي في صياغة النظام اللّغوي ويثبته مع الإشارة أنّ نزعة التساند إلى هذا الشرط قديمة قدم البحث اللّغوي نفسه، فقد ركز عليه العرب منذ بدء تأصيلهم العلمي للمعارف، فألحوا على ضرورة ربط المادة اللّغوية أو المصدر اللّغوي « Informant » بالإقليم الجغرافي.

وبناء على هذا التوجه المعرفي، وتماشيا مع منطلقات الدرس اللساني التطبيقي، ومساهمة في إثراء مباحث هذه المعرفة، تأتي مقالتي لتكشف عن جوانب تنظيرية واخرى تطبيقية في قراءة موقعين توبونيمين حدوديين".

مقدّمة: تعدّ النصّوص اللّغوية العربية النثرية والشعرية، الفصيحة منها والدارج مادة خامّة في حاجة إلى التنقيب والبحث في كلّ جوانبها الفنية والجمالية، ورغم تنوع الدراسات الأدبية

والنقدية الكثيرة والمتنوعة حول هذا الموضوع، إلاّ أنّه مازال دفين الكتب والأوراق وماتزال بعض نقاطه غير مضاءة بعد، ومن بين تلك النقاط ما يُعرف بعلم الأنساب والأعلام والأمكنة عند العرب، وما يمثله هذا الموضوع من أهمّية ضرورية ذكرها لأنّ أسماء أعلام الأشخاص والأماكن عند العرب مثلت هويتهم وحملت أصولهم وأنسابهم مثلهم مثل الشعوب الأخرى، وقد جاءت الدراسات المستحدثة لتضيف نكهة خاصّة على هذا الموضوع، من خلال النظر إليه على أنّه منظومة من الرموز التي تحوي عدّة اختلفت باختلاف الثقافات.

ونظرا للأهمية والمكانة التي حازتها التسمية والوعي بها في شتى مناحي سلوك الإنسان العربي، فإن علماء اللّغة العرب الأوائل لم يغفلوا عن دراستها، إذ يعدّ "سيبويهْ " (ت 180 هـ) "من اللّغويين الأوائل الذين درسوا أسماء الأعلام دراسة لغوية علمية عندما تحدث عن المعارف"[1] .

ويمثل كتاب "اشتقاق الأسماء "للأصمعي" (ت 216 هـ)، مرحلة متقدّمة من مراحل البحث في هذا الموضوع، بالإضافة إلى مجهودات أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت 321 هـ) من خلال مؤلفه "الاشتقاق"، الذي أبان فيه معارف تاريخية نادرة تتعلق بقبائل العرب ورجالها وأسمائها. وتولت المؤلفات الشارحة للاسماء.

1--**التأسيس النظري لعلم الإسمائية:** لقد تعدّدت الدوافع التي أملت على أولئك العلماء البحث في هذا الحقل المعرفي، ويعدّ الدافع القومي الأبرز في تلك الدوافع، وهو يتغيأ حماية الهوية العربية من مهاترات الشعوبية والطعن في اللسان العربي وبنسب أهله، وفي ذلك يقول (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد): "وكان الذي حدانا إلى إنشاء هذا الكتاب، أنّ قوما ممّن يطعن في اللّسان العربي، وينسب أهله إلى التسمية بما لا أصل له في لغتهم، وإلى ادعاء ما لم يقع عليه اصطلاح من أوليتهم.

وتنامى الاهتمام بظاهرة التسمية في العصر الحدّيث، فنشأ فرع من فروع "علم المعجمية"، يسمى "الأسمائية" (onomastique)، اتخذ من دراسة منشأ أسماء الأعلام مجالا له، ثم تفرع إلى فرعين:

1- **الأنثروبونيميا** (L'anthroponymie): وتختصّ بدراسة أسماء البشر.

2- **الأتوبونيميا** (La toponymie): وتختصّ بدراسة أسماء الأمكنة.

وراحت الدراسات في هذا المجال تنمو وتتنوع بتنوع زوايا نظر الدارسين ومرجعياتهم ومشاربهم وتخصصاتهم، فرجل القانون، درس الظاهرة من منظور حقوقي أو قانوني، والباحث الفلكي تناولها من منظور فلكي، والباحث في علم

النفس من منظور نفسي، والباحث في الديمغرافيا من منظور إحصائي، والباحث في السوسيولوجيا من منظور سوسيولوجي.

ومن أسباب تنامي الاهتمام بظاهرة "التسمية " في العصر الحدّيث والمعاصر، ذلك السؤال القديم المتجدد، الذي يطرح نفسه باستمرار لدى المجتمعات قاطبة: من نحن؟ وماذا نريد؟ وهو سؤال شغل ولازال الفكر والثقافة العالميتين نظرا لعلاقته بمسألة الهوية والوجود أيضا. وهنا بالذات تتبدّى أهمية الدراسات الأنومستيكية بفرعيها، لقربها من الموضوعية والشفافية، وبحثها في منشأ تسمية الأشخاصّ والأشياء بمسمياتها، متغيرة توليد الوعي بالاسم وبأهميته في حياتنا اليومية والثقافية، باعتباره حمّالا لجملة من الموروثات الثقافية المتنوعة التي لها حضور بارز في الثقافة الراهنة، ممّا يجعلنا نقول: إنّ الاسم ليس لفظة طفيلية تنبت دون جذور، وإنّما هو تعبير عن انتماء الشخص أو المكان إلى ثقافة معينة، واحتواء لرقعة جغرافية محددة أيضا. وهو –بالإضافة إلى ذلك - تعبير له علاقة بمسألة الوجود وحب البقاء وما تشكلّه من خطورة في حلبة الصراع الأبدي بين الإنسان والإنسان والطبيعة.

وقد عرف الإنسان العربي منذ العصور الأولى مدى أهميّة التسمية فاستخدم كلّ خبراته ومعارفه الطبيعية وما فوق الطبيعية أثناءها، مبرزا تفاعله الخلاّق مع محيطه وبيئته

وهويته، تفاعلا يربطه بنسبه وجذوره وأرضه ويمنحه القدرة على البقاء والاستقرار.

أ- علاقة علم الإسمائية باللسانيات: لقد شهدت البشرية منذ نشأتها الأولى استخدام دال تعيني يسهل تمييز كلّ الموجدات بعضها من بعض ومثل هذه العملية التوسيمية كانت بدءا مع تمييز الخلق بإطلاق تسميات يتحدد بموجبها هوية الفرد عن غيره، وأوّل تسمية ذكرت في القرآن الكريم كانت تسمية مناسبة للبيئة .

ارتبطت اللّغة ارتباطا محكما بعناصر المجتمع، واتصلت بنماذجه اتصالا وثيقا، كما تعلقت بنماذجه الثقافية والحضارية في مختلف مستوياته، وفى مراحل حركاته (تخلفا وتطورا)، ذلك أنّ المجتمع والبيئة يعدّان معملين للبحث اللّغوي، وهما حقلان هامان للاستقصاء عن صور التواصل والتبليغ، ومن ثمّة فإن مظاهر الانصهار الاجتماعي والتوافق العلائقي بين أفراد الأمّة إنّما يؤسس -غالبا- على الأنموذج اللّغوي المشترك، حيث يمثل رباط اللّغة راسبا اجتماعيا هامّا تتشكلّ في بوثقته الجماعة البشرية وتتوحّد كما يلفها بحشد من الخصوصيات التراثية والثقافية تبرز ملامح التميز عن غيرها من الجماعات البشرية. والحق فليس هناك حقيقة لغوية واقعية مؤسسة خارج الهرم الاجتماعي.

وهناك عاملٌ ثاني يشارك في بلورة الحدّث اللّغوي، إنّه العاملُ الجغرافي هذا الذي يساهم في صياغة النظام اللّغوي ويثبته مع الإشارة، أنّ نزعة التساند إلى هذين الشرطين قديمة قدم البحث اللّغوي نفسه، فقد ركز عليهما العرب منذ بدء تأصيلهم العلمي للمعارف، فألحوا على ضرورة ربط المادة اللّغوية أو المصدر اللّغوي « Informant » بالإقليم الجغرافي[2].

وتأسيس هذا المنحى العلمي على صيغة المكان يجد مبررا له في إدراك الاختلاف اللّغوي أو انسجامه من مكان الى آخر.

وبناء على هذه المعطيات العلمية، حاول الباحثون رصد الاستعمالات اللّغوية المختلفة والإلمام بجوانبها الصوتية التركيبية والدلالية، وتصنيفها حسب التوزيع الجغرافي للمصدر البشري.

- **علاقته بعلم التركيب: SYNTAXE**: يتوزع التحليل اللساني على مستويات أربعة:

- المستوى الصوتي؛
- المستوى المورفولوجي؛
- المستوى التركيبي؛
- المستوى الدلالي.

لعلم الاسمائية امتداد معرفي بهذه الفروع التي يضمنها الدرس اللساني الحديّث، وحديثنا يقتصر على تبيان التداخل العلمي بين علم التركيب وعلم الاسمائية. بتصدر كتب النحو

العربي التقسيم المنهجي للكلم العربي، وأول تلك التقسيمات ـ التعريف بحدود الاسم.

يثير استعمال مصطلح اسم في العربية أحيانا بعض الأشكال والغموض، وتبرير ذلك أنّه قد جمع أصنافا عدّة من أنواع الاسم وإحصاء صيغه الممكنة يعدّ -في حدّ ذاته– عملا وصفيا[3] يمثل بابا عظيما من الدرس المورفولوجي، والنظر في أبنيته والسعي إلى تفسيرها وتبرير أشكالها كما استعملت في صلب اللّغة، كلّ ذلك شغل بال الدارسين.

سعى النحاة إلى إيجاد صيغة تعريفية للاسم بعدما اكتفى سيبويه [ت 180 هـ] بالتمثيل له في إطار ثلاثة مجسمات يندرج ضمنها معنى الإنسان والحيوان والجماد، وقد حاول خالفوه تبرير سكوت سيبويه[4].

ومع تقدم الدرس اللّغوي العربي، وتشعب ضروبه، اجتهد العلماء في إيجاد صيغ تعريفية ملائمة فأبان اللاحقون من علماء العربية عن فهم شامل لمدلول الاسم، ويمكن اختصار هذا المفهوم الذي تداول وشاع في مؤلفات النحويين إلى:

مفهوم عامّ: الاسم لفظ يدلّ على معنى في نفسه غير مقترن بزمان.

الحدّ بالوظيفة الاسنادية: ما كان فاعلا أو مفعولا أو واقعا في حيزهما.

الحدّ بالعلامات: ويقصد بها العلامات الصرفية التي يمكن أن تقترن بالاسم من ذلك اتصاله بحرف الجر، أو أداة التعريف والتنوين وغيرها.[5]

ولعلّ الأسباب التي غذت الجدال حول طرق التحديد ودعت إلى الاختلافات في التأويل شمول كلّ قسم لأنواع من الكلمات المتباينة من حيث بعض خصائصها الوظيفية والتركيبية.

أقسامه: لم يغفل النحاة وهم يقحمون أنواع الاسم في قسم شامل أن ينتبهوا إلى ما بينها من اختلافات يقتضي بالضرورة تصنيفًا ثانيا وثنائيا.

اسم الجنس: وهو كلّ ما دل على حقيقة موجودة وذوات كثيرة[6] وهذا بدوره يصنف إلى اسم صفة واسم غير صفة.

العلم: وقد عرفه الزمخشري بأنّه " ما علق على شيء بعينه غير متناول ما أشبهه" [7]وحسب فهم تلميذه ابن يعيش فالعلم هو الاسم الخاصّ الذي لا أخصّ منه.[8]

فالعلم اسم معرفة لذاته، يجوز تبديله وتغيره ولا يلزم من ذلك تغيير اللّغة[9] وقسّمه النحاة باعتبارات مختلفة بحسب طبيعة اللّغة العربية وتاريخ وضعها[10].

إذن علم الاسمائية مصدر صناعي ممّا يطلق عليه في العربية الاسم: NOM ، ولكن يظلّ ارتباطه العلمي ملازما لمفهوم العلم: NOM PROPRE، فاقتباس العَلم متعلق بالذهنية اللّغوية من حيث اختيار اللفظ ذي الدلالة المرتبطة

بالظروف، والوقائع وتسجيل الأحداث، فالعلم على شخص مثلا عند بعض الجزائريين تسمية عمار للابن البكر، أو علم على مكان توبونيمي نحو القليعة، تصغير قلعة، ويدلّ على وقوعه في مكان محروس. أو توصيف علم لشخص مرتبط ببيئته نحو التلمساني، والقالي، وغير ذلك.

- **علاقته بعلم الدلالة:** لا يمكن فصل علم الدلالة عن غيره من فروع علم العربية، فكما تستعين علوم اللّغة الأخرى بالدلالة للقيام بتحليلاتها يحتاج علم الدلالة لأداء وظيفته إلى الاستعانة بهذه العلوم [11] ويعدّ علم الصيغ واحدا منها، لاقترانه الوثيق بمفاهيم الدلالات، تلك التي قسمها اللّغويون إلى أقسام خمسة: صوتية، صرفية، نحوية، معجمية، سياقية[12].

وعلم الاسمائية أشدّ لصوقا بعلم الدلالة من حيث تقضى إجراءات إطلاق الأسماء العلمية في اللّغة العربية على مقاصد واضحة ومعان مركزة.

إنّ الاسمائية في العربية توصيف لمعان الأعلام، فلا يسمّى المسمّى باسمه أو بكنيته وبلقبه إلاّ ويقابله مدلول، فلا تجري المسميات على الاعتباط والعشوائية، محمد من الحمد وأدم من أديم الأرض ...[13]

علاقة علم الإسمائية باللسانيات التطبيقية: إنّ فاعلية اللسانيات التطبيقية في الالتصاق -إن صح التعبير- بمختلف العلوم الاجتماعية وحتى الدقيقة يؤكد لنا خطورة الظاهرة

اللسانية، وأهميّة اتخاذها كمرجع أساس لفهم وفك رموز الظواهر العلمية الأخرى خاصّة تلك التي تتعلق بفهم السلوك الإنساني بمختلف تمظهراته الثقافية والحضارية.

وقد أدرك اللّغويون منذ القديم أهميّة اللّغة في حياة الإنسان وفهمه، وحاجة الإنسان لها ليعبر عن أغراضه على حدّ قول ابن جني وربط اخذ اللّغة بالموقع وتفاضل في طرق اكتسابها[14] وهو ما أكدّه دو سوسير عندما تساءل عن فائدة اللسانيات مجيبا أنّ في حياة الأفراد والمجتمعات تعدّ اللّغة عنصرا أكثر أهميّة وأشدّ خطرا من أيّ عنصر آخر، ومن غير المقبول أن تظلّ دراستها وقفا على بعض أهل الاختصاص وفي الواقع فإن الكلّ يهتم بالألسنية بقدر ما[15].

وبالتالي فإن الدّراسة اللسانية التطبيقية لا ينحصر جني ثمارها في فهم اللّغة ذاتها بل يتعدى الجني بفهم الإنسان ذاته وتاريخه وسلوكه وحضارته، ممّا تحتاجه كلّ المعارف الإنسانية.

وتتجلى أهميّة التواصل بين الإسمائية واللسانيات التطبيقية في علاقة الفرع بالأصل، وذلك من عدّة تقاطعات معرفية ومنهجية، منها:

*-**علم المعاجم:** هي صناعة لسانية تهتمّ بجمع المعلومات اللّغوية والمفردات وترتيبها ترتيبا منهجيا وشرح معانيها ثم

نشر المعجم. ولها مصطلحات عديدة، لا يسمح هذا العمل بالتطرق إليها.

والمهمّ في هذا الجانب، هو توحّد علم الاسمائية في بناء المعاجم المختصّة بأسماء الأعلام من الأشخاص، وأخرى تهتمّ بالأماكن والمناطق، وهي معاجم توبونيمية في الأساس.

من الضرب الأول، تذكر:

*-معجم الأدباء لياقوت الحموي؛

*-وفيات الأعيان لابن خلكان؛

*-الأعلام لخير الدين الزركلّي.

ومن المعاجم التوبونيمية :

*- معجم البلدان لياقوت الحموي؛

*-معجم ما استعجم لعبد الله البكري؛

*- اللسانيات الجغرافية: دراسة تبونيمية لموقعيين حدوديين.

تعدّ اللسانيات الجغرافية من أهمّ فروع اللسانيات التطبيقية، لارتباطها المعرفي بالظاهرة الكلامية من جهة والبيئة والمحيط من جهة أخرى، ومن ثمّة فإنّ معطيات هذا العلم ومصطلحاته تتوارد في مضامين علم المكان أو ما يصطلح عليه بالمواقعية، " توبونومية" .

وإذا أردنا إبراز جوانب من هذا التعلق، فيتجلى في:

*-دراسة اللهجات وعلاقتها بالمكان؛

*-دراسة الأسماء ومسمياته وإرجاعها إلى أسبابها الجغرافية؛

*-بناء الأطالس اللّغوية.

وفي هذا المجال تتضح فاعلية علم المواقعية، ضمن ربط مسمى المكان بالمحيط الجغرافي، وتبرير هذه التسمية، أو معرفة جذورها التاريخية الصحيحة، وقد انصبت جهود المعمرين المستدمرين في كلّ مواضع احتلالهم للبلدان، تغيير تسميته، ومن ثمة تغييب هويته، فاليهود على قدم وساق لتحوير أسماء المدن والمواقع الفلسطنية وتجريدها من تسمياتها العربية، ولم تسلم المواقع المقدسة، ومنها حارة المغاربة وهي عند اليهود تطلق على حائط المبكى-أبكاهم الله طوال الدهر- وهي وقف للأمّة الجزائرية كما تحدث الروايات التاريخية.

وللتمثيل لهذه العلاقة، نبسط الحدّيث في تسمية موقعين: القالة شرقا وارزيو غربا وهما مدينتان جزائريتان تشتركان في كثير من المواصفات منها:

- تقع كلّ واحدة منهما على البحر الأبيض المتوسط؛

-هما مدينتان حدوديتان؛

-مدينتان أكثر تعرضا للاستعمار الأوربي قديمه وحديثه؛

أ-مدينة القالة شرقا: مدينة القالة وأصل تسميتها نابعة من مينائها القديم الواقع إلى الغرب من المدينة الحالية، ويطلق هذا المكان القالة la veille calle القالة القديمة وهي تقع بين البحيرات الثلاث طونقة والاوبيرا والمالحة، إضافة إلى التصاقها بحريا وبريا بالجمهورية التونسية.

والمحير في التسمية أن عالما لغويا يعرف بابي علي القالي-وهو من علماء الأندلس- ينسب إلى مدينة تسمى قاليقلا تقع بالحدود الشرقية لتركيا وتقع بالقرب من بحيرة وان، لا نعلم إن كانت القالة الجزائرية أخذت تسمية تلك المدينة، مع العلم أنّ الأتراك خصصوها بامتياز لصيد المرجان للفرنسيين مع الالتزام بعدم تحصينها وتسليحها، وهو ما لم تلتزم به فرنسا فقام خضر باشا بتدمير الحصون الفرنسية واعتقال القنصل الفرنسي في القرن 16 م.

بها -أعني ميناء القالة القديمة- شاطئ جميل وممتد يرتفع عاليه البناء المواقعي للميناء الفينيقي، وبشرقها ميناء المسيدا الأثري في أم الطبول وبشرقه يقع القوس الروماني يتجلّى لك في الصخر البحري في رأس سقلاب بآم الطبول كذلك. واتخذها الرومان مواقع استراتيجية من بعدهم. وهي من خوالد أثارهم العسكرية، وهي لا تبعد عن ايطاليا إلاّ بقليل من مئات الأميال.

إذن تسمية الموقع القلعة، ولما كان المقطع الصوتي: ع "غير ممكن في الفرنسية، سقط في النقل، فسميت كالة، ولمّا تحوّلت إلى التسمية العربية الثانية، أضيفت الألف واللام، فأطلق لفظ القالة.

ونطلقها بالفرنسية calle تنكيرا للمسمى العربي، وإخفاء لتوبنيمية موقعها المطابق لحدود الوطن من جهة أقصى شماله الشرقي.

ب-مدينة ارزيو: ومدينة أرزيـو تنبـو علـى اللّسـان العربـي لعجمتها الثقيلة، ويبدو أنّها لاتينية كما يزعم من احتلهـا مـن الأسبان والفرنسيين من بعدهم-كمـا جـاء فـي تعقيـب إحـدى مشاركات الملتقى-[16]، وهذا استتار للتسمية العربية الصحيحة.

يـرتبط تـاريخ هـذه المدينـة العريقـة بتـاريخ الأنـدلس، خصوصا بعد سقوطها بيد الإسبان، فهـرب المسـلمون مـن شـبه الجزيرة الابرية، ونزلوا بالموانئ الغربية للجزائر، فكـان أبنـاء مدينة ارزيو ممّن تقدم لاستقبال هؤلاء المهجّـرين، فاسـتقبلوا سفنهم، وألسنتهم تلهج" أرســـووووووووا أرســـووووووووا برفع الصوت ومدّ الواو لسهولة التواصـل مـع القـادمين. هـذه التسمية الحقيقية للمدينة، فتبونيمية المكان تشير إلـى حـوادث مرعبة غيّبها ترجمان العجم، وبقي من تلـك التسـميات الدالـة أيضا مرسى بن مهيدي ويقع في أقصى سواحل الجزائر الغربية أيضا.

خاتمة:

حاولت مقالتي ملامسة موضوع الاسمائية، وذلك مـن خـلال أيجاد الآليات المعرفية والمنهجية التي تسـهم فـي دراسـة هـذا العلم الذي مازال لم يتطرق اليه الباحثون ولم يستوف حظه من البحث والتنظير.

من جملة ما توصل إليه عملنا، نلخص ما يلي:

*-التلازم المعرفي بين فروع الاسمائية الثلاثة؛

*-لا يمكن دراسة هذا العلم بمنأى عن العلوم الإنسانية، وقد ذكرت بعضها وتركت بعضا، منها علم الجغرافيا والانثربولوجيا، والسيميولوجيا، والترجمة، وربّما سأخصص لها بحثا آخر.

*-ضرورة إعادة تسمية المواقع الوطنية، تحقيقا للوحدة الحضارية وتعميقا للمواطنة واسترجاعا لمقومات الهوية.

الهوامش والإحالات

[1] - سيبويه، الكتاب، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت 1983، ج1، ص 12.

[2] - أحمد جلالي، والعيد جلولي، المؤثرات الأساسية في وضع الألقاب واختيار الأسماء في الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد التاسع، مارس 2006م، ص 164

[3] - ماريو باي، أسس علم اللّغة ترجمة أحمد مختار عمر، طبعة عالم الكتب، طبعة 3، القاهرة، 1987، ص 120

[4] - عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة، بيروت 1979 ص 80 .

[5] - الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، طبعة دار النفائس ط5، بيروت ص 41 .

[6] - أبو علي الفارسي، الإيضاح تح كاظم بحر المرجان، ط، عالم الكتب، ط2، بيروت 1996، ص 71-72.

[7] - الزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب قدم له علي أبو ملحم دار مكتبة الهلال بيروت ص 22.

[8] - الانباري،كتاب أسرار العربية،تح، فخر صالح قداري، دار الجيل ص34

[9] - ابن يعيش شرح المفصل نشر الطبعة المنيرية ج1 ص49

[10] - الزمخشري المفصل، ص23

[11] - أحمد مختار عمر، علم الدلالة، جامعة القاهرة، ص 13 .

[12] - أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتطبيق المؤسسة الجامعية للدراسات، ص96

[13] - آدم : قيل إنه مشتق من الأديم و الأدمة، وجه الأرض ومنقول إلى كل اللغات بهذه التسمية العربية، رغم أن العرب عامة والجزائريين خاصّة لا يطلقون هذه التسمية على أبنائهم عكس الغربيين الأنجلو سكسون.

[14] - هذا المنحى الإجرائي كان – في طبيعته- أسلوبا علميا سليما، سار عليه علماء العربية القدامى، حيث ربطوا مسوغات الفصاحة بعاملين هامين: العامل البشري والعامل الجغرافي، انظر مثلا ابن جني في "باب الأخذ عن أهل الوبر دون الأخذ عن أهل المدر" الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، بيروت، ج 2 ص 05 وما بعدها.

[15] - دو سوسير، دروس في الألسنية العامّة، ترجمة صالح القرمادي ورفاقه، الدار التونسية للكتاب، ص125

[16] - الفكرة أطلعتنا عليها متدخلة من الغرب الجزائري إثر تعقيبها على مداخلتي. الشكر موصول لها.

الآراء النقدية لمدرسة الديوان
دراسة تحليلية نقدية

د. نصر الدين شيخ الدين عثمان

جامعة: شندى ـ السودان

ملخص البحث باللغة العربية: شهدت الساحة الادبية النقدية فى العصر الحديث حركة نقدية كبيرة فى نقد قصيدة الشعر، قادها مجموعة من النقاد لاخراج الشعر من القوالب التقليدية، وقد تمّ في هذا البحث تناول الآراء النقدية عند جماعة الديوان لنقف على أهمّ النظريات التجديدية التي تميزوا بها عن سواهم، اذ كانت تجربتهم تنمّ عن روح عربية وأجنبية جعلتهم يرسمون مساراً جديداً فى الادب العربي الحديث وبالتالى تطوّرت تيارات النقد العربي الحديث من تيارات تلقائية ترتيط غالباً بالافراد والشخصيات النقدية إلى اتجاهات محددة ترتبط بالافكار والمناهج.

الكلمات المفتاحية : النقدية، مدرسة الديوان

المقدّمة: جماعة الديوان مصطلح يُطلق على مجموعة من الشعراء والنقاد هم (عبد الرحمن شكري)، (عباس العقّاد) و(إبراهيم المازني)، وهذا المصطلح هو نسبة إلى هذا الكتاب

النقدي المعنون باسم "الديوان في النقد" وهو كتاب ألّفَه العقاد والمازني، وإن كانت التسمية تشمل الثلاثة معاً.

وقد وُلد هذا الاتجاه الجديد على يد هؤلاء الثلاثة شبان، وقد اشتركوا في عدّة سمات فهم من ذوي الثقافة الأدبية الإنجليزية، بالإضافة إلى الثقافة العربية، وقد وحّدت بينهم النشأة الاجتماعية المتشابهة وظروف الحياة وأحداثها والثقافة المتقاربة وقد كانوا جميعًا من منابت متشابهة.

فالعقاد [1] ولد في أسوان في الثامن والعشرين من يونيو عامّ 1889م من أسرة فقيرة كادحة ولم يتمكن من إتمام تعليمه فحصل على الابتدائية، وخرج يواجه ظروف العيش في نضارة الصبا، فوُظف كاتباً بالقسم المالى. في مديرية قنا سنة 1905م واشتغل في عدّة أعمال ثم هاجر إلى القاهرة وطن الفكر والأدب

أمّا عبد الرحمن شكري فوُلد في بورسعيد في الثامن عشر من أكتوبر سنة 1886م[2] وأتمّ تعليمه الابتدائي والثانوي والتحق بمدرسة المعلمين العليا وتخرج فيها سنة 1909م وقد أُرسل في بعثة إلى جامعة شيفيلد بإنجلترا لمدة ثلاث سنوات ثم عاد إلى وطنه ليعمل مدرساً بمدرسة ثانوية وهو يشابه العقاد في نشأته المتواضعة.

وأمّا المازني فقد وُلد في عامّ 1890م[2] في القاهرة وبعد أن أتمّ تعليمه الابتدائي والثانوي التحق بمدرسة المعلّمين العليا وتخرج فيها عامّ 1909م وعمل مدرساً ثم استقال أيام الحرب العالمية الأولى.

وهؤلاء الشّبان من الطبقة الكادحة وكان بريق المجد الأدبي يخطف أبصارهم والبحث عن طريق الوصول إلى القمّة يضني نفوسهم الرقيقة الحسّاسة الثائرة - وظروف المجتمع المصري في هذه الحقبة - قبيل الحرب العالمية الأولى وأثناءها - كانت قاسية شديدة الظلام، تحول دون تحقيق أحلام الشباب، ومن هذا الصراع الناشب بين طموح الشباب وأحلامهم، وبين ظروف المجتمع أصيبوا بحالة نفسية عنيفة يمكن أن تُسمى (مرض العصر) وقد استبد هذا المرض بنفوسهم فاندفعوا يحملون المعاول محاولين هدم كل ما يصادفهم من عقبات، في حالة ثائرة عابسة، وأحدثوا في الحياة الأدبية تياراً جريئاً في مطلع هذا القرن (3)

أهمّية البحث: تكمن أهمّية هذا البحث في أنّ الدراسة تعود إلى مرحلة سابقة للعصر الحديث أي الفترة التي تسبق عصر النهضة لمعرفة كيف كان الشعر والنقد وحالة الأدب بصفة عامّة ليسهل التعرف على مظاهر التجديد في دعوة مدرسة الديوان ومدى فاعليتها في تطبيق الأسس الجديدة على الشعر وإلى أي مدى يصل هذا التجديد بالشعر العربي التقليدي، وكذلك من أهمّية هذا الموضوع أنّه ظهر في الأدب العربي الحديث جيل من الشعراء أحيوا صورة الأدب العربي القديم يترسمون خطى محمود سامي البارودي باعتباره رائد حركة البعث في المحافظة على الشكل والروح والأنّتماء فحال ذلك عن تقديم الجديد في المضمون الأدبي، وتطوّرت بعده حركة النقد فنُودِي بضرورة التجديد استجابة لدواعي العصر وقد

أدخل الأدب الغربي ألواناً من المذاهب الفلسفية إلى الساحة العربية فظهرت عدّة اتجاهات مختلفة يمثلها أُدباء وشعراء تبعاً لاختلاف مستوى الفكر والأبداع فكانت مدرسةُ الديوان بين تلك الاتجاهات التي ظهرت، ومنذ ظهورها دعت إلى التجديد وغايته فعملت منذ نشأتها على التمرّد على نظام القصيدة العربية التقليدية. ومن أهمّية هذه الدراسة أنّها تريد أن تعرض دعوة مدرسة الديوان بصورة شاملة وتبيّن نقدها للأساليب القديمة وما وضعته من مقوماتٍ وأسسٍ نقدية جديدة وإلى أي مدى كان التطبيق الفعلي لها.

Abstract;

The arena critical literary had seen in the modern era large critical movement in the criticism of poetry poem led by agroup of critics to bring out the poetry from the traditional molds.

Its done in this present study discuss critical opinions for Aldiwan group, to stand on the most important innovative theories which have distinguished themselves by all oyhers as it was their experience reflect the spirint of Arab and foreign made them draw anew way in modern Arabic literature.

And there for the stream of modern Arabic criticism had been devolped from automatic stream often associated with individuals and ctitical personalities to specific directions is linked with thought and curriculum.

I. **شركتهم الأدبية وآراؤهم في التجديد**: على الرّغم من ظروف حياتهم القاسية فقد تمكّنوا من دراسة قدر كبير من

الآداب الأوربية من خلال اللّغة الإنجليزية التي أتقنوها إتقاناً تاماً بالإضافة إلى حصيلتهم التي تمكّنوا بجهودهم الشخصية من الحصول عليها من الأدب العربي.

وقد حدثنا العقاد عن المنابع التي استمدّوا منها أفكارهم بقوله: "الجيل الذي نشأ بعد شوقي لم يتأثر به أقلّ تأثير لا من حيث اللّغة ولا من حيث الروح بل ربّما كان الأصح أن شوقياً تأثر بمن نشأوا بعده فجنح في أخريات أيامه إلى أغراض من النظم تخالف أغراضه الأولى التي كان يعيبها عليه الجيل الناشئ بشعر شوقي في أوائل القرن العشرين".

أمّا بالنسبة للّغة فلم يتأثر فيها الجيل الناشئ بشعر شوقي لأنّ هذا الجيل كان يقرأ دواوين الأقدمين ويدرسها ويعجب بما يوافقه من أساليبها فكان لكل شاعر حديث، شاعر قديم أو أكثر من شاعر يدمن قراءتهم ويفضلهم على غيرهم، ولولا التوافق بين الشعراء المحدثين فى المشرب لاتسعت الشقة بينهم ايما اتساع... (4)

ويواصل العقاد حديثه عن المنابع التى استمدوا منها افكارهم فيقول " وأمّا الروح: فالجيل الناشئ بعد شوقي كان وليد مدرسة لا شبه بينها وبين من سبقها في تاريخ الأدب العربي الحديث فهي مدرسة أوغلت في القراءة الإنجليزية ولم تقصر قراءتها على أطراف من الأدب الفرنسي كما كان يغلب على أدباء الشرق الناشئين في أواخر القرن العشرين وهي على إيغالها في القراءة للأدباء والشعراء الإنجليز. لم تنس الألمان والطليان

والروس واليونان واللاتين الاقدمين.. ولعلّها استفادت من النقد الإنجليزي فوق فائدتها من الشعر وفنون الكتابة الأخرى. [(5)]

وهم بهذه القراءات الواسعة في الآداب العالمية والأدب العربي كانوا يخلقون لهم عالماً خاصّاً يشبع أشواقهم الجامحة، ويغذي طموحهم وازداد تآلفهم وترابطهم ووحدت بينهم الصداقة والثقافة، وأصبحت شركتهم الأدبية مضرب الأمثال في التحصيل والتجديد، وكانوا يعترفون بفضل بعضهم على بعض... ويقول المازنى عن تحصيلهم الادبى ومدرستهم الادبية بقوله: " عرفنا القراءة والاطلاع ونحن تلاميذ فى المدارس الثانوية ثم انتقلنا الى التعليم العالي ودخلت مدرسة المعلمين فكان مرشدي فيها وزميلي وصديقي الاستاذ عبد الرحمن شكري فقد كان شاعرا ناضجا وكنت انا مبتدئاً فصرفني عن البهاء زهير وابن الفارض ومن الى هؤلاء ووجهني الى الادب الجاهلي والاموي والعباسي ودلني على ما ينبغي ان اقرأ من الادب الغربي" [6]

وبعد ان يرسم المازني صورة لتحصيله الأدبي وتحصيل زميليه شكري والعقاد يقول: ((وأنا مع ذلك أقل الثلاثة -العقاد وشكري-اطلاعاً وصبراً على التحصيل، وأدع للقارئ أن يتصور مبلغ شرههما العقلي فليتني مثلهما.[(7)]

وإذا كان المازني قد حاول بأسلوبه الساخر أن يهون من دوره في هذه الشركة الأدبية، فإن العقاد قد أنصفه وحدد دوره وأشاد بقدرته الأدبية، عندما استقبله في المجمع اللغوي، قال:

"عرفت المازني منذ نيف وثلاثين سنة اى منذ جيل كامل في عصر النهضة الحديثة وقد كان المازني طالباً بمدرسة المعلمين العليا، يكتب في صحيفة الدستور التي كنت اشترك في تحريرها ثم عرفته في ما يصح أن نسميه بمدرسة (البيان) وهو اسم المجلّة التي كان يصدرها الأديب البليغ عبد الرحمن البرقوقي وكان يكتب فيها نخبة من ناشئة تلك الفترة أمثال محمد السباعي ومحمد حسين هيكل وعبد الرحمن شكري، وكنا نزاملهم في كتابة فصول المجلّة، وكنا نتلاقى على مائدة الأدب والمطالعة، نقرأ لابن الرومي ونعارضه ونقرأ لحافظ والشريف الرضي، ونختلف فيهما ونقرأ (وليم هازليت / Wiliam Hazlit) ناقد الإنجليز. ونرفعه مكاناً عالياً فوق زمرة النقاد العالميين ولا نسمع بشاعر أو كاتب من أعلام الأدب والفكر في اللّغات الأجنبية إلاّ ذهبنا نلاحقه ونطارده في كل ما يصل إليه من كتبه، ثم نقتسم نصيبنا منه بالمذاكرة والمشاورة، كما نقتسمه بالمنازعة والمشاجرة في أحايين [(8)].

وبعد أن استعرض العقاد مواهب المازني وتمكنه في اللّغة والشعر أشار إلى مقدرته الفذة في الترجمة فقال: "ولست أغلو -ولا أحجم عن التحدي- إذا قلت أنّني لا أعرف في ما عرفت من ترجمات النظم والنثر أديباً واحداً يفوق المازني في الترجمة من لغة إلى لغة ويملك هذه القدرة شعراً كما يملكها نثراً، ويجيد منها اللفظ كما يجيد المعنى والنسق والطلاوة " [(9)].

وقد رسم العقاد صورة صادقة لزميله شكري بقوله: "عرفت عبد الرحمن شكري قبل خمس وأربعين سنة فلم أعرف قبله ولا بعده واحداً من شعرائنا وكتابنا أوسع منه إطلاعاً على أدب اللّغة العربية، وأدب اللّغة الإنجليزية، وما يترجم إليها من اللّغات الأخرى، وقد كان مع سعة اطلاعه صادق الملاحظة، نافذ الفطنة، حسن التخيل، فلا جرم ان تهيّأت له ملكة النقد على اوفاها، فلا يكلفه نقد الادب غير نظرة فى الصفحة والصفحات، ولم يسبقه أحد في ما اذكر الى تطبيق البلاغة النفسية المستمدة من ادب الغرب ". [10]

ويقول العقاد ايضا فى المازني: "رحم الله أخانا المازني وعوض الأدب والبلاغة خيراً فيه، لقد كان منذوراً للأدب، علم منذ صباه الباكر أنّه يهوى الكتابة وصناعة القلم ولكنه علم كذلك أنّها صناعة لا تجدي على صاحبها شيئاً في معيشته، فخيل إليه أن يعطي مطالب المعيشة حقها فلم يلبس غير قليل حتى تبين له أنّه للأدب وحده وأن الأدب يلاحقه أينما ذهب فلا يتركه حتى يعيده إلى جواره "[11].

وبعد أن تحدث العقاد عن تكوّن المازني الأدبي والروحي وظروف نشأته أشار إلى اللّقاء الذي تمّ بين مدرستهم بقوله: "لقيته في هذه الفترة ولقيت الأستاذ شكري بعد ذلك بشهور قليلة على اثر عودته من البلاد الإنجليزية، فمن عجب التوفيق أن يكون شكري في الإسكندرية وأن يكون المازني في القاهرة وأن أكون أنا في أسوان ثم نلتقي على قدر وعلى اتفاق

في ما قرأناه، وفي ما نحب أن نقرأه مع اختلاف في حواشي الموضوعات من غير اختلاف على جوهرها وكان المازني أكثر ولعاً بالقصة والمقالة الوصفية وكنا نلتقي في ناحية واحدة من نواحي القصة على الخصوص وهي القصة الروسية وأحسب أن القصة الروسية من أقوى المؤثرات في نزعته التي جنح إليها بقوّته كلها بعد ذلك في ما نسمّيه بفلسفة الحياة".[12]

تلك هي الخصائص العامّة التي تميز أبناء هذا التيار، وهذه هي تأثراتهم الأدبية ومنابع ثقافتهم العربية والأوربية، وحديث العقاد عن المازني وشكري يشمله هو الآخر كما أشار الى ذلك... ولكن هناك شيء أهمّ من هذا كله المح إليه العقاد بقوله :" هذه الفترة – فترة الحرب العالمية بالتقريب كانت فى حياة المازني نقطة تحول ومحنة عقل وسريرة واخال أنّها شملتنا جميعا بهذه المحنة الأليمة فنفضها شكري عنه بقصائده العابسة في ديوانيه الثالث والرابع ونفضتها عني بقصيدتي التي نظمتها على نمط الملاحم وسميتها " ترجمة شيطان " وراضها المازني ولم يزل يعالجها بعد ذلك بنزعة الاستخفاف وقلة الاكتراث.

والحرب العالمية التى اشار إليها العقاد هي الحرب العالمية الأولى وقد كانت ظروف المجتمع في هذه الفترة قاسية شديدة الظلام واليأس والمازني والعقاد يمارسان حياة العمل أحياناً وحياة التعطل أحياناً أخرى وشكري يعمل بالتدريس ولكنّه يحسّ خيبة الأمل والضياع فما لهذا تغرب وتحوّلت الحياة في نظرهم

إلى وهم زائف واهتزت أمامهم القيم وتزعزعت الحقائق وملأ الشك نفوسهم وكان مصدر شقائهم فراحوا يستخفون بكل شيء وكانوا يرون أنفسهم ظلالاً حائرة فأعلنوا العصيان والثورة. الثورة في عالم الأدب والثورة في عالم الاجتماع. وقد حولت تلك الحالة النفسية نقدهم إلى شبه ثورة وجدانية لفحت الحياة الأدبية وبعثت فيها الحيوية وقد لفتت تلك الثورة إليهم الأنّظار ولا شكّ أنّ التيارات الأدبية والاتجاهات والمدارس الفكرية تبدأ بتلك الحالات النفسية التي تصيب طائفة من الأدباء والمفكرين ومن أجل هذا أخذت الآراء الجديدة في الأدب والنقد التي كانت تتردد في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بين رواد حركة التجديد على أيديهم - شكلاً خاصّاً جديداً.

1. **ثورتهم النفسية:** عندما أحسّوا أنّ الصحف تتجاهل إنتاجهم ولا تنشر لهم أفكارهم ازدادت ثورتهم على الأصول الأدبية والفكرية السائدة وازدادت ثورتهم النفسية احتداماً وبدأوا يشتبكون مع أعلام الفكر والأدب فهاجم المازني حافظاً والمنفلوطي وهاجم العقاد شوقي والرافعي، وظلّ شكري منطوياً على نفسه، يعبر عن محنته في خواطره النثرية التي ظهرت في كتبه (الثمرات) و(حديث إبليس) و(الاعترافات) وفي أشعاره الكثيرة.

2. **خواطر شكري:** أصيب شكري بما أصيب به زميلاه المازني والعقاد من محنة النفس وأزمة العصر وطموح الشباب فراح يئن ويتوجع على الورق، وكأنّه ينفس عن سريرته فيقول في كتابه

(الثمرات) من مقال بعنوان (أحلام الشباب) و(قصة الحب الخائب تمثل زوال آمال الشباب، فإن الشباب باب يطل على الابد، إذا قربه صاحب النفس الظامئة إلى الكمال شم منه ريح الخلد، فأصابه داء الابد فكان من مرضى الخلود.[13]

وداء الأبّد ومرض الخلود والنفس الظامئة تعبيرات كانت جديدة على الحياة الأدبية حينذاك ولكن يبدو أن شكري قد دهمه "داء الأبد" ووقع أسيراً لمرض الخلود منذ هذا التاريخ وهذا هو السبب في أن أفكاره وأشعاره وخواطره جميعاً جاءت مصبوغة بصبغة حزن كثيفة، ولعلّ هذه المسحة الحزينة هي التي فجرت في نفسه وزميله العواطف. [14]

وهو يدعو إلى الإيمان بجلالة الحياة حتى تتخلّص من عامّية النفس يقول: "يحسب المرء أنّه إذا أخذ من العلم نصيباً صار من الخواص، وهذا وهم، فإنّ للنفس عامّية مثل عامّية العقل، فمن أراد أن لا يكون عامّي النفس كان خليقا به أن يزجيها إلى التماس الحياة، فان للحياة جلالة لا يفهمها قتلى المظاهر الذين يحقرون أنفسهم بمزاولة الحقير [15].

على أنّ شكري وصل إلى ذروة أزمته النفسية والروحية في كتابه "الاعترافات قصة نفس" الذي ساقه على لسان صديقه (م. ن) فقد عبر عن أزمة الجيل كله فيقول: " ليس الشاعر[16] من يملأ أذهان قومه بالمعاني الجديدة والآراء الجليلة وإنّما الشاعر الذي يملأ قلوبهم بالرغائب الجديدة والذي يقوي عواطفهم، لأنّ العواطف هي القوة المحركة في الحياة. والأديب

العظيم هو من كانت كلماته كهرباء النفوس فالنفس كالماء الراكد الذي تعلوه المواد العطنة وكما أنّ هذا الماء الراكد لا يجدّده غير تيار جديد كذلك الروح ينبغي أن تكون معرضة للتيارات الروحية... وليست حياة الأديب إلاّ تياراً من تلك التيارات التي تحرك النفس، ولقد كنت أوّل الأمر أحسب أن الأديب حلية لقومه وأنّ الأدب زينة فكنت أقضي الأيام في تصيد الألفاظ واختلاس الأساليب اللفظية ولكنّني ضجرت من هذه المنزلة الحقيرة - وعلمت أن الشاعر هو الذي يعبر عن أساليب الحياة وعواطف النفس، ولا يستقيم له ذلك إلاّ إذا تقلب في أساليب الحياة وكانت عواطفه مثل البحر الزاخر... بل كانت كل عاطفة فيه عاصفة تبعث الخوف والجلال... ومن أجل ذلك صرت أجد لذّة وألماً في هياج العواطف وكنت أبحث في عواطفي وهى هائجة كأني أنظر إلى الرياح الهوج أو العباب الغمر فإذا خمدت عواطفي أحسست كأن هذا الوجود كلّه يضغط على قلبي فأحس كأنّي أكاد اختنق [17] ولا شكّ أن تلك الخواطر الوجدانية والأفكار النقدية الحالمة في أجواء رومانسية، كانت سمة من سمات هذا التيار فلقد كانوا بطبيعة الحال متأثرين بالحركة الرومانسية في النقد الأوربي والإنجليزي منه بصفة خاصّة.

3. **العقاد والثورة النفسية :** ظهرت عند العقاد هذه الثورة النفسية منذ وقت مبكر وتتجلى في الدعوة إلى القوة ونبذ الطراوة والنعومة والبكاء على الأموات فقد كتب في عكاظ [18] عامّ 1914م ينتقد هؤلاء الشعراء الذين لا يكتبون الشعر إلاّ إذا

مات عظيم أو كبير وكانت لهجته حادة ساخرة فقال : "أنشر شعراء الأموات الذين خفت صورتهم منذ عهد بعيد، والعجيب في أمرهم، أنّهم لا ينشرون إلاّ إذا مات أحد وعادوا إلى نظم الشعر وقرع السامع بذلك الكلام الخلق، والمعاني الأثرية، وإن في عودتهم لآية على شعورهم بموتهم على أنّهم أصبحوا نسياً منسيا فأرادوا أن يطلوا من وراء الكفن الذي أسبله عليهم الشعر العصري والأدب الحي فجمعوا قواهمّ وصرخوا صرخة واحدة، ولكنّها قوة القنديل إذا تهافت للنعاس في آخر الليل، فاجتذبت ذبالته ليخفق خفقته الأخيرة ثم ينطفئ فلا يرتفع له بعد ذلك بصيص" (19)

ثم أشار إلى المناسبة التي بعثت الشعراء الندابين قائلاً: "مات مدير المؤيد فولولوا، ثم مات وكيل المعارف فأعولوا ثم هوت طائرة فتحي بك فتشنجوا وتململوا -أسكتهم الله- فإن الأمّة لا تسمع لهم حساً، إلاّ في يوم شؤم... أيّها الشعراء الندابون، لكم شعركم وللعصر شعره، فقروا في قبوركم، وتزملوا بأكفانكم حتى إذا تهدم جدار، أو اصطدم قطار، أو وقع طيّار يثوب الداعي بكم فانبعثوا وقولوا ما شئتم، ولكن لا تفاجئونا يرحمكم الله، ويطيب ثراكم " (20)

وعلى الرّغم من تلك السخرية الحادة فإنّ العقاد كان ينتقد هذا اللون من النظم الذي لا يمثل تجربة شعورية ويفتقر إلى الصدق الفني، وقد كانت تشغله قضية الصدق الفني والأدب العصري في تلك الأيام ويحصل لواءها ويدافع في سبيلها بكلّ

حدة ولكنّها أخذت تلك الصورة التي تجعلها أقرب إلى الثورة النفسية منها إلى النقد الموضوعي.

- **المازني وثورته النفسية:** أمّا المازني فقد كانت تظهر ثورته النفسية في سخريته المستمرة التي كانت سمة من سمات كتاباته وأحيانا كانت تظهر على صورة انطباعات وجدانية، فالمازني كان في تلك المرحلة المبكرة واقعاً في أسر المدرسة الرومانسية النقدية التي أثرت في زميليه العقاد وشكري، وهي مدرسة كان من أعلامها (كولردج / Kolerdj وهازليت / Hazleitوشيلي /Chily وكيتس/Kits) وغيرهم من شعراء الإنجليز ونقادهم، ولقد كان يُبْرز هذا الاتجاه الوجداني حتى وهو يناقش مناقشة هادئة ويرد على النقاد، وكتب مرة يرد على (لطفي جمعة) الذي انتقد كتاب (السمر) لمحمد السباعي، وقد كان يأخذ لطفي جمعة على الكتاب أنّه لم يلتزم منهجاً وليس له غاية وتحليلاته سطحية، فهاجمه المازني على ذلك وسخر منه وعاب عليه أن يطلب من الكاتب أن يلتزم خطه أو يكون له غرض، فليس الكاتب بيتاً ولا حزباً من الأحزاب ثم قال [21] : نقد لطفي أفندي من الكتاب ما نقد وفاتته أمور ثلاثة لا ينبغي لمن يتصفح كتاباً أدبياً أن يغفلها، أولها: الألم واللذّة المستفادان من الكتاب، ثانياً: مبلغ تأثيره على الخيال، ثالثاً: تأثيره على أصول الذوق، أمّا وقد أهمل الناقد ذلك فقد جاء نقده - بالرّغم منه - ناقصاً أي غير دقيق أي غير عادل.[22]

ولكن ليس معنى ذلك أن نقد هؤلاء اقتصر على تلك الثورة النفسية فلقد كان لهم انجازهم الحقيقي في مجال النقد الجديد، وانجازهم كان على مرحلتين مرحلة مبكرة بدأت منذ مطلع العقد الأول من هذا القرن، ومرحلة متأخرة بدأت منذ مطلع العقد الثاني حتى منتصفه.

II. **آراؤهم النقدية في المرحلة الأولى:** اندفع رواد هذا التيار الثائر يرسون عدّة أصول أدبية ونقدية يفسرون من خلالها إبداعهم الفني، ويفسرون بها نظراتهم في الفنون والآداب ولقد كانوا جميعا شعراء يبدعون الشعر إلى جانب ما يكتبون من دراسات نقدية.

وقد كانت لهم آراء جديدة أثرت في الحياة الأدبية ولعلّ نظرية الخيال كانت من أهمّ النظريات التي كانوا يهتمون بها وينجذبون إلهيا بطبيعة حياتهم وظروفهم النفسية والاجتماعية.

1. **شكري ونظرية الخيال:** ولقد كان لشكري الفضل في دراسة تلك النظرية وإشاعتها في اللّغة العربية منذ وقت مبكر وقد فهم آراء كولردج فهماً عميقاً حول نظرية الخيال في كتابه (سيرة ادبية) [23] ولشكري دراسة عن (الفكاهة في الأدب العربي) طبق فيها نظرية الخيال على الأدب العربي تطبيقاً عميقاً فبدأ بتقسيم الفكاهة إلى نوعين : **فكاهة خيالية وفكاهة لفظية :**

- **الفكاهة الخيالية:** نوع من الخيال، ومجالها حيث يتضاءل الجدّ فيه فهي الخيال في حال متبسطة، ومن أجل ذلك كانت

الفكاهة لا تستعمل في مكان الجدّ ولكن صعب على من لم يتعود النقد أن يعرف الحدّ الفاصل بين مكان الجدّ ومكان الفكاهة. فمن الناس من يعد الجدّ ما يعده آخر في باب الفكاهة أو العكس، ومن أمثال الفكاهة الخيالية قول ابن الرومي في رجل أصلع (24)

ياخذ أعلى الوجه من رأسه *** اخذ نهار الصيف من ليله

وتباعد الصور ليس دليلاً على تباعد الصلة التي بينها فإنّ ابن الرومي في بيته السابق قد ألّف بين صورتين متباعدتين وهما أن صلع الرجل جعل وجهه مغيراً على رأسه آخذا منه وأن تزايد نهار الصيف يجني من تناقص ليله ووجه الشبه الذي بين الصورتين قريب وان تطير ابن الرومي بينه وبين فكاهته الخيالية سبب لأنّ التطير يبعثه سوء الظن وسوء الظن يدعو المرء إلى اتهام الناس بمعاداة صاحبه وذلك يدعو على تطلب السبيل لهجائهم وانتقاصهم (25)

على أن أكثر الفكاهة اللفظية تجئ ممزوجة بشيء من الفكاهة الخيالية وبقدر نصيبه منها يكون نصيبه من روح الشعر، وشعراء الجاهلية وصدر الإسلام يستعملون الفكاهة الخيالية أكثر من الفكاهة اللفظية وهذا دليل على صحة أذواقهم ولكن شعراء الدولة العباسية أكثروا من استعمال الفكاهة اللفظية، لأنّهم تفننوا في أنواع المغالطة المنطقية.

2. **آراء العقاد المبكرة:** أمّا العقاد فكان أعنف أبناء هذا التيار ثورة، وأشدّهم في الخصومة وقد أفاد من اشتغاله بالحياة السياسية مقدرة على المناورات ولذلك استمر طوال حياته

يحمل العلم ويصارع ويبدي رأيه في كل قضايا الفكر والأدب والسياسة. وقد فسر معاركه هذه أنّها على ضوء الرغبة فى التجديد واشاعة مذهب جديد.

- **شوقي في الميزان :** بدأ العقاد يهاجم شوقي منذ عامّ 1912م في كتابه (خلاصة اليومية) ففي رثاء شوقي لبطرس غإلى أبيات يقول فيها :

القوم حولك يا ابن غإلى خشع
يقضون حقا واجبا وذماما
يتسابقون إلى ثراك كأنّه
ناديك في عهد الحياة زحاما
يبكون موئلهم وكهف رجائهم
والأريحي المفضل المقداما

ويعلّق العقاد على هذه الأبيات بقوله [26]: " أكان يريد أن يقولّ أنّ زائري قبر الرجل -وفيهم سادات الأمراء والوزراء والعظماء والعلماء كلّهم ممن كانوا يقصدون من نادى ابن غالى موئلاً وكهف رجاء، يستعطفون من أريحية ساكنة الجواد، ويستدرون من أفضاله ؟! أم أراد أن يقول كما قال الناس في هذا المعنى فأخطأ التقليد؟ أم لعله يريد أن يقول شيئاً أم تراه يحسب أنّهم ملكوا عليه حتى دموع عينيه، وأنّه نائحة المعية، أعد ليرثي كل من يموت من خدامها بلا مقابل ""[27].

• **رأي العقاد في حافظ :** وللعقاد رأي في حافظ كتبه في وقت مبكر سجله في خلاصة اليومية يقول فيه: " يعجبني من حافظ جلاله في شعره، وإن كنت اعتقد أن الجلال الظاهر لا يتطلب من شعرائه سموا في الشاعر أو أفضلية لها على شعراء الجمال، وتعجبني موسيقته في شعره يوقع لك النغم ثم يتركك تغني على ليلاك ومن الشعراء من تجدهم كأحداث الرسامين يرسم لك الشجرة فلا يترك ورقة من أوراقها وأمّا في ما عدا ذلك فشعر حافظ - كما قال فيه الدكتور شميل وليم (كالبنيان المرصوص متين لا تجد فيه تهدماً) فهو يعتمد في تعبيره على متانة التركيب وجودة الأسلوب أكثر ما يعتمد على الخيال (28).

ويلاحظ أنّ العقاد متأثر بنظرية الرومانسيين الإنجليز في النقد فهو يحاكم شعر حافظ من خلال هذا المنهج ومن هنا يبدوا في نظره شكلياً ولكنّه محروم من الخيال الخالق والجمال المبدع الذي يحوله إلى تجربة عميقة تهز النفس والوجدان.

• **الشعر والعلم:** لقد كانت نظرية الخيال تستأثر باهتمام العقاد فقد قرّر في خلاصة اليومية وهو يتحدث عن مستقبل الشعر، "ان الشعر يخالف العلم ولكنه لا يناقضه، إلاّ كما يناقض الطب والهندسة، وتناقض الكيمياء الطبيعية فالرجل الراقي يفترق عن المنحط بكيفية التخيل لا بكميته، فالأول مرتب الخيال لطيْفه، والثاني مشوش الخيال، فالعالم لا ينقض خيالاً كلما ازداد علماً، فإذا تنبأ علماء العصر فليتنبئوا بتحسين الشعر

وارتقائه لا بامحائه" [29] ، وللعقاد آراء نقدية كثيرة في تلك المرحلة المبكرة، ولكن وصلت ذروتها في أوائل العقد الثاني من هذا القرن.

3.**آراء المازني في المرحلة الأولى:** أمّا المازني فقد بدأ منذ وقت مبكر ينقد أعلام الأدب ويهاجمهم بحدّه فكتب في مجلّة (عكاظ) مجموعة من المقالات يهاجم فيها حافظ إبراهيم ثم جمعها في كتاب سماه (شعر حافظ) صدر عامّ 1915م. وقد اتهم حافظ بالجهل وضحالة الثقافة والكسل العقلي وفساد الأسلوب والسرقات واضطراب المعاني وكثرة الأخطاء النحوية واللغوية.

وقد حاول المازني أن يبرر هجومه على حافظ في مقدّمة كتابه بأنّه دعوة إلى المذهب الجديد ووضع قسطاس مستقيم للأدب والفكر وقد بدأ هذه المقدّمة بقوله[30] " كتبنا نقد حافظ منذ أعوام ولم يكن الباعث لما عليه - كما حسب بعض البله والحمقى - ضغينة نحملها للرجل أو عداوة بيننا وبينه وكيف يكون شيء من ذلك، ولا علم لنا به ولا صداقة ولا صحبة ولا نحن نرتزق من الكتابة والشعر أو نزاحمه على الشهرة، لأنّ ما بيننا من تباين المذهب واختلاف المنزع لا يدع مجالاً لذلك، ولكني من يمثلون المذهب الجديد الذي يدعو إلى الإقلاع عن التقليد والتنكب عن احتذاء الأولين في ما طال عليه القدم ولم يعد يصلح لنا أو نصلح له)).[31]

ومن الغريب أن المازني حاول في ما بعد أن يتراجع عن هذه الآراء التي كتبها حول حافظ، فقد أهمل هذا الكتاب ولم يعد يطبعه.

III. **آراؤهم ونظراتهم في المرحلة الثانية:** تميز رواد هذا التيار بمجموعة من الآراء والنظرات المتقدمة، كان لها أكبر الأثر في مطلع هذا القرن في توجيه الشعر الحديث وجهه جديدة.

ولعلّ الذي ساعد على هذا أن هؤلاء الرواد كانوا شعراء، ينظمون الشعر إلى جانب تعمقهم في الدراسات الأدبية والنقدية وتفتحهم على التيارات الأدبية والفنية في الأدب الغربي وتعرفهم على الشعراء الأوربيين والقصاصين والنقاد ودارسي التاريخ بصفة عامّة، والرومانسيين منهم بصفة خاصّة. فنظراتهم النقدية لم تنفصل عن إبداعهم الشعري فقد كانوا يكتبون هذه الآراء النقدية كمقدمات لدواوينهم الشعرية فالتحم النقد بالفن، وارتبطت الآراء النظرية بالتطبيقات الفنية ومن ثم كان تأثير هذه الحركة النقدية كبيراً ونفوذها واسعاً، ولقد كان إحساسهم بالحياة حاداً وكانت نظرتهم إلى الكون شاملة وكانوا منهومين بأسرار الطبيعة ولذلك كانوا يشعرون أنّهم يؤدون رسالة سامية فلذا راحوا يكتشفون آفاقاً جديدة للشعر العربي الحديث وأخذوا يبشرون في مقدمات دواوينهم الشعرية بآراء جديدة ويدعون إلى الصدق الفني ووصف الطبيعة والتعبير عن العاطفة والأنّدماج في مظاهر الكون والنفاذ إلى ما وراء المحسوسات والاهتمام بالعقل، والوحدة العضوية للقصيدة

والبعد عن المناسبات العقيمة والنفاق والتحرر من القيود التي تحول دون الأبداع وصدق التجربة.

وقد كتب العقاد مقدّمة الجزء الثاني من ديوان عبد الرحمن شكري الموسوم (لآلئ الأفكار) الصادر عامّ 1913م يحدد معاني الشعر وتصورهم الجديد له ويؤكد أن الشعر ليس لغواً (تهذي به القرائح فتتلقاه العقول في ساع كلالها وفتورها فإن كانت النفس تكذب في ما تحس به أو تداجي بينها وبين ضميرها، فالشعر كاذب وكل شيء في هذا الوجود كاذب والدنا كلها رياء، ولا موضع للحقيقة في شيء من الأشياء وما هذه الاستعارات والتشبيهات إلا أشياء تختلف في ظاهرها ولكنها في كنهها واحدة لا خلاف بينها" [32]

ويؤكد العقاد أن الشعر "شيء لا غنى عنه وأنّه باق ما بقيت الحياة، وإن تغيرت أساليبه وتناسخت أوزانّه وأعاريضه" [33] ويرى أن نهضات الأمم لا تكون إلا حيث تستيقظ المشاعر وتتحرك الخوالج ونزعات النفوس والسرائر "وفي هذه الفترة ينبغ أعاظم الشعراء، وتظهر أنفس مبتكرات الأدب. وما الشعر من تلك العواطف إلا مناطها الذي تتعلق به. بل هو ناقوسها المنبه لها، وحاديها الذي يأخذ بزمام ركبها" [34] ثم يتحدث عن شعر شكري بعد ذلك فيصفه بقوله: "في هذه الصفحات نظرة المتدبر وسجدة العابد. ولمحة العاشق، وزفرة المتوجع وصيحة الغاضب، ودمعة الحزين وابتسأمّة السخر. وبشاشة الرضى، وعبوسة السخط. وفتور اليأس ومرارة الرجاء وفيها إلى جنب

ذلك من ورح الرجولة ما يكظم تلك الأهواء... إن شعر شكري لا ينحدر انحدار السيل في شدة وصخب وانصباب. ولكنه ينبسط انبساط البحر في عمق وسعة وسكون". (35)

وقد حدد عبد الرحمن شكري مفهومه للشعر وموقف الشاعر من الفن والحياة في الجزء الثالث من ديوانّه (أناشيد الصبا) الصادر سنة 1915م... وأكدّ أن الشاعر الكبير "لا يكتفي بإفهام الناس بل هو الذي يحاول أن يسكرهم بالرّغم منهم. فيخلط شعوره بشعورهم وعواطفه بعواطفهم. ولشعر العواطف رنة ونغمة لا تجدها في غيره من أصناف الشعر، وسيأتي يوم من الأيام يفيق الناس فيه إلى أنّه الشعر ولا شعر غيره. فالشعر مهما اختلفت أساليبه لا بدّ أن يكون ذا عاطفة"(36)

ثم يقرّر شكري أن الحياة في نظر الشاعر الذي يعيش لفنّه الجميل "قصيدة رائعة تختلف أنغامها باختلاف حالاتها ففيها نغمة البؤس والشقاء، وفيها نغمة النعيم وفيها أنغام الغيرة والحسد والأمل والرضا والحب" (37)

"والشاعر الكبير هو الذي يتعرف كيف يقتبس من هذه الحالات أنغامها ويصوغها شعراً، وهو الذي عواطفه مثل عواطف الوجود مثل الأمواج والرياح والضياء، أو النار أو الكهرباء ومن أجل ذلك لا ينظم الشاعر إلا في نوبات انفعال عصبي في أثنائها تغلي أساليب الشعر في ذهنه وتتضارب العواطف في طلبه، ولكن تضارباً لا يزعج نبضة طيور الأنّغام الشعرية التي تغرد في ذهنه

أما في غير هذه النوبات، فالشعر الذي يصنعه يأتي فاتر العاطفة، قليل الطلاوة والتأثير[38]

وهكذا يدعو العقاد إلى عدّة أسس نقدية من خلال تقديمه لديوان شكري فهو يدعو إلى:

1. الصدق الفني والشعوري.
2. الارتباط بين التجربة الشعرية وأدواتها التعبيرية والتصويرية.
3. أن يكون الشعر تعبيرا عن الشاعر.
4. وإنّ النهضات الحقيقية لا تكون إلا حيث تستيقظ المشاعر وتهتاج العواطف ولا يكون ذلك إلا من خلال الشعر الجديد الذي يصور خوالج النفس ويعبر عما يدور في الوجدان.

وقد دعا المازني إلى الأصالة والابتكار والبعد عن التقليد، والصدق الفني في مقدّمة الجزء الثاني من ديوأنّه الصادر عامّ 1917م وأكد أنّه ليس "أجني وأعذب ورداً من الشعر إذا صدق أهله المقال، وترفعوا عن التقليد الذي لا حاجة بنا إليه ولا ضرورة تحملنا عليه وكلما اتسع الناس في الدنيا اتسعت المعاني كذلك والصدق في الترجمة عن النفس والكشف عن دخيلتها أبلغ في التأثير وأنجع"[39]

ويؤيد المازني أن الشعر ديوان يفيد فيه أهل العقول الراجحة ما يجيش في خواطرهم في أسعد الساعات، وهو الذي ينقذ من الفناء والعدم خواطر الإلهام، وهو يحلق فوق الحياة ويرغمه أن

يحس ما يرى وأن يرى ما يحسّ وأن يتخيل ما يعلم وان يعلم ما يتخيل وهو يجعل القبح جمالاً ويزيد الجمال نضرةً وجلالاً [40]

وقد كتب العقاد في مقدّمة الجزء الأول من ديوان المازني الذي صدر في عامّ 1913م يحدد تصورهم للشعر والأدب ويبشر بمذهبهم الجديد قائلاً: "قلنا إنّ الشعر العربي نشأ منشأ جديداً من نحو العشرين سنة ونقول أنّه كان نضالاً نزع فيه الظافر أسلاب المخذول ولكنه لبسها فكان ظافرهم ومخذولهم أقرب الناس زياً ونحن اليوم غيرنا من عشرين سنة - لقد تبوأ منابر الأدب فتية لا عهد لهم بالجيل الماضي، نقلتهم التربية والمطالعة أجيالاً بعد جيلهم فهم يشعرون شعور الشرقي فرفعوا غشاوة الرياء والتحرر من القيود الصناعية [41]

ثم يشير العقاد بعد ذلك إلى تجديدهم في الشكل ((ولقد رأى القراء بالأمس في ديوان شكري مثلاً من القوافي المرسلة والمزدوجة والمتقابلة وهم يقرؤون اليوم في ديوان المازني، مثالاً من القافيتين المزدوجة والمتقابلة وهذا يعنى تهيئ المكان لاستقبال المذهب الجديد إذ ليس بين الشعر العربي وبين التفرع والنماء إلا هذا الحائل، فإذا اتسعت القوافي لشتى المعاني والمقاصد، وانفرج مجال القول بزغت المواهب الشعرية على اختلافها، ورأينا بيننا شعراء الرواية، وشعراء الوصف وشعراء التمثيل، ولا تطول نفرة الآذان من هذه القوافي لا سيما في الشعر الذي يناجي الروح والخيال، أكثر مما يخاطب الحس والآذان)) [42]

إلاّ أنّ العقاد من خلال الممارسة الفعلية رجع عن هذا الرأي في ما بعد وأكد "أنّ انتظام القافية متعة موسيقية تخف إليها الآذان وانقطاع القافية بين بيت وبيت شذوذ يحيد بالسمع عن طريقة الذي اطرد عليه، ويلوى به لما يقبضه ويؤذيه لهذا نحسب أن السنين التي مضت منذ ابتداء التفكير في الشعر المرسل قد مضت على غير طائل لأنّنا عرفنا في هذه الفترة ما يسيغ وما لا يسيغ فعدل الشعر عن تجربة الشعر المرسل الذي تختلف قافيته في كل بيت، وجربوا التزام القافية في المقطوعات المتساوية أو في القصائد المزدوجة أو المسمطة وما إليها فإذا هي وافية بالغرض الذي نقصد إليه من التفكير في الشعر المرسل لأنّها تحفظ الموسيقية وتعين الشاعر على توسيع المعنى والأنّتقال بالموضوع حيث شاء [(43)].

وقد يُلمح من كلام المازني والعقاد في مقدمتيهما كثيراً من الآراء والأفكار النقدية المشتركة بين تيارهم.

فالمازني يدعو في مقدّمته لديوأنّه إلى:

1. البعد عن المحاكاة والتقليد.
2. تصوير المعاني الانسانية المتجددة.
3. الصدق في ترجمة النفس والسريرة.
4. وهو يؤكد خلود الشعر ما بقيت بواعثه.

أما العقاد فقد شرح التحول الذي طرأ على الشعر فأصبح جديداً في موضوعاته وأخيلته وصوره.

1. ودعا إلى استقلال الشخصية.
2. والبعد عن التقليد.
3. وقرّر أنّ الشعر الحديث لم يعد يهتم بالمناسبات العابرة.
4. كما أشار إلى التجديد في الشكل الفني.

وهناك بعض القضايا التى شغلتهم طويلاً منها:

1. **موقف الشاعر من قومه ومن العاطفة والطبيعة**: يقول عبد الرحمن شكري في مقدّمة (زهر الربيع) وهو الجزء الرابع من دواوينه "إنّ وظيفة الشاعر هي الإبانة عن الصلات التي تربط أعضاء الوجود ومظاهره والشعر يرجع إلى طبيعة التأليف بين الحقائق ومن أجل ذلك ينبغي أن يكون الشاعر بعيد النظرة، غير آخذ بالمظاهر مأخذ النور الحق، فيميز بين معاني الحياة التي تعرفها العامّة وأهل الغفلة، وبين معني الحياة التي يوحي إليه بها الأبد، وكل شاعر عبقري". (44)

وليس الشاعر الكبير من يعني بصغيرات الأمور ولكنّه الذي يحلق فوق ذلك اليوم الذي يعيش فيه ثم ينظر في أعماق الزمن آخذاً بأطراف ما مضى وما يستقبل فيجيء شعره مثل نظرته (45).

وبعض القراء يهزئ بذكر الشعر الاجتماعي ويعني شعر الحوادث اليومية مثل افتتاح خزّان أو بناء مدرسة أو حملة جراد أو مجيء طيار فإذا ترفع الشاعر عن هذه الحوادث اليومية قالوا ما له؟ هل نضب ذهنه؟ ويجعلون منزلة الشاعر على قدر عدد

قصائده في تلك الحوادث، فإذا نظم أحدهم قصيدتين في الجراد كان عندهم أعلى منزلة ممن نظم قصيدة واحدة [46].

2. الوحدة العضوية:

1. قضية الوحدة العضوية: ومن القضايا التي جذبت اهتمامهم قضية الوحدة العضوية للقصيدة... وقد ألح عليها العقاد وهو يهاجم شوقي ويتهم شعره بالتفكك وعنده إنّ القصيدة (ينبغي إنّ تكون عملاً فنياً تاماً يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة، كما يكمل التمثال بأعضائه والصورة بأجزائها بحيث إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل بوحدة الصنعة وأفسدها فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته، ولا يغني عنه غيره في موضعه، إلا كما تغني الأذن عن العين أو القدم عن الكف) [47]؛ ولا تعني الوحدة العضوية عندهم أن تتحول القصيدة إلى مجموعة من الأقيسة المنطقية يفضي بعضها إلى بعض، أو التقسيمات الرياضية وإنّما يريد (أن يشيع الخاطر في القصيدة ولا ينفرد كل بيت بخاطرة واحدة فتكون بالاشلاء المعلقة أشبه منها بالأعضاء المنسقة) [48]

ويوضح شكري رأيه في وحدة القصيدة ويحذر من أن نتخذ البيت وحدة للقصيدة ثم يقول (فينبغي إنّ ننظر إلى القصيدة من حيث هي شيء فرد كامل، لا من حيث هي أبيات مستقلة فإنّنا إذا فعلنا ذلك وجدنا إنّ البيت قد لا يكون مما يستفز القارئ لغرابته، وهو بالرّغم من ذلك جليل لازم لتمام القصيدة،

ومثل الشاعر الذي لا يعني بإعطاء وحدة القصيدة حقها مثل النقاش الذي يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التي ينقشها من الضوء نصيباً واحداً وكما أنّه ينبغي للنقّاش إنّ يميز مقادير امتزاج النور والظلام في نقشه كذلك ينبغي للشاعر إنّ يميز بين جوانب موضوع القصيدة وما يستلزمه كل جانّب من الخيال والتفكير)[49].

والعقاد ينظر إلى وحدة القصيدة نظرة جمالية مركبة ويرى أنّها ضرورة لهؤلاء الشعراء الذين تتجاوب في نفوسهم المعرفة والإحساس وتعدد الخوالج والنظرات، ويسخر من الذين يأخذون الشعر بيتا بيتاً ولو كانت القصيدة لغواً مبدداً لا يربطه بعد ذلك نسق ولا نظام ويؤكد إنّ الشرط في المعنى الشعري (أن يكون إحساساً وخيالاً، أو فكراً يخامر النفس بإحساس وخيال، ولكن ليس من شروط المعاني الشعرية أن يحجر عليها فلا تترقى أبداً عن الأشيع والأنّزل من درجات الشعر والإدراك) [50]

2. التشبيه والخيال: ومن القضايا التي أثارها أبناء هذا التيار قضية التشبيه والخيال ودورهما في الأداء الفني وقد أبرز شكري كل جوانب الخيال في مقدّمة ديوأنّه الخامس (الخطرات) الصادر عامّ 1916م، فالخيال عنده ليس مقصوراً على التشبيهات، والشاعر الكبير ليس هو الذي يلجأ دائماً إلى التشبيهات فقد تكون القصيدة مليئة بالتشبيهات وهي بالرّغم من ذلك تدل على ضآلة خيال الشاعر، وقد تكون خالية من التشبيهات وهي تدلّ على عظم خياله [51].

ويرى شكري إنّ التشبيه يأتي لشرح عاطفة أو توضيح حالة أو بيان حقيقة... ويرى إنّ الشعر ما خلا من التشبيهات البعيدة والمغالطات المنطقية مثل هذا الشعر يصل إلى أعماق النفس (52).

3. الفكر في الشعر: ومن القضايا أيضا التي أثاروها قضية الفكر في الشعر أو التأمل الفكري... وقد ساعدتهم على ذلك ظروفهم النفسية والأحوال الاجتماعية التي كانوا يعيشون في ظلالها ومزاجهم الحاد، ونأثرهم العنيف بالظروف والاحداث.

ويحدثنا المازني وهو يعلق على قصيدة (ترجمة شيطانّ) للعقاد فيقول: (لأول مرة في تاريخ الأدب المصري - والعربي أيضاً يرى القارئ عملاً فنياً قائماً على فكرة معينة تدور على محورها القصيدة وتجول، ولعلّ هذا لمن أظهر مميزات الأدب الحديث فترى الشاعر قد أعمل ذهنه حتى أفرغه في قالب ومن ثم عرضه في أسلوب فني موسيقي أبدعه لها)(53)

وقد ربط العقاد بين الشعر والفكر والفلسفة والخيال وأكّد " أنّ الفكر والخيال والعاطفة ضرورية كلها للفلسفة والشعر مع اختلاف في النسب وتغاير في المقادير، فلا بدّ للفيلسوف الحق من نصيب من الخيال والعاطفة ولكنّه أقل من نصيب الشاعر، ولا بدّ للشاعر الحق من نصيب من الفكر ولكنه أقل من نصيب الفيلسوف فالمعهود إنّ شعراء الأمم الفحول كانوا من طلائع النهضة الفكرية ورسل الحقائق والمذاهب فى كل عصر نبغوا فيه فمكانهم فى تاريخ تقدم المعارف والآراء لا يعفيه ولا يغض منه مكانهم فى تواريخ الاداب والفنون.(54)

ويدعو شكري إلى المعرفة والاطلاع ويرى أنّ (نفس الشاعر ينبوع والإطلاع هو الآلة التي يرفع بها ماء ذلك الينبوع إلى الأماكن العالية)(55).

وكلما كان الشاعر أبعد مرمى وأسمى روحاً، كان أغرز إطلاعاً فلا يقصر همته على درس شيء قليل من شعر أمّة من الأمم، فإنّ الشاعر يحاول أن يعبر عن العقل البشري والنفس البشرية وأن يكون خلاصة زمنه وأن يكون شعره تاريخًا للنفوس ومظهر ما بلغته النفوس في عصره (56).

ويمكن أن نستخلص مجموعة من الأفكار والآراء والقضايا تناولوها جميعا وكانت قسمات مشتركة بينهم ومنها:

* الدعوة إلى الابتكار والتجديد، والبعد عن المحاكاة والتقليد؛

* الصدق الفني والصدق الشعوري؛

* استقلال الشخصية؛

* الشعر لغة العواطف والخيال والذوق؛

* البعد عن المناسبات العابرة؛

* الغوص إلى أعماق الكائنات والأشياء؛

* الشاعر رسول قومه تتبين في شعره فلسفة كاملة للحياة؛

* الفكر لازم للشعر لزوم الخيال والعاطفة؛

ومن أهمّ القضايا التي أثاروها واختلفوا مع أبناء جيلهم

قضية الأصالة والطبع، والخيال والوحدة العضوية والمعجم الشعري، وموقف الشاعر من قومه والشعر الاجتماعي وغيرها من القضايا التي أثاروها ومن أجل هذا يعتبر العقاد رائداً لهذا التيار، لاستمراره في الميدان حتى بعد أن اختفى شكري وتحوّل المازني إلى الصحافة فقد بقى يواصل الشعر والنقد حتى آخر أيام حياته.

3. **الديوان وثورة العقاد:** على الرّغم من أنّ العقاد قد اشتبك في ثورة ضارية مع أعلام الأدب والفكر منذ مطلع العقد الأول من القرن العشرين، فقد وصلت هذه الحرب ذروتها عامّ 1921م عندما أصدر مع المازني كتاب (الديوان) وهو دراسات في النقد والأدب صدر منه جزآن وكان مقرراً له ما كتب على غلاف الجزء الأول، أن يتمّ في عشرة أجزاء.

وقد بدأت مقدّمة الجزء الأول من الديوان(57) (بسم الله نبتدئ (وبعد) فإن كان للسكوت عن الخوض في أحاديث الأدب داع فقد زال ذلك الداعي اليوم، وقد تجددت دواعي الكتابة في أصوله وفنونه أخصها الأمل في تقدمه، لالتفات الأذهان إلى شتى الموضوعات ومتنوع المباحث والحذر عليه من الأنّتكاس، لاجتراء الأدعياء والفضوليين عليه، وتسلل الأقدام المغمورة والمآرب المتهمة إلى حظيرته، وكتابنا هذا مقصود به مجاراة ذلك الأمل، وتوقي تلك العلل، وهو كتاب يتم في عشرة أجزاء موضوعه الأدب عامّة، ووجهته الإبانة عن المذهب الجديد في الشعر والنقد والكتابة وقد سمع الناس كثيراً عن هذا المذهب

في بضع السنوات الأخيرة ورأوا بعض آثاره وتهيأت الأذهان الفتية المتهذبة لفهمه، والتسليم بالعيوب التي تؤخذ على شعراء الجيل الماضي وكُتابه، ومن سبقهم من المقلدين. وقد بدأ العقاد هجومه على شوقي قائلاً: "كنا نسمع الضجة التي يقيمها شوقي حول اسمه في كل حين فنمر بها سكوتاً كما نمر بغيرها من الضجات في البلد، لا استضخاماً لشهرته، ولا لمنعه في أدبه عن النقد فإنّ أدب شوقي ورصفائه من أتباع المذهب العتيق، هدمه في اعتقادنا أهون الهينات ولكن تعففاً عن شهرة يزحف إليها زحف الكسيح ويضن عليها من قوله ضن الشحيح[58].

ويمضي العقاد في الهجوم على شوقي فيتهمه بالكلف بالمدح... وبأنّه يوظف المرتبات على بعض الناس ليمدحوه... ثم يقول: وسيرى القراء إنّنا نغلظ له البلاغ وكذلك ينبغي أن يجزى الزيف والدسيسة والاستخفاف بالعقول والاستطالة على الناس بالمقدرة على كم الأفواه وتسخير المأجورين.[59]

ثم راح العقاد يتناول شعر شوقي بالنقد التفصيلي فبدأ بقصيدته (رثاء فريد) فيقول [60]: (أصاب شوقي حين قال إنّ قصيدته في رثاء فريد من خير قصائده، فأنّها في مستوى أحسن شعره الأول والأخير وهو صورة جامعة لأسلوبه وطريقته وفكره ولو نظمها قبل عشرين أو ثلاثين سنة، لهتف لها المخلصون من المعجبين به والذين يتلقون حكمهم عليه من ديباجات الصحف ولكانت خيراً في بناء شهرته، لأنّها من نوع ذلك الشعر الذي كان يشتهر به الشاعر في تلك الفترة وفيها

مزاياه ومحاسنه التي لم يكن للشعر مزايا ومحاسن غيرها... فقد كان العهد الماضي عهد ركاكة في الأسلوب وتعثر في الصياغة، وكان آية الآيات على نبوغ الكاتب أو الشاعر إنّ يوفق إلى جملة مستوية النسق، أو بيت شائع الجرس فيسير مسير الأمثال وتستعذبه الأفواه لسهولة مجراه على اللّسان.

وهذه هي قدرة شوقي التي مارسها واحتال عليها بطول المرانّ والتي هي مزية قصيدته في رثاء فريد وفي أحسن قصائده)[61]

مضى الجيل الفائت وجاء جيل بعده كثر فيه تداول الدواوين البليغة والرسائل الرصينة وأخرجت المطابع مئات الكتب التي صاغها أقدر الكُتاب العرب وشعرائهم، وإنّتشرت الصحف فأصبح من مألوفات العامّة ترديد جملها النحوية وترجمت الأسفار الإفرنجية أو إطلع عليها الناشئة في لغاتها فعرفوا مزية الكلام البليغ، ومضى الاقتدار الفني أو الأدبي وسهلت الأساليب لكثرة ما وردت على الأسماع فلم تعد مرونة اللفظ معجزة ذات بال فتعود القارئ إنّ يبحث عن المعنى، بل لا يكفي القارئ المُطّلع إنّ يجد المعنى حتى يبحث عن وجهته ومحصله، فمزية شوقي عند هذا الجيل الناشئ من القراء مزية تتخطاها العين كما تتخطى المألوف لتبحث عما وراءها [62].

ولهذا يرى العقاد إنّ هذا الجيل الذي يصفه قد إنّصرف عن شعر شوقي ولم يعد يستقبله كما كان يفعل من قبل لتغير ذوقه وتطور مفهومه الجمإلى، وأحس شوقي بذلك فأخذ يكثر

من الترويج لشعره ولما سُئل عن غرضه من قصيدته في فريد وقرئ له في نقدها لا يحب بهت على ما سمع وقال: تلك قصيدة أردت بها الكلام في فلسفة الموت (63).

ويمضي العقاد بعد ذلك إلى نقد القصيدة فيقول (نعود أيها القارئ إلى هذه القصيدة فلا ترى فيها ما لم تسمعه من أفواه المكدين والشحاذين الا كل ما هو أخس من بضاعتهم وأبخس من فلسفتهم وهذه أقوال (أمير الشعراء).

كل حي على المنية غاد
تتوالى الركاب والموت حاد
ذهب الالون قرناً فقرناً
لم يدم حاضر ولم يبق باد
هل ترى منهم وتسمع عنهم
غير باقي مآثر وأيادي

الخ.. الخ...

وماخلا هذه العظات ممّا نحا فيه فيلسوف الموت منحى الابتكار ونزع فيه إلى الاستقلال بالرأي فمعناه أحط من ذلك معدناً وأقل طائلاً وأفشل مضموناً، والجيّد منه لا يعدو أن يكون من حقائق التمرينات الابتدائية كالزبيب من العنب.(64)

وترى الدراسة أنّ العقاد قد تحامل على شوقي في قصيدة (رثاء فريد) لأنّ قارئ هذه القصيدة يحسّ حقاً بأزمة الشاعر العنيفة أمام لغز الفناء وهو يصوّر الناس يتساقطون جميعاً

كأوراق الخريف أمام الموت والإحساس بغروب الحياة وتـربص المنية بالناس.

تســــتريح المطـــــي يومـــــا وهــــذى
تنقــــل العـــــالمين مـــــن عهــــد عــــاد

ولكنّ العقاد يمضي في نقـد شـوقي والتحامـل عليـه... فـإذا ما قال شوقي:

تطلـــــع الشــــمس حيــــث تطلـــــع نضــــجا
وتنحـــــــــى لمنجـــــــــل حصــــــــاد
تلـــــك حمـــــراء فـــــي الســــماء وهــــذا
اعــــوج النصـــل مـــن مـــراس الجـــلاد

يهاجمه بعنف ويقول[65]: "الا أنّ شعراً يسف إلى هذا المجـال لجريرة لم يجنها على لغة العرب إلاّ زغل الصناعة لا جـزى الله صانعيها خيراً جعلوا التشبيه غايـة فصـرفوا إليـه هممهـم ولـم يتوسلوا به إلى جلاء معنى أو جلاء صورة، ثم تمـادوا فـأوجبوا على الناظم أن يلصق بالمشبه كل صفات المشبه به كان الأشياء فقدت علاقتها الطبيعية، وكان الناس فقدوا قدرة الإحساس بهـا على ظواهرها [66].

ويرى أنّه إذا كان لا بدّ مـن التشـبيه فلنشـبه مـا يبثـه فـي نفوسنا من حنين أو وحشة أو سكون أو ذكري ففي هذا لا فـي رؤية الشكل تختلف النفوس باختلاف المواقف والخواطر [67] ثم

يوازن العقاد بين قصيدة شوقي وقصيدة المعري التي يقول فيها:

غيـــــر مجـــــد فــــــي ملتـــــي واعتقـــــادي
نـــــوح بـــــاك ولا تـــــرنم شـــــاد

ويندد به قائلاً: "أين شوقي من هذا المقام؟" ويواصل حديثه مخاطباً إياه بقوله (68) (فاعلم أيها الشاعر العظيم إنّ الشاعر من يشعر بجواهر الأشياء لا من يعددها ويحصي أشكالها وألوانها وإن ليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشيء ماذا يشبه، وإنّما مزيته أن يقول ما هو، ويكشف لك عن لبابه وصلة الحياة به.

وليس همّ الناس من القصيد أن يتسابقوا في أشواط البصر والسمع، وإنّما همّهم أن يتعاطفوا ويودع أحسسهم وأطبعهم في نفس إخوانه زبدة ما رآه وسمعه وخلاصة ما استطابه أو كرهه وصفوة القول إنّ المحك الذي لا يخطئ في نقد الشعر هو إرجاعه إلى مصدره : فإن كان لا يرجع إلى مصدر أعمق من الحواس، فذلك شعر القشور والطلاء، وإن كنت تلمح وراء الحواس شعوراً حياً ووجدإناًّ يقود إليه المحسوسات، كما تعود الأغذية إلى الدم ونفحات الزهر إلى عنصر العطر، فذلك شعر الطبع القوي والحقيقة الجوهرية، وهناك ما هو أحقر من شعر القشور والطلاء، وهو شعر الحواس الضالة والمدارك الزائفة) (69)

وفي الجزء الأول من الديوان يواصل العقاد نقد شوقي، والهجوم على شعره فيتناول قصيدته (رثاء عثمان غالب) بقوله : (من فساد الذوق أن يقصد المرء المدح فيقزع في الهجاء

أو ينوي الذم فيأتي بما ليس تفهم منه غير الثناء وأشد من ذلك إيغالاً في سقم الذوق وتغلغلاً في رداءة الطبع شاعر يهزل من حيث أراد البكاء وتخفي عليه مظان الضحك وهو في موقف الرثاء والعبرة بالفناء) [70].ثم يتهم شوقي بأنّه ارتكب إثماً وهو يرثي عثمان غالب فيقول:

ضـــــجت لمصـــــرع غالـــــب
فـــــي الأرض مملكـــــة النبـــــات
أمســـــت بتيجـــــانٍ عليـــــه
مـــــن الحـــــداد منكســـــات
قامـــــت علـــــى ســـــاق لغيبتـــــه
وأقعـــــدت الجهـــــات
فـــــي مـــــأتم تلقـــــى الطبيعـــــة
فيـــــه بـــــين النائحـــــات
وتـــــرى نجـــــوم الأرض مـــــن
جـــــزع موائـــــد كاســـــفات

ويروح يتهكم على شوقي قائلاً: (فلو فجعت مثلاً بموت عالم من علماء المعادن لما يسمع لزهرة واحدة إنّ تذيل دمعة أسفاً لفرقته وإنّما كان لا يضيق به الخيال الفسيح والذوق المليح.. فكان يجعل اسوداد الفحم حداداً عليه وصلابة الحديد جموداً لهول المصيبة فيه وكان يجعل اصفرار الذهب وجلاً واحمرار النحاس احتقاناًّ) [71].

ثم يتابع سخريته الحادة: (وأي تفسير أو تأويل كنت

لا تسمعه من الشاعر الندابة في صهيل الخيل ونهيق الحمير ومواء القطط وعواء الكلاب ونقيق الضفادع لو كان العالم المفقود من علماء الحيوإنّ لا من علماء النبات.)[72]

وقد لخّص العقاد العيوب التي يقع فيها شوقي وإضرابه كما يقول في أربعة وهي: (التفكك، الإحالة، والتقليد والولوع بالأعراض دون الجوهر) وهذه العيوب هي التي صيرتهم أبعد عن الشعر الحقيقي الرفيع المترجم عن النفس الانسانية في أصدق علاقاتها بالطبيعة والحياة.[73] .

أما التفكك: فهو إن تكون القصيدة مجموعاً مبدداً من أبيات متفرقة لا تؤلف بينها وحدة غير الوزن والقافية فالقصيدة ينبغي لها إنّ تكون عملاً فنياً تاماً يكمل فيها تصوير خاطر أو خواطر متجانسة كما يكمل التمثال بأعضائه والصور بأجزائها فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته، ولا يغني عنه غيره في موضعه إلا كما تغني الأذن عن العين أو القدم عن الكف.. ومتى طلبت هذه الوحدة المعنوية في الشعر، فلم تجدها فأعلم أنّه ألفاظ لا تنطوي على خاطر مطرد، أو شعور كامل بالحياة، بل هو كأمشاج الجنين المخرج، بعضها شبيه ببعض [74]

ثم نصب العقاد هذا الميزان وراح يزن به قصيدة شوقي في رثاء مصطفى كامل فجعل يقدم بيتاً ويؤخر بيتا ويرتبها ترتيباً مختلفاً وإنّتهي إلى أنّ هذه القصيدة كالرمل المهيل لا يغير من أن تجعله عاليه سافله أو وسطه في قمته) [75].

أمّا الإحالة: فهي كما يقول العقاد فساد المعنى وهي ضروب فمنها الاعتساف والشطط ومنها المبالغة ومخالفة الحقائق ومنها الخروج بالفكرة عن المعقول أو قلة جدواه وخلو مغزاه. (76).

والتقليد: تكرار المألوف من القوالب اللفظية والمعاني والاقتباس والسرقة.

أمّا الولوع بالأعراض دون الجواهر: فهي تشبه الإحالة: في نظر العقاد بيد أنّ الفرق بينهما كالفرق بين الخطأ واللعب والسخف والعبث) وقد تتبع العقاد قصيدة (شوقي في رثاء مصطفى كامل وحاكمها على ضوء هذه المقاييس التي نثرها في نقده، واختار منها نماذج تدل على كل عيب من العيوب التي أخذها عليها.

وترى الدراسة عدم موافقة العقاد على نقده التطبيقي لشعر شوقي وإنّ التحامل والإسراف قد ظهر بشكل واضح في كل هذه النقدات ولكني اعتقد أنّ الزمن قد حكم في هذه الخصومة، وظلّ شعر شوقي يتردد في كل لسان، ويذاع بين أجزاء الأمّة العربية ويشغل المفكرين والدارسين ويؤثر في القلوب والعقول.

ولكن هل معنى ذلك أنّ تلك الصرخات تبددت في الهواء، وتلاشت دون أن تحدث أي أثر؟ لا بدّ أن نؤكد أنّ هذه الثورة النقدية العاتية التي قام بها رواد هذا التيار هزت هزاً عنيفاً أعلام الأدب في مطلع هذا القرن وقد أحسّ بها الجيل الناشئ بعد شوقي والذي كان يطمح في أن يصل إلى قمّة الحياة الأدبية وكان يرى أنّ شوقياً وإخواته من أعلام الجيل الماضي كان

يحولون بينهم وبين الوصول إلى تلك القمّة وقد تمكّموا من أين يصبحوا جزءاً من نسيج الحياة الأدبية في ذلك الوقت، وقد تمكّنوا أيضاً من أن يرسوا في عالم النقد كثيراً من الآراء والنظرات الجديدة رفدتها ثقافتهم العميقة وقراءاتهم الواسعة في الأدبين العربي والأوربي وبخاصّة شعراء ونقاد التيار الرومانسي.

الفصل الرابع: منابعهم الثقافية والروحية وتأثرهم بحركة النقد الرومانسية الاوروبية:

لوعدنا إلى تلك الأفكار الجديدة التي أثاروها والقضايا التي ناقشوها حول (الخيال) و(العاطفة) و(المعجم الشعري) و(الصدق الفني) و(جوهر الشعر) وعلاقة الشاعر بالطبيعة والكائنات لوجدنا تجاوباً كبيراً بينهم وبين حركة النقد الرومانسي الأوربية وعلى وجه التحديد حركة النقد الرومانسية في الأدب الإنجليزي. ولقد كانوا واقعين بصفة خاصّة في أسر (كولردج)[77] و (هازليت)[78] و(شيلي)[79] و(كيتس)[80] و(بيرون)[81].

ولقد اهتمّ العقاد في بعض أعماله بتصوير بسائط الحياة ونفث الحرارة فيها، وكان يؤكد أنّ كل شيء صالح للشعر فنحن الذين نبث في الأشياء من روحنا ونحولها إلى مادة شعرية وهو نظرات تذكر بمقدّمة الأقاصيص الشعرية الوجدانية[(82)] لوردزورث، وقد كانوا مفتونين بعلمين من أعلام النقد الإنجليزي هما (هازليت) و(كولردج). وكان العقاد يسمى

(هازليت) إمامهم في النقد وكانوا متأثرين بسلوكه في الحياة فضلاً عن آرائه وأفكاره. ولقد كان (هازليت) صافي الذوق الأدبي مرهف الحسّ، شديد الفطنة ذكي اللفتات. إلاّ أنّهم كانوا يأخذون عليه إنصرافه إلى الكتابة في الصحف والمجلات وعدم اهتمامه بتعميق ثقافته وتنويع دائرة اطلاعه.

وكان شديد التقلب حاد المزاج يحكم عداواته وصداقاته في نقده، وكان يسرف في الحب ويسرف أيضاً في الكره، وكان يطلق الأحكام كالقذائف، فهو يقول في مقال له بعنوان (جهل المتعلمين) أصحّ ما يوصف به الكتاب والقراء أنّهم أضعاف الناس فكراً، وإنّ خير لك أن تكون أمياً لا تقرأ ولا تكتب من أن تكون رجلاً لا يعرف غير الكتابة والقراءة. إنّ الرجل يجلس إلى مكتبه وتحت مصباحه كتاب، لا يستطيع بطبيعة الحال أن يرى ما يدور حواليه، أو يعطي نفسه فرصة يتأمل فيها ما قد يجول بخاطره. مثل هذا الرجل لا يحمل عقله في رأسه، وإنّما عقله حيث يضع كتابه، فهو آونة في جيبه، وأنّا على الرف في مكتبته) [83].

ثمّ هو شديد الحملة على التعليم النظامي والمدارس والجامعات، يقول (إنّ من أكمل تعليمه في مدارسنا هذه النظامية وهو سليم الفطرة قوي البداهة فقد نجا من سوء المصير بأعجوبة. ومن قديم عرف أنّ الأطفال الذي يتألقون في المدارس ويبرزون، لا يكونون في طليعة الناس بعدما يخرجون من وراء جدران المعاهد إلى معترك الحياة).[84]

وقد كان شديد المقت للّذين تعلموا في المدارس والجامعات ويتجلى ذلك في هذه العبارات التي ختم بها مقاله عن (جهل المتعلمين) (أريد بعد هذا كله أن أقول أنّ أعقل الناس هم رجال الأعمال ورجال الدنيا؛ الذين يجادلون على أساس ما رأوا وما عرفوا. لا على أساس ما قرأوا وما تعلموا).

وأريد أن أقول أنّ الرجل الذي لم يتعلم أوسع حيلة وأكثر حرية وأبعد عن الهوى والتحيز عن الرجل المتعلم، فإن أردت أن تعرف قوة العبقرية الانسانية فعليك بما كتب شيكسبير -وهو لم يتعلم في كلية أو جامعة. وإن أردت أن تدرك تفاهة العلم الإنساني فأقرأ ما كتب نقاده وشارحوه وهم من أبناء المدارس والجامعات) [85].

هذه الأحكام الحادة الصارمة اعتقد أنّها تستهوي نفوس شباب طامح إلى قمّة الحياة تقف في سبيله العوائق والحواجز حرم من التعليم المنتظم أو التدريس في الجامعة، ولعلّ هذا هو الذي لفت رواد (تيار الثورة) إلى (هازليت) فقد أثر فيهم بسلوكه وعصاميته، كما أثر فيهم بنظراته النقدية...

فأخذوا عنه الآراء والأفكار، ولفتهم إلى الكتاب والنقاد والشعراء الإنجليز وعلى الأخصّ (كولردج) و(رودزورث) و(تشارلز لام)، فقد كان صديقاً لهؤلاء جميعاً ولهذا رات الدراسة أن تُعرض بعض الاراء النقدية لهازليت:

المطلب الاوّل: بعض آراء هازليت النقدية:

ولعل (العقاد) وهو يصف (هازليت) بأنّه (إمام) مدرستهم في النقد كان متأثراً بهذا التجاوب الروحي العميق، والذين يتأملون حياة (هازليت) يجدون بينها وبين حياة العقاد وصاحبيه مشابه كبيرة.

والتجاوب في النزعة وفي ظروف الحياة يضفي على العلاقة الأدبية جواً مشحوناً بالولاء الحاد، ولذلك لا عجب إن يتحول العقاد والمازني وشكري إلى مريدين (لهازليت) وإن يتأثروا بنظراته النقدية.

ويبدو أنّهم جميعاً قد أطالوا النظر في كتابه (محاضرات في الشعراء الإنجليز) الذي نُشر في عام 1818 وهو مجموعة من المحاضرات تتضمن ثمانية موضوعات(86) الموضوع الأوّل منها لعلّه أهمّها من حيث هو كلام عن الشعر بصفة عامّة، ففيه يضع المبادئ والمعايير للكلام عن الشعراء وتقديم أعمالهم، والموضوع الثاني عن (تشوسر وسبنسر)، والموضوع الثالث أبدعها ففيه يتكلم عن: (شيكسبير) و(ملتون) والموضوع الرابع عن (درايدن وبوب) وكلامه عن (بوب) من أرهف ما كتبه وكان فيه سابقاً لكُتاب زمنه في فهم ذلك الشارع وإنصافه والموضوع الخامس عن (تموسون) و(كوبر) والموضوع السادس عن (سويفت) و (ينج) و (جراي) و(كولنز) والموضوع السابع عن (بيرنز) والقصائد الإنجليزية القديمة.. والموضوع الثامن والأخير عن الشعراء الأحياء. (87).

وسنحاول أن نستعرض بعض آرائه في الشعر وفي بعض الشعراء الذين تناولهم في هذه المحاضرات لنعرف أنّ نظرات العقاد والمازني وشكري النقدية كانت تسبح في جو شبيه بالجو الذي تسبح فيه (نظرات) (هازليت) وعلى وجه الخصّوص في الناحية النظرية.

الشعر عند هازليت: فالشعر عنده هو الإنطباع الطبيعي لأيّ موضوع أو حادث بكل حيويته، بحيث يثير حركة لا إرادية في المخيلة والعاطفة فيحدث عن طريق المشاركة الوجدانية أو التعاطف، تموجات صوتية تعبر عنه، فالشعر هو اللّغة الكونية التي يعبر بها القلب عن الطبيعة وعن ذات نفسه، ومن يزدري الشعر لا يمكن أن ينطوي على احترام كثير لنفسه أو لأيّ شي آخر، فهو ليس حلية كمالية سطحية، بل كان دائماً موضوع دراسة البشرية وحبورها في جميع العصور، وهو لا يوجد في الكتب فحسب، بل حيثما وجد إحساس بالجمال أو القوة أو التناغم - كما هو الحال في موجة باليم أو إنّبثاق زهرة - فثمة شعر بازغ.

وهو ليس فرعاً من فروع التأليف، بل هو المادة نفسها التي جعلت منها حياتنا، وما عدا ذلك هباء يطويه العفاء والنسيان، لأنّ الجدير بالذكر حقاً من أمور الحياة، الجانب الشاعري منها [88].

والشعر عنده ليس نوراً مباشراً فحسب، وإنّما هو نور منعكس أيضاً ففي الوقت الذي يرينا فيه الأشياء يشع حولها ضياء يشمل كل الآفاق المحيطة بها. فشعلة العواطف المحتدمة إذ تشب

في المخيلة تكشف لنا في مثل ومض البرق أعمق مسارب الفكر الخفية، وتنفذ بأضوائها إلى كياننا كله.

فمهمّة الشعر وغايته القصوى في ما مضى من الزمان وفي وقتنا الراهن أيضاً أن تحمل المرآة أمام وجه الطبيعة، بحيث ترى الطبيعة نفسها في زي العاطفة والمخيلة، لا مجردة من هذا الزي بيد الحقيقة الحرفية والعقل المجرد. فمن ينبذون رؤى الخيال كي يقدموا لنا بدلاً منها خليقة من صنعهم ناصلة الألوان ما أبعدهم عن الحكمة الحقيقية) [89].

ولا شكّ أنّ هذا التصور للشعر: من أنّه (لغة كونية) وتعبير عن العواطف، وتصوير الطبيعة من خلال خيال الفنان.. وإنّ الشعر منبث في كل مظاهر الجمال، وحيثما وجد الإحساس بالتناغم وأنّه مادة حياتنا وأنّه موضوع دراسة البشرية في كل العصور.

لا ريب أنّ هذا التصور الوجداني الحاد للشعر كان يستهوي أفئدة شبابنا من أبناء هذا التيار الثوري وهم جميعاً شعراء يحسّون هذه الأحاسيس التي يصورها (هازليت) ويراها رسالة للشاعر، فلا عجب أن يتأثروا بها وتنطبع في عقولهم وقلوبهم، ويظهر صداها في آرائهم ونظراتهم النقدية التي كتبوها مقدمات لدواوينهم الشعرية، في مطلع حياتهم الأدبية.

ولو عدنا إلى آراء العقاد والمازني وشكري، لوجدناها قريبة الشبه بهذه الآراء التي نثرها (هازليت) في كتبه وخاصّة (محاضراته عن الشعراء الإنجليز)

وقد استفادوا منه شيئاً آخر فوق فائدتهم النظرية عن الشعر، هو هذا المنهج الذي كان يتناول به (هازليت) الشعراء الإنجليز، بما فيه من وحدة وعمق، وتدفق وذكاء، ووضوح.

فهو عندما يتحدث عن شاعر يرسم له صورة محدّدة بعدّة لمسات سريعة واضحة، ويهمنا هنا أن نستعرض رأيه في بعض الشعراء الذين تناولهم في (محاضراته عن الشعراء الإنجليز) لنرى طريقته وآثرها على هؤلاء الرواد.

عندما يتحدث عن (تشوسر وسبنسر) يقرر أنّهما مدينان لشعراء إيطاليا القدامى... وأنّ (سبنسر) شاعر يبتهج بمسرات الحس. أمّا تشوسر فيبتهج بنشاط العقل الصارم.. وذلك أنّ - (سبنسر) أشدّ الشعراء العظام رومانسية في حين كان (تشوسر) أوفرهم نصيباً من الجانب العملي فهو لا يتكلف فى إظهار سلطانه على عقل قارئه، بل يظهر سلطان موضوعه على عقله هو، فليس في أسلوبه افتعال فخامة بل هو شحيح في استخدام عناصر شاعريته شحاً أشبه بالبساطة الغفل التي كانت طابع زمنه الذي عاش فيه) [90].

أمّا (سبنسر) فهو أحظى الشعراء نصيباً من الشاعرية ففي شخوصه الرمزية والخيالية أصالة وخصوبة وتنوع. تضارع ما كان من هذه الصفات للميثولوجيات القديمة الباهرة. فشعره كله عالم أعاجيب سحري، وهو يصور الطبيعة لا كما تجدها، بل كما تتوقع أن تجدها) [91].

(فسبنسر شاعر أحلام يقظتنا، وهو لم يبتدع لها لغة خاصّة به فحسب بل ابتدع لها أيضاً موسيقى خاصّة به، تموجاتها كتموجات البحر لا نهاية لها تنسينا أصوات العالم الأخرى بخريرها الأخاذ) [92].

ويرى أنّ أعظم أربعة أسماء في الشعراء الإنجليز هم (تشوسر) و(سبنسر) و(شيكسبير) و(ملتون) ويتميز (تشوسر) بأنّه شاعر الحياة الواقعية المحسوسة، ويتميز (سبنسر) بأنّه شاعر الرومانسية أو العاطفة الخيالية ويتميز (شيكسبير) بأنّه شاعر الطبيعة بأوسع ما لهذه الكلمة من معنى ويتميز (ملتون) بأنّه شاعر الأخلاقيات... فخاصّة (تشوسر) العمق الحي، وخاصّة (سبنسر) البعد، وخاصّة (ملتون) السمو، وخاصّة (شكسبير) كل شيء [93] .

وعنده إنّ عقل (شيكسبير) عقل يتميز بالشمول الخصب والقدرة على الاتصال بسائر العقول الأخرى ولقد أشرقت عبقريته إشراقاً متساوياً على الخير والشرير، وعلى الحكيم والأحمق، وعلى العاهل والمتسول.

ويقول عما أبدعه شعراء البحيرة (والمفارقة التي بدأ هؤلاء الشعراء بها. إنّ كل شيء يصلح بطبيعته على السواء موضوعاً للشعر، أو على الأصح إنّ أحقر الأشياء وأقلها تجانساً مع الشعر هي أفضل موضوعات الشعر) [94].

ويرى إنّ غاية هؤلاء (ان يقلبوا المعايير ويسترعوا الأنّتباه بثورتهم على القواعد المستقرة) ومصداق ذلك في ما يوجد مبثوثاً واضحاً في أشعار (ساذي وكولريدج ووردزورث)[95].

وقد أشار إشارات عميقة حارة يمجد فيها (كولردج) عندما قال عنه أنّه (الشخص الوحيد الذي عرفته في حياتي تنطبق عليه ماهية العبقري.. ولكن قصيدته (الملاح القديم) العمل الوحيد الذي يعطينا فكرة ملائمة عن قدراته الطبيعية، فهو في هذه القصيدة العظيمة يبدو كمن يتصور الشعر حلم سكران فيه إندفاع وعدم مبالاة) [96].

على أنّ أهمّ شيء قدمه لهم (وليم هازليت) هو هذه العصارات الحية الخلاقة من الفكر الإنجليزي والثقافة الإنجليزية فقد اختلطت بعقولهم وقلوبهم وأذواقهم وأضاءت لهم الطريق إلى تلك المنابع والأصول فارتادوها في ثقة واطمئنان وراحوا يلتقون في ألفة ومحبة بالأسماء التي هداهم إليها....

ويبدو أنّهم أطالوا الوقوف عند بعض الأسماء من الشعراء الإنجليز: (كولردج) و (وردزورث) و (بيرون) و(شلي) و(كيتس).

وهم جميعاً شعراء ونقاد ولكنهم - في ما عدا كولردج - استكانوا للشعر وغلبت عليهم صفته وأبدعوا في ميدانه ودخلوا تاريخ الأدب الإنجليزي كشعراء كبار...

وقد شذ (كولردج) عنهم، فغلبت عليه صفة الناقد والفيلسوف فحجبت صفة الشاعر الرومانسي العميق ولكنهم على كل حال تركوا مجموعة من النظرات النقدية وخاصّة في نقد الشعر، كان لها أكبر الأثر في توجيه أبناء (تيار الثورة) في نقدنا العربي الحديث، فلقد أحبوا هؤلاء جميعاً - أشخاصاً

ومفكرين - وارتبطوا بهم فكراً وسلوكاً، وتجاوبوا معهم في مطلع حياتهم الأدبية ووجدوا عندهم صدى لما في نفوسهم من أشواق فكرية وروحية وساحوا مثلهم في عوالم سحرية من الخيال، وطافوا مثلهم بالخرائب الموحشة والقبور الصامتة يغشاها جلال الله، وتتضوأ على شواهدها أقباس من ضوء القمر الحالم، واعتصموا بالطبيعة والليل ينشدون في حماهما أمانا من صخب الحياة وضجيج الواقع.. وتغنوا بالألم واستعذبوه.

وتحرروا مثلهم من القواعد التقليدية، وانطلقوا في غنائية عذبة، وتلقائية ينشدون أشجى الأنغامّ، وفتنتهم المناظر الغريبة، والفلسفة المثالية، وهاموا بأحلام اليقظة، والعناصر الخارقة، والغموض واختلطت في تعبيراتهم وظائف الحواس، وعن طريق إحساسهم الناضر بالطفولة. مزجوا مشاعر الحيرة والغرابة بالأشياء المألوفة فصارت أعمالاً موحية باهرة.

وإذا كانت هذه سمات الرومانسيين الأوربيين، فأنّها قد أخذت طريقها إلى نتاج العقاد والمازني وشكري، وعلى اختلاف بينهم في الانفعال والتأثر فبينما كانت ثورة حادة وهياماً بالطبيعة وتصويراً لبسائط الحياة عند العقاد... تجلت عند شكري: ولعاً مرهفاً بالخوارق والليل والحزن، وتصويراً حاداً للحلول في الطبيعة والامتزاج بمظاهرها المختلفة، وحنيناً إلى الموت

وظهرت عند المازني حزناً رقيقا شفافاً وشكوى دائمة من القيود التي تحول دون تحقيق الآمال، وليس من شك في أنّ هذه المظاهر الرومانسية كانت واضحة في شعرهم، وفي نثرهم

الفنى وعلى الأخص في كتب عبد الرحمن شكري (الصحائف) و(الثمرات) و(الاعترافات) ولهذا كان شعرهم تياراً جديداً من أهمّ تيارات التجديد في شعرنا الحديث. والذي يهمنا هو تصورهم الكبير ونظرياتهم النقدية... -وهي الأخرى متأثرة إلى حد بعيد بهؤلاء الرومانسيين. وإذا كان (هازليت) هو إمام مدرستهم في النقد، فقد ترك (كولردج) هو الآخر على آرائهم ونظراتهم النقدية، بصمات عميقة ولعله هو الذي هداهم إلى الوحدة العضوية في القصيدة، وتصور بسائط الحياة ونفث الحرارة فيها وإلباسها ثوباً فنياً جميلاً يرتفع بها إلى عوالم الفن السحرية ولعله هو الذي هداهم إلى التفرقة بين الخيال والوهم.

المطلب الثاني: آراء كولردج النقدية وأثرها فيهم:

وكولردج علم من أعلام النقد الإنجليزي تمكن رغم حياته القلقة المعذبة من أن ينتج في عالم الفكر والأدب والفن، نتاجاً غزيراً عمق مجرى الفكر الإنساني.. ومن أهمّ كتبه : (عونه على التأمل) الذي صدر في عام 1825 وكتاب (سيرة ادبية)[97] الذي صدر عام 1817 و(الصديق) والكتاب الأول يرسم صورة (لكولردج الفيلسوف) وقد حاول أنّ يبرز فيه نفوره الشديد من الاتجاهات السائدة التي كانت تمثلها آراء (هيوم) و(هارتلي) ودعا إلى مفهوم روحي للحياة يستند إلى الدين والقيم العليا متأثراً في ذلك بـ(كانت) و(شليجل) ولقد ميز في هذا الكتاب بين الفهم والعقل، فالفهم هو الملكة التي عن طريقها نتأمل ونعمم القوانين من المعطيات الحسية، أمّا العقل فهو

ما يقرر أنّ التجربة مقدماً أو يستفيد من تجربة سابقة كي يتحاشى حتمية وقوعها في المستقبل، أو عن طريق العقل من ناحية أخرى، يمكننا التعرف على الحقائق الروحية المطلقة (وهنا يختلف كولردج عن كانت) وبالتالى يميز (كولردج) بين الأخلاق والحرص، عن طريق الحقيقية القائلة بأنّ الأخلاق تنبع عن عقل وضمير الإنّسان، بينما ينبع الحرص من فهمه) [98].

أمّا كتاب (سيرة ادبية) فمن أهمّ كتبه بالنسبة للنقد الأدبي، وهو ليس ترجمة لحياته بالمعنى المألوف فليس فيه استعراض تاريخي منظم لأحداث حياة (كولردج) الخارجية، ولكنّه يشتمل على مجموعة من الآراء والأفكار النظرية في النقد الأدبي.

فمنذ الفصل الرابع عشر حتى نهاية الكتاب في الفصل الثاني والعشرين "يركز كولردج إهتمامه في ميدإنّ النقد الأدبي النظري والعلمي بوجه خاصّ وينقد آراء وردزورث النقدية وإنّتاجه الأنّشائي" [99] وقد تناول في الفصول السابقة على هذا الفصل:

(الدوافع إلى وضع الكتاب وتجربته في التأليف وكيف كانت تستقبل كتبه -وترويض عقله في المدرسة- وأثر الكتاب المعاصرين في عقوب الشباب -ومقطوعات الشاعر (بوب) الغنائية- ومقارنة بين الشعراء السابقين لبوب واللاحقين له - وسر غضب العباقرة - ومبادئ النقد الحديث - وأعمال صديقه الشاعر (شذى) -وحديث عن ديوان(مقطوعات قصصية غنائية) الذي أصدره بالتعاون مع (وردزورث) - وعن الفرق بين التوهّم والخيال، وأهمّية هذا الفرق بالنسبة للفنون الجميلة) [100].

ويستطرد بعد ذلك فيتناول (قانون تداعي المعاني) ويتتبع نشأته من (أرسطو) حتى (هارتلي) وينتقل إلى (ميدان التصوف) والفلسفة الألمانية من كنط إلى فيختـه و(شيلنج) و(القوى الخيالية أو التشكيلية وكيفية تكوينها).

وعلى الرّغم من كل هذه الاستطرادات وعدم الوضوح المنهجي فإنّ (كتاب سيرة أدبية قيمة هامّة في تاريخ النقد الأدبي لأنّجلترا، بل إنّ هذا الكتاب بالذات هو الذي وصفه أكثر من ناقد أو مؤرخ للنقد. بأنّه أعظم ما كتب في النقد الأدبي الإنجليزي) [101].

نظرية الخيال: وإذا كنا لن نتبع بالتفصيل كل آراء (كولردج) النقدية بل سنكتفي بالإشارة إلى بعضها فإنّه يتحتّم علينا أن نستعرض تصوره أو بعبارة أدقّ نظريته في الخيال فهي من أهمّ ما قدم للنقد الرومانتيكي ولعلّها كانت من أكثر الأشياء لفتاً لأنّظار أبناء (تيار الثورة) في نقدنا الحديث.

وليس من شكّ في أنّ جميع الشعراء والنقاد الرومانسيين قد أعلوا من شأنّ (الخيال) واعتبروه ملاذهم من هجير الحياة، وأحلوه مكان العقل وعدوه أهمّ ملكة لدى الأنسان... يقول عنه الشاعر المتصوف (وليم بليك): (إنّ عالم الخيال هو عالم الأبدية..) وإنّ القوة[102] الوحيدة التي تخلق الشاعر هي الخيال أو الرؤية المقدسة.) (وإنّ الصور العاملّة التي يبدعها الشاعر لا يستخلصها من الطبيعة وإنّما هي تنشأ في نفسه وتأتيه عن طريق الخيال)[103].

ويتحدث عنه (وردزورث) قائلاً (إنّ الخيال هو ربما إنّبل (ملكة)، لدى الأنسان، وإنّ الصوت الذي هو صوت شعره، لا يستطيع أن يسمعه القارئ بدون أن تتوفر لديه ملكة الخيال) [104].ويقول عنه (كيتس) (إنّ الجمال الذي يقبض عليه الخيال لا بدّ وأنّ يكون هو الحقيقة، وذلك سواء وجد أم لم يوجد من قبل) [105].

ويقول عنه (شلي) في مقاله النقدي (دفاع عن الشعر) (إنّ الشعر بمعناه العامّ يمكن تعريفه بأنّه تعبير عن الخيال) [106] ويرى أنّ العقل (يحترم الفروق بين الأشياء، بينما يحترم الخيال موضع الشبه فيها. إنّ العقل بالنسبة للخيال بمثابة الآلة بالنسبة للصانع، والجسد بالنسبة للروح) [107].

هذا هو موقف (الرومانسيين) من الخيال، فلا عجب أن يكون (كولردج) من أعمقهم نظراً إليه، وأشدّهم اهتماماً به، وإن يفسح له مكاناً كبيراً في نظريته النقدية، وإن يدخله في نسيج (فلسفته العامّة)، ولقد بدأ اهتمامه (بالخيال) كما يحدثنا في كتابه (سيرة أدبية) عندما كان يستمع إلى قصيدة من قصائد صديقه الشاعر (وردزورث) (إذ وجد في هذه القصيدة صفات لم يحسّ بوجودها في كثير من الشعر من قبل. واتضحت له في هذه القصيدة موهبة الشاعر التي تظهر في قدرته على تكييف ما يلاحظه من الموضوعات، وفي جمعه بين الملاحظة الدقيقة والخيال الأصيل وبين الإحساس العميق والفكر الثاقب، كما تظهر في قدرته على خلع غلالة من المثالية عليها جميعاً، بحيث إنّ الشاعر تمكن من إزالة ما وضعته العادة من حجب بين الناظر

وبين هذه الأحداث والمواقف والأشخاصّ، فبرزت حقيقتها أمام عينيه جديدة كل الجدة) [108].

لقد أحس بوجود ملكة خاصّة سماها (الخيال) ولقد حدّد هذه الملكة تحديداً دقيقاً صارماً وعرف (الخيال الشعري) تعريفاً مفصلاً، وميز بينه وبين ضروب الخيال الأخرى، وإن كان لا يعني هذا أنّه فصّل بينه وبينها...

وميز بين نوعين من الخيال... سمى الأول (الخيال الأولي) والثاني (الخيال الثانوي) (ووضع تفرقة حاسمة بين (الخيال) و(التوهّم).وسنحاول أن نحدد بألفاظه معاني هذه الأشياء على الرّغم من غموضها وتعقيدها.

الخيال: يتحدث (كولردج) في الفصل الثالث عشر من كتابه (سيرة أدبية) عن الخيال فيقول (إنّني اعتبر الخيال إذن إمّا أولياً أو ثانوياً، فالخيال الأولي هو في رأيي القوة الحيوية أو الأولية التي تجعل الإدراك الإنساني ممكناً وهو تكرار في العقل المتناهي لعملية الخلق الخالدة في الأنّا المطلق.... أمّا الخيال الثانوي فهو صدى للخيال الأولى، غير أنّه يوجد مع الإرادة الواعية وهو يشبه الخيال الأولي في نوع الوظيفة التي يؤديها ولكنّه يختلف عنه في الدرجة وفي طريقة نشاطه، أنّه يذيب ويلاشي ويحطم لكي يخلق من جديد... وحينما لا تتسنى له هذه العملية فإنه على أيّ حالة يسعى إلى إيجاد الوحدة وإلى تحويل الواقع إلى المثال، أنّه في جوهره حيوي بينما الموضوعات التي يعمل بها - باعتبارها موضوعات - في جوهرها

ثابتة لا حياة فيها) [109].

التوهّم: يرى (كولردج) التوهّم شيئاً مختلفاً عن الخيال لأنّه يعمل في مجال الأشياء المحدودة الثابتة، (وهو ليس إلاّ ضرباً من الذاكرة تحرر من قيود) الزمان والمكان وامتزج وتشكل بالظاهرة التجريبية للإرادة التي تعبر عنها بلفظ (الاختيار) ويشبه التوهّم الذاكرة في أن يتعين عليه أن يحصل على مادته كلها جاهزة وفق قانون تداعي المعاني) [110].

فوجود مجموعة من الظواهر التي لا تربطها علاقات نابعة من داخلها بل يفرضها الشاعر عنوة عليه، هذا ما يسميه (كولردج) بالتوهّم، أمّا إذا أضفى الفنان أو الشاعر على هذه الظواهر من روحه حياة تحيلها إلى كائن حي، فذلك عمل الخيال.

العاطفة: وفكرة أخرى نقف عندها من أفكار (كولردج) هو العاطفة، ولابدّ للشاعر من (عاطفة) حادة إذ عن طريقها يتوصل إلى المعرفة وإدراك الحقيقة، بل ملكة الخيال نفسها لا تنشط إلاّ تحت تأثير العاطفة فإذا تجرد الشاعر من العاطفة ظلت (صوره مجرد توهم).

ويرى (كولردج) إنّ (المرء الذي يتمكن من التفكير العميق لا بد وأن يكون مرهف الحس عميق الشعور فإدراك الحقيقة فعل حسي مباشر يعتمد على الإرادة والعاطفة)[111].

(وملكة الخيال التي توصل الشاعر إلى صميم الأشياء لا تنشط إلاّ تحت تأثير العاطفة، أمّا التوهّم فلا يعتمد على حالة

الفنان العاطفية، ففي عملية التوهّم يحاول العقل مجرداً عن العاطفة أن يربط بين الأفكار والموضوعات الجزئية، فيفشل في إيجاد كل موحد حي، وينتج فقط مجموعة أو عالماً من الصور الجامدة، منفصلة الواحدة منها عن الأخرى)[112].

فرؤية الشاعر للحقيقة -عند كولردج- (هي وليدة الامتزاج الحقيقي المباشر أو الاتحاد بين قلبه وعقله وبين المظاهر الكبرى للحياة)[113]. ولا تتم هذه العملية بدون توفر العاطفة لدى الشاعر ودون أنّ يهتز كيانه كله.

الوحدة العضوية: ونمضي إلى فكرة أخرى من أفكار (كولردج) هي فكرة الوحدة العضوية، وهي تترتب على نظرية (كولردج) في الخيال الثانوي... الذي يصهر ويذيب ويحطم ليخلق من جديد... فالتجربة على هذه الأساس تتحول إلى شيء جديد كالكائن الحي ينمو نمواً عضوياً من الداخل، والشاعر هو الذي يشكل العالم وينفخ فيه من روحه، ويجب على الناقد إنّ لا يحكم على الصور الشعرية في القصيدة تبعاً لصدقها أي لمطابقتها لعالم الواقع، وإنّما يكون معيار الصورة الشعرية هو ما فيها من حياة مصدرها روح الشاعر... ولهذا قال (كولردج) ليست الصورة وحدها مهما بلغ جمالها ومهما كانت مطابقتها للواقع ومهما عبر عنها الشاعر بدقة هي الشيء الذي يميز الشاعر الصادق، وإنّما تصبح الصورة معياراً للعبقرية الأصيلة حيث تشكلها عاطفة سائدة أو سلسلة من الأفكار والصور ولدتها عاطفة سائدة، وحينما تتحول فيها الكثرة إلى الوحدة، والتتالي

إلى لحظة واحدة وحينما يضفي عليها الشاعر من روحه حياة إنّسإنّية وفكرية) [114].

ويعتقد (كولردج) إنّ الخيال هو الذي يوحد المتناقضات وهو الذي يخلق الشكل العضوي (أي الشكل (الباطني العضوي) ويوجد (العناصر المكونة للعمل الفني اتحاداً عضوياً بحيث تتغلغل نفس الفكرة أو العاطفة في كل جزء من أجزاء العمل الفني) [115].فالشكل العضوي غير مكتسب ولكنه بالضرورة في باطن الشيء يتحدد في تطوره من الداخل.

أثر كولردج في العقاد والمازني وشكري: يُلمح هذا التأثر والتجاوب العميق بينهم وبين كولردج بخاصّة. فالوحدة العضوية التي دعوا إليها في كتبهم ومقدمات دواوينهم تستلهم هذه الأفكار التي نادى بها (كولردج) وإنّ كان ذلك لا يمنع من استفادتهم من ابن (طباطبا العلوي) الذي دعا إلى (الوحدة العضوية) قبل ذلك بكثير في كتابه (عيار الشعر).

فالعقاد يقرر إنّ القصيدة ينبغي (أن تكون عملاً فنياً بأعضائه والصورة بأجزائها واللحن الموسيقي بأنغامه إذا اختلف الوضع أو تغيرت النسبة أخل ذلك بوحدة الصنعة وأفسدها. فالقصيدة الشعرية كالجسم الحي يقوم كل قسم منها مقام جهاز من أجهزته. ولا يغني عنه غيره في موضوعه إلّا كما تغني الأذن أو القدم عن الكف، أو القلب عن المعدّة) [116].

والعقاد وهو يقول ذلك يؤكد أصالته مهما استلهم (كولردج) لأنّه لا تعارض بين الأصالة والاستفادة من التراث

الإنساني كله، بل لعل الأصالة تفرض هذه الاستفادة والتفتح على كل التيارات الثقافية في العالم.

ولهذا نرى التجاوب بين أبناء هذا التيار وبين (كولردج) من قبيل الأصالة، فإذا ماجئنا إلى رأي (كولردج) في الخيال والعاطفة... وجدنا أفكار هؤلاء الرواد تسبح في أجواء شبيهة بالأجواء التي تسبح فيها آراؤه....

يقول عبد الرحمن شكري (فالشعر هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم، فأصوله ثلاثة متزاوجة فمن كان ضئيل الخيال أتى شعره ضئيل الشأنّ، ومن كان ضعيف العواطف آتى شعره ميتاً لا حياة له، فإنّ حياة الشعر في الإبانة عن حركات تلك العواطف) (117).

ويقول العقاد (النظر إلى الدنيا لن يتسع ولن يصح ولن يكمل إلاّ بخيال كبير يستوعب ما يراه ويقيس ما غاب على ما حضر وما يمكن على ما كان وما يتمخض عنه المستقبل على ما درج في ألفاف الزمان) (118).

بين الخيال والوهم: ولعلّ (كولردج) هو الذي ألهم عبد الرحمن شكري هذه التفرقة بين الخيال والوهم حيث يقول شكري (ينبغي أن نميز في معاني الشعر وصوره بين نوعين نسمى أحدهما التخيل والآخر التوهّم، فالتخيل هو أن يظهر الشاعر الصلات التي بين الأشياء والحقائق، ويشترط في هذا النوع أن يعبر عن حق، والتوهّم أنّ يتوهم الشاعر بين شيئين صلة ليس لها وجود)(119).

تجربة عابر سبيل...

ولعلّ الأستاذ العقاد كان يطيل النظر في تجربة (كولردج) و(وردزورث) وديوانهما (مقطوعة قصصية غنائية) وهو يحاول كتابة اشعاره التي جمعها في ديوانه عابر سبيل).

لقد اتفق (كولردج) و(وردزورث) على كتابة مجموعة من القصائد يتجه فيها الأول (إلى ناحية ما فوق الطبيعة من أشخاصّ وحوادث يتصورها الخيال على مقربة إلى القلوب، ويلبسها ثياب السائغ المألوف، ويثير من العناية بها والالتفات إليها ما ينسي القارئ -لحظة ما- عدم اعتقاده في حقيقتها.

وعلى أنّ نصيب (وردزورث) أن يحول المألوف الشائع إلى جذاب غير عادي فيتناول أشياء الحياة اليومية وأشخاصها ويخلع عليها ثوباً من الجدة والطرافة ينبه في النفوس أحساساً بها شبيها بإحساس ما فوق الطبيعة، وذلك بأنّ يوقظ العقل من غفوة العادة والتقليد ويوجه إنتباهه إلى ما في الحياة به من عجب وجمال) (120).

وقد قام العقاد بما قام به (وردزروث) وأخذ من الحياة المألوفة الشائعة موضوعات لديوانه (عابر سبيل) الذي كتب في مقدمته يقول (كل ما نخلع عليه من إحساسنا ونفيض عليه من خيالنا ونتخلله بوعينا ونبث فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا هو شعر موضوع للشعر لأنّه حياة وموضوع للحياة) [121].

(في البيت الذي نسكنه وفي الطريق الذي نعبره وفي الدكاكين المعروضة وفي السيارة التي تحسب من أدوات

المعيشة اليومية ولا تحسب من دواعي الفن والتخيل لأنّها كلها تمتزج بالحياة الانسانية، وكل ما يمتزج بالحياة الانسانية فهو ممتزج بالشعور، صالح للتعبير) [(122)].

المطلب الثالث: المازني ومدرسة النقد الرومانسي:

ولعلّ المازني كان من أكثر زملائه تأثراً بهذه المدرسة الرومانسية في كتاباته منذ بدأ، فقد قرر وهو يرد على نقد لطفي جمعة لكتاب السمر، إنّ عمل أي ناقد يتخلص في ثلاثة أشياء

1- مراعاة الألم واللذة المستفادين من الكتاب.

2- مبلغ تأثيره على الخيال.

3- تأثيره على أصول الذوق.

وكان مدار نقده لحافظ خلو شعره من الغوص في أعماق الطبيعة، فهو ليس كشعر شكري الذي يريك على حد تعبيره (عيون الندى على خد الزهر وافترار ضوء القمر على مكفهر القبور، ووميض الابتسامات في ظلام الصدور). كما أخذ عليه قصور خياله وعجز ذهنه عن الابتكار والتحليق، وهي السمات والخصائص التي كانت تتطلبها مدرسة النقد الرومانسي في الشعر.

الخاتمة :

وتخلص الداسة الى مجموعة من النتائج يمكن إنّ تُحصر فى النقاط التالية :

- إنّ جماعة الديوان قد اعطت للشعر فى مجالي النقد والادب مفهوماً جديداً يصبغه الوجدإنّ والصدق والتعبير الخالص لما يختلج النفس من مشاعر ؛
- التأثير بالثقافة الغربية ليس تقليداً إنّما هو ابداع متميز وبالتإلى هو اثبات على التجديد؛
- طورت جماعة الديوان مفاهيم جديدة بما يلائم فكرهم وعصرهم كالوحدة العضوية والخيال والوزن والقافية؛
- إقامة لغة العاطفة الصادقة النابعة من الشعور مبنية على الصدق والحقيقة.

وخلاصة القول أنّه كان لجماعة الديوان الأثر الكبير على الحركات التجديدية التى تلتها اذ فتحت مجالاً واسعاً للنقاد من بعدهم حيث وسعت دائرة النقد واغتنته بآراء نقدية جديدة.

المصادر والمراجع :

1. ابراهيم عبد القادر المازنى: سبيل الحياة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1970، شعر حافظ، مطبعة السفور، القاهرة، 1915، حصاد الهشيم، الدار القومية، القاهرة، 1916

2. احمد امين: النقد الادبي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1963.

3. عباس محمود العقاد: شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضي، مطبعة حجازى، القاهرة، 1937 خلاصة اليومية، 1912، عابر سبيل، نهضة مصر للطباعة والنشر، 1917، الديوان فى الادب النقد، مكتبة الاسرة، مصر 2000.

4. عبد الرحمن شكري: الثمرات، مطبعة مرجى غزوزي، الاسكندرية، 1916، الاعترافات، 1916.

5. عبدالحكيم حسان: النظرية الرومانتيكية فى الشعر، سيرة كولردج، دار المعارف، 1971 .

6.عبد الوهاب محمد المسيرى، الرومإنّتيكية فى الادب الإنجليزي، دار المعارف، مصر، 1964 .

7. عمر الدسوقي: جماعة ابولو وأثرها فى الشعر العربي الحديث، جماعة اصيل الادبية، 1960

8. محمد خليفة التونسي: فصول من النقد عند العقاد، مكتبة الخانجي، مصر

9. محمد خلف الله: الوجهه النفسية فى دراسة الادب ونقده، مطبعة لجنة التأليف والنشر، 1947 .

10. محمد مصطفي بدوي: كولردج، العدد 15 من سلسلة نوابغ الفكر العربي، دار المعارف، مصر، 1958 .

11. محمد محمود: فى الادب الإنجليزى، النهضة المصرية، 1965

12. محمد طاهر الجبلاوي: في صحبة العقاد، مكتبة الأنّجلو، مصر، 1960

13. محمود عماد: ديوانّ المازني، المجلس الاعلي للثقافة، القاهرة، 1961

14. نقولا يوسف: ديوان شكري، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2000

15. نعمات احمد فؤاد: ادب المازني، مطبعة دار الهناء، مصر، 1954

المجلات :

1. مجلّة مجمع اللّغة العربية، ج7

2. مجلّة عكاظ، السنة الاولي، العدد 13، 1914

3. مجلّة الجريدة، 1910

4. مجلّة البيان، العدد 8، السنة الاولي، 1912

5. تراث الانسانية، المجلد الخامس

الهوامش:

(1) راجع عبقرية عباس محمود العقاد لعبد الفتاح 65 في صحبة عباس محمود العقاد – محمد طاهر الجبلاوى مكتبة الانجلو المصرية، راجع ديوان شكري – تحقيق انقلوا يوسف سنة 1960م.

(2) راجع ادب ابراهيم عبد القادر المازنى، نعمات احمد فؤاد، ص8

(3) راجع عمر الدسوقى، جماعة ابولو وأثرها في الشعر الحديث، ص 83 - 1960

(4) راجع عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، ص 191 - 192 4

(5) عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى، ط2 – 1965 191 – 192 – 193

(6) ابراهيم ابراهيم عبد القادر المازنى، سبيل الحياة ص 66 – 67، الدار القومية 6

(7) المرجع السابق، ص69

(8) إبراهيم المازني، سبل الحياة، ص 33

9)مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 399 – مطبعة وزارة المعارف 1953

(10) المرجع نفسه، ص400

(11) نفسه، ص401

(12)المرجع نفسه، ص 4401

(13) عبد الرحمن شكري، الثمرات، مطبعة مرجى غرزوزى الإسكندرية، ص32، 1916 1

(14) عبد الرحمن شكري، الثمرات، ص 23

(15) عبدا لرحمن شكري، الصحائف، ص 7، 1918

(16)شكري، الاعترافات، ص 31- 34، 1916

(17) شكري، الاعترافات، ص 34

(18) اسم مجلة مصرية كان يكتب عباس محمود العقاد مقالاته مع زميليه شكرى وابراهيم عبد القادر المازنى

(19) مجلة عكاظ / السنة الأولى، العدد 13، 1914، ص 1

(20) مجلة عكاظ / السنة الأولى، العدد 13، ص 12

(21) مجلة الجريدة، 1910، ص 2

(22) مجلة الجريدة، 1910، ص2

(23) راجع النظرية الرومانتيكية في الشعر: سيرة أدبية لكولربدج ترجمة عبد الحكيم حسان، دار المعارف، 1971، وراجع النقد الأدبي لأحمد أمين ج2 ص 318 ط3 1963

(24) البيان العدد 8، 1912، السنة الأولى ص 477

(25البيان العدد 8، 1912، السنة الأولى، ص 484

(26) عباس محمود العقاد، خلاصة اليومية ص 91، 1912، وراجع فصول من النقد عند عباس محمود العقاد ص 219، خلاصة اليومية والشذور للعقاد ص 98 طبعة جديدة ببيروت دار الكتاب 1970

(27) المرجع السابق، ص 91

(28) المرجع نفسه ص 98

(29) عباس محمود العقاد، خلاصة اليومية، ص 124

(30) المازني، شعر حافظ، ص 1، 2، مطبعة السفور 1915

(31) المازني، شعر حافظ، ص 2

(32) ديوان شكري، تحقيق نقولا يوسف، ص 97

(33) المصدر السابق، ص 99

(34) ديوان شكري، تحقيق نقولا يوسف، ص 101

(35) المرجع السابق، ص 104

(36) المرجع نفسه، ص39

(37) نفسه، ص 210

(38) ديوان شكري، ص 211

(39) ديوان المازني، ص 17، مراجعة محمود عماد، 1961

(40) المرجع السابق، ص 118

(41) ديوان المازني، ص 13

(42) المرجع السابق، ص 14

(43) عمر الدسوقي، جماعة ابولو وأثرها في الشعر الحديث، ص526

(44) ديوان شكري، ص287، تحقيق نقولا يوسف

(45) المصدر السابق، ص 289

(46) ديوان شكري، ص 290

(47) عباس محمود العقاد، فصول من النقد، ص 79،80

(48) المصدر السابق، ص 87

(49) ديوان شكري، ص 366، 367

(50) فصول من النقد عند عباس محمود العقاد، ص 164 وراجع ديوان عباس محمود العقاد، ص 351

(51) ديوان شكري، ص 363

(52) المصدر السابق، ص 364

(53) المازني، حصاد الهشيم، ص 26، ط4، الدار القومية، 1961

(54) فصول من النقد عند عباس محمود العقاد، ص 227

(55) ديوان شكري، ص 370

(56) المصدر السابق، ص 371

(57) عباس محمود العقاد وابراهيم عبدالقادر المازنى، الديوان، ج1، ص1، ط2، 1921، مطبعة السعادة

(58) عباس محمود العقاد وابراهيم عبدالقادر المازنى، الديوان، ج1، ص3

(59) المرجع السابق، ص 8

(60) المصدر نفسه، ص 9

61 نفسه، ص 9

(62)عباس محمود العقاد وابراهيم عبدالقادر المازنى، الديوان، ص 10

(63) المصدر السابق، ص 11

(64) عباس محمود العقاد وابراهيم عبدالقادر المازنى، الديوان، ص 11

65) المرجع السابق، ص 14

(66) المرجع نفسه، ص 15

(67) نفسه، ص 16

(68) نفسه، ص 16

(69) الديوان، ص 16، 17)

(70) المرجع السابق، ص 22

(71) الديوان، ص 7122)

(72) المرجع السابق، ص 23 72)

73)) المرجع نفسه، ص 24، ج 2

(74) نفسه، ج 2

(75)نفسه، ص 24

(76) الديوان، ص25

(77) هو صمويل تيلر كولردج احد ابرز وجوه الحياة الثقافية الانجليزية ولد سنة 1772 وتوفى سنة 1834

(78) وليم هازلت (1778-1830)، كاتب وناقد إنكليزي. من أهم النقاد من حيث قدرته على التعمق في تحليل مؤلفات معاصريه من الأدباء، وكذلك من سبقه من كبار الكتاب، نال قسطاً من التعليم

(79) بيرسي بيش شيلي (بالإنكليزية: Percy Bysshe Shelley)[1] (وُلد في 4 أغسطس 1792 وتوفي في 8 يوليو 1822) شاعر إنكليزي رومانتيكي مهم، يعتبر واحداً من أفضل الشعراء الغنائيين باللغة الإنكليزية. يُعرف بقصائدة القصيرة أوزيمانديا‌س، أغنية للريح الغربية، إلى قُبَرة. ومع ذلك فإن أعماله الهامة تتضمن قصائده الرؤيوية الطويلة: ألاستور، أو روح

العزلة، ثورة الإسلام، أدوناي، بروميثيوس طليقاً، وعمله غير المنتهي انتصار الحياة.

(80) جون كيتس (بالإنكليزية: John Keats (31 أكتوبر 1795 - 23 فبراير 1821) شاعر إنكليزي أصبح واحداً من شعراء الحركة الرومانتيكية الإنكليزية المهمين في مطلع القرن التاسع عشر. خلال حياته القصيرة هوجمت أعماله من قبل نقاد الدوريات في ذلك العهد، لكن تأثيره بعد وفاته على شعراء مثل ألفرد تينيسون كان هائلاً. سلسلة الأغنيات القصيرة التي كتبها كيتس تُعتبر اليوم تحفاً فنية، ولا تزال من أكثر قصائد الشعر الإنكليزي انتشاراً. تُعتبر رسائل كيتس عن نظريته الجمالية في القدرة السلبية[1] أكثر الرسائل المُحتفى بها لأي كاتب.

(81) لورد بايرون (1788-1824(George Gordon Byron, Lord Byron. 1788–1824

يعد الشاعر الانكليزي جورج غوردون لورد بايرون أحد أعمدة الحركة الرومانسية الانكليزيةوالأوربية عموما .

ولد جوردون نوويل بايرون وهذا هو اسمه الحقيقي في لندن عام 1788 وكان أبوه يطلق عليه المجنون بسبب ما شاع عنه من انحلال وكان ضابطاً في الحرس الملكي وكانت امه امراة ذات مزاج متقلب تميل الي الشجار وكثيراً ما تشاجر معها ابنها وعاني من تقلب مزاجها كما عاني في صغره من العلاج الذي فرضته عليه لتقويم احدي قدميه فكان علاجاً أقرب الي التعذيب ويضيف عناني أن هذه القدم غير السوية كانت سببا في احساسه بالنقص طول حياته لأنها كانت تظهره بمظهرمن يعاني من عرج خفيف.

82) ترجمة د. عبدالحكيم حسان – النظرية الرومانتيكية في الشعر : سيرة ادبية لكولردج ص 432 وما بعده

(83) محمود محمود، في الأدب الإنجليزي، ص 257، مكتبة النهضة المصرية سنة 1965.

(84) المرجع السابق، ص 259.

(85) محمود محمود، في الأدب الإنجليزي، ص 264.

(86) راجع عرضاً لهذا الكتاب للدكتور نظمي لوقا في المجلد الخامس من تراث الإنسانية ص 856 وما بعدها

(87) راجع عرضاً لهذا الكتاب للدكتور نظمي لوقا في المجلد الخامس من تراث الإنسانية ، ص 857

(88) المرجع السابق، ص858.

(89)(89) راجع عرضاً لهذا الكتاب للدكتور نظمي لوقا في المجلد الخامس من تراث الإنسانية، ص 859.

(90) تراث الإنسانية وهى سلسلة قامت الهيئة المصرية العامة للكتاب باصدارها، المجلد الخامس، ص857.

(91) المصدر السابق والصفحة.

(92) المصدر السابق ص 858.

(93) المصدر السابق والصفحة.

(94) تراث الإنسانية، المجلد الخامس، ص 860.

(95) المصدر السابق والصفحة.

(96) المصدر السابق والصفحة.

(97) محمد مصطفى بدوي ،كولردج، (العدد 15 من سلسلة نوابغ الفكر الغربي) دار المعارف، سنة 1958، ص11.

(98) الرومانتيكية في الأدب الإنجليزي، ص 159، ترجمة : عبد الوهاب محمد المسيري - ومحمد علي زيد - ومراجعة الدكتور مصطفى بدوي ومحمود محمد (515 - الألف كتاب) سنة 1964، وراجع كتابة (النظرية الرومانيكية في الشعر - سير أدبية لكولردج - ترجمة الدكتور عبد الحكيم حسان).

(99) محمد مصطفى بدوي، كولردج ، ص29.

(100) المرجع السابق ، ص27-28، بتصرف.

(101) المصدر نفسه، ص30.

(102)محمد مصطفى بدوي، كولردج ، ص80.

(103) المرجع السابق، ص81.

(104) المرجع نفسه، ص 80.

(105) المرجع السابق ، ص80.

(106) المصدر السابق والصفحة.

(107) نقلاً عن كتاب كولردج، ص81.

(108) راجع النظرية الرومانتيكية وسيرة أدبية لكولردج - ترجمة : الدكتور عبد الحكيم حسّان، ص 240 وما بعدها

(109) محمد مصطفى بدوى، كولردج، ص 87.

(110) محمد مصطفى بدوى، كولردج،، ص 87 - 88.

(111) المرجع السابق، ص 83.

(112) المرجع نفسه، ص 89

(113) نفسه، ص 90.

(114) كولردج، ص 93، (بتصرف).

(115) المصدر السابق والصفحة (بتصرف).

(116) محمد خليفة التونسى، فصول من النقد عند عباس محمود العقاد، ص 79.

(117) ديوان عبد الرحمن شكري، نقولا يوسف، ص 289.

(118)محمد خليفة التونسى ، فصول من النقد عند عباس محمود العقاد، ص 67.

(119) ديوان شكري، نقولا يوسف، ص 265.

(120) محمد خلف الله، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، ص 50، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1947.

121 عباس محمود العقاد، مقدمة عابر سبيل، ص4

(122) المرجع السابق، ص5.

الإحالة في ضوء علم اللغة النصّي

أ. محمد الأمين مصدق

أ. محمد يزيد سالم

جامعة محمد خيضر بسكرة

ملخّص: تهدف هذه الدراسة إلى بيان أهمّيّة الإحالة، انطلاقا من البحث في مفهوم هذه الأداة النحويّة عند الباحثين الغرب والعرب، ثمّ الحديث عن أقسامها، وأدواتها، وبيان أهمّيتها في الدرس اللّساني النصّي من خلال قيامها بدور فعّال في إحداث التماسك والتراصف بين أجزاء النصّ؛ ولذلك فهي تعدّ أكثر العناصر الاتّساقية حضورا في النصّوص المختلفة.

Abstract :

The Target of this study is identifying the importance of reference , based on research into the concept of this grammatical tool at the researches of the West scholars and Arab scholars , then talk about its divisions , and its tools , and identify its importance in the text linguistics by taking an active role in bringing cohesion and alignment between the parts of the text , so it is considered as the most consistency elements present in the various texts.

تمهيد: تعدّ الإحالة في ضوء علم اللّغة النصّي واحدة من أهمّ الأدوات النحوية التي تحقّق التماسك، وهي معيار من المعايير التي تسهم في خلق الكفاية النصّيّة؛ إذ تقوم بعملية سبك العبارات لفظيا دون إهمال للترابط الدلالي الكامن وراءها، فهي قادرة على صنع قنوات وجسور تربط وحدات النصّ المتباعدة المتمثّلة في الكلمات والجمل والعبارات، ولا يجب أن يصرفنا اهتمامنا بالجانب النحوي عن الترابط الدلالي الذي يعدّ الغاية الأساسية.

مفهوم الإحالة لغة واصطلاحا:

أ-**لغة**: جاء في معجم لسان العرب لابن منظور (ت 711ه): «وَالمُحَالُ مِنَ الكَلَامِ: مَا عُدِلَ بِهِ عَنْ وَجْهِهِ وَحَوَّلَهُ: جَعَلَهُ مُحَالًا. وَأَحَالَ أَتَى بِمُحَالٍ. وَرَجُلٌ مِحْوَالٌ: كَثِيرُ مُحَالِ الكَلَامِ. وَكَلَامٌ مُسْتَحِيلٌ: مُحَالٌ. وَيُقَالُ: أَحَلْتُ الكَلَامَ أُحِيلُهُ إِحَالَةً إِذَا أَفْسَدْتُهُ. وَرَوَى ابْنُ شُمَيْلٍ عَنِ الخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ أَنَّهُ قَالَ: المُحَالُ الكَلَامُ لِغَيْرِ شَيْءٍ... وَالحِوَالُ: كُلُّ شَيْءٍ حَالَ بَيْنَ اثْنَيْنِ... وَتَحَوَّلَ عَنِ الشَّيْءِ: زَالَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ... حَالَ الرَّجُلُ يَحُولُ مِثْلُ تَحَوَّلَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ. الجوهري: حَالَ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ أَيْ تَحَوَّلَ».(1)

وجاء في المعجم الوسيط: «أحال: مَضَى عَلَيْهِ حَوْلٌ كَامِلٌ. والدَّارُ: تَغَيَّرَتْ وَأَتَى عَلَيْهَا أَحْوَالٌ...والشَّيْءُ أَوْ الرَّجُلُ: تَحَوَّلَ مِنْ

حَالٍ إِلَى حَالٍ... والشَّيْءَ: نَقَلَهُ. وَالعَمَلَ إِلَى فُلَانٍ: نَاطَ بِهِ. وَالقَاضِي القَضِيَّةَ إِلَى مَحْكَمَةِ الجِنَايَاتِ نَقَلَهَا إِلَيْهَا».[2]

ويُستنتج من خلال النظر في المعاجم العربية أنّ مصطلح الإحالة مشتق من الفعل (أحال)، والمعنى العام المستقى من هذا الفعل هو التغيّر والتبدّل، والتحوّل من حال إلى حال، ونقل الشيء من مكان إلى مكان.

ويقابل مصطلح الإحالة في المعجم الأجنبي لفظة (Reference) التي تترجم بالإحالة، والإسناد والمرجع، والإرجاع،[3] وتترجم أيضا بالإشارة.[4]

ب-اصطلاحا:

1-عند العلماء الغربيين: يعرّف روبرت دي بوجراند الإحالة بأنّها: «العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات».[5]

ولا يبتعد فاسولد (Fasold) ولينتون (Linton)عن هذا المفهوم؛ حيث يعرّفان الإحالة بأنّها: العلاقة بين كلمة أو عبارة ما والأشياء التي تصفها في العالم الخارجي.[6]

ويبدو هذا التعريف تعريفا واسعا وفضفاضا؛ لأنّه يجعل اللّغة بمجملها عنصرا إحاليّا، ولم يحدد فيها أيّ باحث طبيعة العناصر الإحاليّة.

أمّا جون (لاينز John Lyons) فيعرّف الإحالة بأنّها «العلاقة بين الكلمات وبين الأشياء والأحداث والأفعال والصفات التي تشير إليها»،[7] ويَعدُّ (براون ويول) هذا التعريف تعريفا قاصرا؛ لأنّه يهمل دور مستعمل اللّغة. غير أن (أنّلاينز) تدارك هذا النقص فيما بعد وأعطى المتكلّم مزيّة الإحالة؛ لأنّه هو من يحيل من خلال استعماله التعابير المناسبة، وهذا المفهوم الأخير حسبهما هو الذي يجب على محلل الخطاب الاعتماد عليه.[8]

يخرج براون ويول(Brown and Yule) بنتيجة مفادها أنّه «في تحليل الخطاب ينظر للإحالة على كونها عملا يقوم به المتكلّم أو الكاتب».[9]

أمّا دافيد كريستال (David Crystal) فقد أشار في معجمه إلى أن مصطلح الإحالة يستخدم في التحليل النحوي «ليعبر به غالبا عن علاقة التعريف التي توجد بين الوحدات النحويّة، كأن يحيل ضمير إلى اسم أو جملة اسميّة».[10]

يُلاحظ أنّ كريستال في تعريفه هذا يربط الإحالة بالمستوى النحوي الشكلي، كما أنّه يحدّد طبيعة العناصر الإحاليّة وهي: الضمائر.

بينما يذهب هاليداي ورقيّة حسن إلى استخدام مصطلح الإحالة استخداما خاصا على اعتبار أنّ «العناصر المحيلة كيفما

كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها. وتتوفر كلّ لغة طبيعيّة على عناصر تملك خاصية الإحالة، وهي حسب الباحثين: الضمائر وأسماء الإشارة وأدوات المقارنة».[11]

ونجد أنّ الباحث ينقد حصرا وحدّد في هذا التعريف طبيعة العناصر الإحاليّة اللغويّة، وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة.

2-عند العلماء العرب: تناول بعض الباحثين العرب موضوع الإحالة ومنهم محمد خطابي الذي لم يقدّم أيّ تعريف للإحالة، واكتفى بالحديث عن استعمال المصطلح، كما تطرّق للحديث عن العناصر المحيلة وتأويلها.[12]

أمّا الأزهر الزناد ففي معرض حديثه عن مفهوم الإحالة أشار إلى أنّ تسمية العناصر الإحاليّة «تطلق على قسم من الألفاظ لا تملك دلالة مستقلة بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النصّ؛ وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر».[13]

ويُلاحظ أنّ الأزهر الزنّاد قد صوبّ كل اهتمامه نحو العناصر الإحالية، ولا يمكن للباحث أن يستكنه مفهوم الإحالة من هذا التعريف.

أمّا (نعمان بوقرة) فيعرف الإحالة بأنّها «علاقة قائمة بين الأسماء والمسمّيات فهي تعني العمليّة التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة على لفظة متقدّمة عليها، فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وصورة الإحالة استخدام الضمير ليعود على اسم سابق أو لاحق بدلا من تكرار الاسم نفسه».[14]

ركّز الباحث في هذا التعريف على دور المرجعيّة في عمليّة الإحالة، كما تحدّث عن قسم واحد من أدوات الإحالة وهي الضمائر.

أقسام الإحالة: يقسّم علماء النصّ الإحالة إلى نوعين رئيسيين:

أ-الإحالة النصّيّة (Endophora): ترجمها تمّام حسان بالإحالة إلى النصّ، [15] وهو مصطلح يستخدم «للإشارة إلى علاقات التماسك التي تساعد على تحديد بنية النصّ»،[16] وتتطلّب من المستمع أو القارئ أن ينظر داخل النصّ للبحث عن الشيء المحال إليه، [17] بمعنى العلاقات الإحاليّة داخل النصّ؛ سواء أكان بالرجوع إلى ما سبق، أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي داخل النصّ».[18] ما يعني أنّ الإحالة الداخلية تنقسم إلى قسمين:

1-إحالة قبليّة (Anaphora): تعدّ أكثر أنواع الإحالة استعمالا ودورانا في الكلام،[19] وهي عودة العنصر الإحالي على عنصر إشاري مذكور قبله،[20] ويتم تفسير مرجعيّة العنصر

الإحالي بالعودة إلى ما سبق ذكره آنفا في النصّ، مثل قولنا: "لقد فعل ذلك هناك"؛ فعمليّة تحديد العنصر الإشاري الذي يحيل إليه اسم الإشارة في هذه الجملة يتطلّب منّا النظر إلى الوراء، ويمكن أن تكون الجملة السابقة هي: " رسم جون هذه اللّوحة في برمودا"، وهذه الجملة تمثّل العنصر المحال إليه الذي فسّر لنا العنصر الإحالي (ذلك).[21]

تقتضي الإحالة القبليّة العودة إلى الوراء من أجل البحث عن العناصر الإشارية وتحديدها، وهذا ما يسهم في تحقيق تماسك النصّ والربط بين أجزائه.

2-إحالة بعديّة (Cataphora): إحالة إلى الأمام؛ أي لما سوف يأتي ذكره في النصّ،[22] «وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النصّ ولاحق عليها»،[23] ويقوم فيها العنصر الإحالي مقام العنصر الإشاري المذكور بعده.

ويرى نعمان بوقرة أنّ الإحالة البعديّة التي تعود إلى عنصر لاحق في النصّ دخيلة على الدرس اللّغوي العربي؛ وإنّما ولجت إليه نتيجة تأثير اللّغات الأجنبيّة على التركيب العربي المحدث بفعل الترجمة.[24]

وذهب روبرت دي بوجراند إلى أنّ هذا النوع من الإحالات أقلّ شيوعا واستعمالا من النوع الأول، زيادة على صعوبة البحث عن المحال إليه في الإحالات الداخليّة البعديّة؛ نظرا لإمكانية

تـــــعدّد وتشابـــــه العناصر المحال إليها، وهذا النوع من الإحالات شائع جدا في الجمل المفردة.[25]

تتكوّن الإحالة الداخليّة من ثلاثة أركان:

1-**التحاول:** ويتمثّل في الروابط اللسانيّة بين مفردة المحيل ومفردة المحال إليه، أو الذات والأشياء.

2-**المحال إليه:** هو الذي يملأ حيّزا في الواقـع الـذي تمثّلـه الإحالة، أي الأشياء التي يحال إليها.

3-**المحيل:** يتمثّل في الأدوات اللّغوية التي تحيل إلى الموضّح (المفسّر) في النصّ المدروس أو خارجه.[26]

ب-الإحالة المقاميّة (Exophara):

إحالة إلى خارج النصّ لعنصر من عناصر العـالم؛[27] أي «إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي؛ كأن يحيل ضمير المتكلّم على ذات صاحبه المتكلّم، حيث يرتبط عنصر لغوي إحالي بعنصـر إشـاري غيـر لغوي هو ذات المتكلّم. ويمكن أن يشير عنصر لغوي إلى المقـام ذاته، في تفاصيله مجمـلا إذ يمثـل كائنـا أو مرجعـا موجـودا مستقلا بنفسه، فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلم».[28]

ويتطلّب هذا النوع من الإحالات مـن المسـتمع أو القـارئ أن يلتفت إلى خارج النصّ من أجل التعرّف علـى العناصـر المحـال إليها وتحديدها،[29] ويرى (دافيد كريستال) أنّه لـيس للإحالـة

المقاميّة دور في تحقيق التماسك النصّي؛ لأنّ مرجعيتها تخرج عن بنية النصّ، وفي هذا إشارة إلى السياق الخارجي والظـروف المحيطة به.[30]

ومهما تعدّدت أنواع الإحالات وتنوّعت فإنّها تقـوم علـى مبـدأ أساسي واضح، وهو الاتّفاق بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه، سواء أكانت قبليّة أم بعديّة، داخـل الـنصّ أم خارجـه؛ لأنّ الغاية الأساسية التي توظّف من أجلها الإحالات هي الـربط بـين أواصر النصّ من أجل صياغته كقطعة متينـة محكمـة السـبك والنسيج.

أدوات الاتساق الإحاليّة: تتجسّد الإحالة في مجموعة من الألفاظ التي ليس لها دلالة مستقلة في ذاتها، ولا يتحدّد معناها إلّا بالعودة إلى ما تحيل إليه داخل النصّ أم خارجه، وهذا الترابط الحاصل بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه لا يتم إلّا من خلال مجموعة من الوسائل يطلق عليها (أدوات الاتّساق الإحاليّة) وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة.[*]

أ-الضمائر: الضمير ما « دلّ على متكلّم نحو أنـا ونحـن، أو مخاطب نحو أنت وأنتما، أو غائـب نحـو هـو وهمـا»،[31] وهـو موضوع ليشير إلى مسمّاه الذي سبق تعيينـه وذكـره؛ «وإنّمـا صار الإضمار معرفة لأنّك إنّما تضمر اسما بعد ما تعلم أنّ مـن

يحـدّث قـد عـرف مـن تعنـي ومـا تعنـي، وأنّـك تريـد شـيئا يعلمه»،[32] وتنقسم الضمائر في العربية إلـى قسـمين: ضـمائر منفصلة وضمائر متصلة.

وتعدّ الضمائر حسب براون ويول «أفضل الأمثلة على الأدوات التي يستعملها المتكلّمون للإحالة إلى كيانات معطاة»[33]، وهـي عناصر لغويّة تحتاج إلى مفسّر يعود عليها، يوضّحها ويكشف عن مدلولها.[34]

ويقوم الضمير مقام الاسم الظاهر للمـتكلّم أو المخاطـب أو الغائب والغرض من الإتيان به هو الاختصار، «وهو أقوى أنـواع المعارف ولا يـدلّ علـى مسـمّى كالاسـم، ولا علـى الموصـوف بالحدث كالصفة، ولا حدث وزمـن كالفعـل، فالضـمير كلمـة جامـدة تـدلّ علـى عمـوم الحاضـر والغائـب دون دلالتـه علـى خصوص الغائب».[35]

ويقسّم محمد خطابي الضمائر باعتبارها وسـيلة مـن وسـائل الاتّساق الإحالية إلى قسمين:[36]

أ-ضمائر وجوديّة، مثل: أنا، أنت، أنتم، أنتن، هو، هم، هنّ...إلخ

ب-ضمائر ملكية، مثل: أقلامـي، أقلامـك، أقلامهـم، أقلامـه، أقلامهن.... إلخ

تنقسم الضمائر الوجودية إلى: ضـمائر المـتكلم والمخاطـب والغائـب؛ والضـمائر الملكيـة تنقسـم إلـى: ضـمائر للمـتكلم

والمخاطب والغائب، والملاحظ أنّ الضمائر سواء أكانت وجودية أم ملكية تنقسم إلى ضمائر التكلّم أو المخاطب أو الغياب.[37]

وإذا تناولنا هذه الضمائر من ناحية الاتّساق، أمكن التمييز بين الضمائر التي تحيلنا إلى خارج النصّ بشكل نمطي، وتضم تحت لوائها الضمائر الدالة على المتكلّم، والمخاطب، وتجدر الإشارة إلى أنّه ليس لها مساهمة في اتّساق النصّ إلّا في الكلام المستشهد به، أو في الخطابات المكتوبة المتنوعة مثل الخطاب السردي؛ أما الضمائر التي لها اليد الطولى في تحقيق اتّساق النصّ فهي التي يسمّيها هاليداي ورقية حسن (أدوار أخرى)، وتندرج في بوتقتها ضمائر الغيبة إفرادا و تثنية وجمعا(هو، هي، هم، هن، هما)، وهي على عكس الأولى تحيل قبليا بشكل نمطي وتصل بين أجزاء النصّ.[38]

إنّ الضمائر تكتسب أهمّيّتها لأنّها تنوب عن الأسماء والأفعال والجمل المتتالية؛ «فقد يحلّ ضمير محلّ كلمة أو عبارة أو جملة أو عدة جمل. ولا تقف أهمّيتها عند هذا الحدّ؛ بل تتعدّاه إلى كونها تربط بين أجزاء النصّ المختلفة شكلا ودلالة، داخليّا وخارجيّا سابقة ولاحقة».[39]

ويقوم محلّل النصّ بدور هامّ في إعادة الضمير المحيل إلى مرجعيته من أجل تفسير النصّ وإزالة اللبس عنه وتوضيح

دلالتــه، ولا ريــب أن اللّــبس والإبهــام يحــول دون فهــم الــنصّ وتحقيق تماسكه، كما أنّ إزالة اللّــبس عنــه تســهم فــي تقويــة ترابطه وتلاحمه.

وباعتبار ضــمير المــتكلم وضــمير المخاطــب راجعــين علــى المشاركين في عملية التخاطب، فإنّ عملية تحديد مــا يشــيران إليه هي عملة سهلة وسلسة عادة؛ وذلك لعــدم إمكانيــة حــدوث اللبس فيهما، ولكن الصعوبة قــد تحــيط بعمليّــة إحالــة ضــمير الغائب إلى صاحبه؛ لأنّ مشــاهدته غيــر ممكنــة، وبالتــالي فهــو يحتاج إلى ما يفسّره. ومن هــذا المنطلــق فــإن ضــمير الغائــب يقتضي تقدّم المفسّر عليه لأنّه لم يوضع معرفة بذاته، بل بسبب ما يعود عليه، فإن تم ذكره دون أن يتقدّمه ما يفسّــره بقــــي مبهما غامــــضا لا يــعرف المــراد بــه حتــى يــأتي مفسّــره بعده، وتنكيره خلاف وضعه.[40]

<u>ب-أسماء الإشــارة:</u> اســم الإشــارة هــو: «مــا دلّ علــى إشــارة ومسمّى إليه»،[41] وينقسم حسب المشار إليه إلى ثلاثــة أقســام: «ما يشار به للمفرد، وما يشار به للمثنى، وما يشار به للجماعة، وكلّ من هذه الثلاثة ينقسم إلى مذكّر ومؤنّث».[42]

وهي عناصر إشاريّة لا تحيل إلى ذات المرجع الذي تحيل إليه الإحالات الضميريّة؛[43] فالضمائر تقوم بوظيفة تحديد مشاركة الشخوص في التواصل أو غيابها عنه؛ بينما تقوم أسماء الإشــارة

بوظيفة تحديد مواقع هذه الشخوص في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري،[44] وهي تتساوى مع الضمائر الدالة على الغائب في كونها تحيل عادة إلى ما هو داخل النصّ، ويمكن تقسيمها إلى ما يأتي:[45]

1-تقسيم حسب الظرفيّة ← ظرفية زمانيّة مثل: الآن، غدا، أمس.
← **ظرفيّة مكانيّة**، مثل: هنا، هنالك، هناك، ثمّ.

2-تقسيم حسب المسافة ← **بعيد**، مثل: ذاك، ذلك، تلك.
← **قريب**، مثل: هذا، هذه، هؤلاء.

3-تقسيم حسب النوع ← **مذكّر**، مثل: هذا
← **مؤنّث**، مثل: هذه

4-تقسيم حسب العدد ← مفرد، مثل: هذا، هذه.
← مثنى، مثل: هذان، هاتان.
← جمع، مثل: أولئك، هؤلاء.

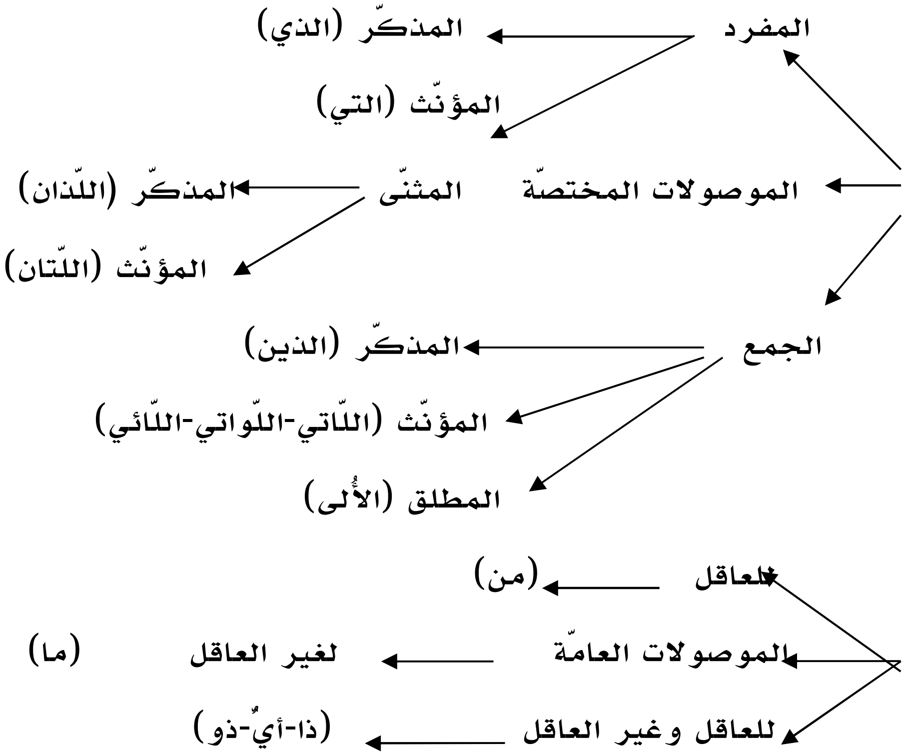
وتقوم أدوات الإحالة الإشارية بعمليّة الربط القبلي والبعدي، وجميع أصناف الإشاريات محيلة إحالة قبليّة، ومعنى ذلك أنّها تربط جزءا لاحقا من النصّ بجزء سابق، ومن ثمّ تساهم في اتّساق النصّ، ويتميّز اسم الإشارة المفرد بما أطلق عليه الباحثان

هاليداي ورقية حسن (الإحالة الموسّعة) أي إمكانية الإحالة إلى جملة بأكملها أو إلى متتالية من جمل.(46)

ج-الأسماء الموصولة: الاسم الموصول هو« ما يدلّ على معيّن بواسطة جملة تذكر بعده، وتسمّى هذه الجملة: صلة الموصول»،(47) وصلة الموصول دائما جملة، إمّا اسميّة وإمّا فعليّة،(48) ويتّصل بها ضمير يسمّى العائد، نحو: "جاء الذي قام أبوه"، ويشترط فيه أن يكون مطابقا للموصول في النوع والعدد،(49) وتنقسم الموصولات إلى قسمين: مختصّة وعامّة.(50)

1-الموصولات المختصّة: تقتصر دلالتها على بعض الأنواع دون غيرها، فللمفرد المذكّر ألفاظ خاصّة به وللمفردة المؤنّثة ألفاظ خاصّة بها، وكذلك للمثنى بنوعيه، وللجمع بنوعيه.

2-الموصولات العامّة: وتسمّى المشتركة، ولا تقتصر دلالتها على بعض هذه الأنواع دون الأخرى وإنّما تصلح لجميع الأنواع.(51)



ويعد الاسم الموصول أداة واضحة من أدوات الإحالة التي تعمل على تماسك النصّ وترابطه؛ وذلك لكونه يحدّد دور المشاركين في الزمان والمكان داخل المقام الإشاري، وتتحقّق إشاريّته إذا ما دل مع صلته على ذات أو مفهوم جرت الإحالة عليها بعد ذكره في النصّ، وينطبق هذا على الموصولات المشتركة عادة، بينما يكون الاسم الموصول المختصّ إحاليا إذا ما عاد على محال إليه سابق له عادة.[52]

ولا تختلف الأسماء الموصولة عن غيرها من أدوات الاتّساق الإحالية كونها تقوم بعملية التعويض، وهي لا تحمل أي دلالة

خاصة، ومفهومها لا يتّضح إلا من خلال ما تحيل إليه، وهي تقوم بعمليّة الربط الاتّساقي من خلال ذاتها ومرتبطة بما يلحقها وهي صلة الموصول، التي تصنع ربطا مفهوميّا يجمع بين ما يسبق الاسم الموصول وما يأتي بعده، ويشير النحويون إلى أنّ صلة الموصول ينبغي أن تكون معلومة للمتلقّي قبل أن يذكر الاسم الموصول.(53)

دور الإحالة في تماسك النصّ: تعد الإحالة أبرز عناصر التماسك النصّي التي تسهم في الربط بين أجزاء النصّ والنسج بين وحداته، وتستخدم فيها العناصر الإحالية والإشارية، والتماسك النصّي لا يمكن أن يتحقّق إلاّ إذا توافر هناك تماسك نحوي ودلالي بين العناصر اللّغويّة المختلفة في النصّ، ويؤدي استخدام الإحالة والروابط دورا كبيرا في إنتاج نص متماسك ذي بنية منسجمة بالشكل الذي يرتضيه العلماء اللّغويون في ميد ان علم النصّ، وهذه الروابط لا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنّ إسقاطها يؤدي إلى تفكّك النصّ وتباعد جمله ووحداته ومكوناته، ولا تتحقّق السلامة النحويّة.(54)

إنّ أهمّيّة العناصر الإحاليّة تتمركز في كونها تقوم بمهمة سبك النصّ، ويتجلّى هذا في قيامها بعملية الربط بينها وبين ما تحيل إليه متقدّما كان أو متأخرا، مذكورا أو مقدّرا في سياق الكلام، وكل هذا يعد من قبيل الإحالة الداخليّة، أمّا الإحالة الخارجية فقد تمثّلت في دور المخاطب والمتكلّم وعناصر السياق المحيطة بالنصّ «وكل ما يسهم في تفسير النصّ دون أن يكون

مذكورا في تركيبه، فهو من الإحالة الخارجيّة. وكلتا الإحالتين تتعاونان في إظهار البنية الكلية أكثر ترابطا وانسجاما، ومن خلال تلك النظرة إلى عناصر الإحالة يمكننا جعل كل ما من شأنه تفسير لسابق أو توضيح للاحق في المتتاليات النصّيّة عنصرا من عناصر الإحالة داخل النصّ».[(55)]

ويرى (الدكتور أحمد عفيفي) أنّ جميع أدوات الاتّساق الإحاليّة تعدّ وسائل للإحالة، غير أنّ بعضها لا يسهم في تماسك النصّ واتّساق أجزائه مثل: ضمائر المتكلّم، والمخاطب، لأنّها تحيل إلى خارج النصّ، ومن هذه الناحية فهي لا تعد وسيلة اتساقيه؛ أمّا باقي الضمائر ونعني هنا ضمائر الغيبة وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة فإنّ بعضها يكون مهمّا في صنع اتّساق النصّ، مثل: ضمائر الغيبة التي تعد الوسيلة الأقوى في الربط بين أجزاء النصّ، تليها باقي الأدوات الاتّساقية الأخرى التي تصنع هي الأخرى تماسكا وتعالقا بين أجزاء النصّ، ولكن بشكل أقل من ذلك الذي تحقّقه ضمائر الغياب.[(56)]

ويقوم متلقي النصّ بوظيفة هامّة في فك شفرة الإحالات من خلال البحث عن العناصر الإشاريّة والربط بينها وبين العناصر الإحاليّة، وهذا ما يسهم في تجلية المعاني، وتوضيح الدلالات، وإزالة اللبس والإبهام، فتتحقّق الغاية التي يهدف إليها القارئ؛ وهي فهم النصّ والإحاطة بجميع جوانبه وحيثياته، والوصول إلى المعنى يتطلّب الربط بين الوحدات التي تشكّل نسيج المبنى، وتعدّ الإحالة أهمّ هذه الوحدات على الإطلاق.

خلاصة:

من خلال هذه الدراسة يمكن الخروج بجملة نتائج، منها:

-اختلاف النصّيّين في تعريفهم للإحالة، فلا نكاد نلمس تعريفا بيّنا واضحا خاصة عند الباحثين العرب.

-يقسّم علماء النصّ الإحالة إلى قسمين: نصيّة (مقاليّة) وتنقسم بدورها إلى قسمين: قبليّة وبعديّة، وغير نصيّة (مقاميّة) وليس لهذه الأخيرة دور في تحقيق عملية التماسك.

- يكاد يتّفق أكثر الباحثين في تحديدهم لأبرز أدوات الاتّساق الإحالية وهي: الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة.

-تقوم الإحالة بوظيفة هامة جدّا في اتّساق النصّ والربط بين أجزائه المختلفة، وتعدّ ضمائر الغيبة أكثر العناصر الإحالية قدرة على إحداث التماسك؛ لأنّها تحيل بشكل نمطي إلى سابق أو لاحق، وبالتالي فهي تحافظ على سيرورة الأحداث وتتابعها، وعملية السبك النحوي بين وحدات النصّ تُفضي إلى تحقّق الحبك الدلالي بين معانيه ودلالاته.

الهوامش:

---

(1)-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، 12/ 1055-1056. مادة (حول).

(2)-مجمع اللغة العربيّة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدوليّة، ط4، 1425ه-2004م، ص:209.

(3)-F. S. Alwan, G. L. Simon et M. Said,Le Dictionnaire Francais-Arabe, Dar AL-kotob AL-ilmiyah, Beirut-Lebanon, 2 émeEdition, 2004, p. 673.:ينظر

(4)-N. S. Doniach,The Oxford English-ArabicDictionary, Oxford UniversityPress, London, p.1046. :ينظر

(5)-روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1418ه-1998م، ص: 172.

(6)- Ralph W. Fasold And Jeff Connor-Linton, An Introduction to language And Linguistics, Cambridge University Press, London, p.513. :ينظر

(7)-جون لاينز، علم الدلالة، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة وحليم حسين فالح وكاظم حسين باقر، جامعة البصرة، البصرة، (د.ط)، 1980، ص: 43.

(8)-ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، 1418ه-1998م، ص: 36.

(9)-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(10)-David Crystal, A Dictionary of Linguistics And Phonetics, BlackwellPublishing, Malden-USA, Sixth Edition, 2008, p.407.

(11)- محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص: 16-17.

(12)-ينظر: المرجع نفسه، ص: 16-19.

(13)-الأزهر الزنّاد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، ط1، 1993م، ص: 118.

(14)-نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجميّة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، (د.ط)، (د.ت)، ص: 81.

(15)-ينظر: تمّام حسّان، اجتهادات لغويّة،عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007،ص: 366.

(16)-David Crystal,A Dictionary of Linguistics And Phonetics, p.169.

(17)-ينظر:بروان ويول، تحليل الخطاب، ص: 239.

(18)- صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصي بين النظريّة والتطبيق، دراسة تطبيقيّة على السور المكيّة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،ط1، 1431 ه-2000م،40/1.

(19)-ينظر:أحمد عفيفي، نحو النص، اتّجاه جديد في الدرس النّحوي، مكتبة زهراء الشروق، القاهرة، ط1،2001م، ص: 117.

(20)-نسيج النص، الأزهر الزناد، ص: 118-119.

(21)-ينظر: A Dictionary of Linguistics And Phonetics, David Crystal, p.25.

(22)- ينظر: تمّام حسّان، اجتهادات لغويّة، ص: 366.

(23)-الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 119.

(24) -ينظر: نعمان بوقرّة، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص: 58.

(25)-ينظر:روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجــراء، ص: 327-328.

(26)-ينظر: زتسيسلا فواور زنياك، مدخل إلى علم النص، مشكلات بناء النص، ترج و تع: سعيد حسن بحيرى، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1424ه-2003م، ص: 61.

(27)-ينظر: تمّام حسّان، اجتهادات لغويّة، ص: 366.
(28)-الأزهر الزناد، نسيج النص، ص: 119.
(29)-ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ص: 238.
(30)-David Crystal, A Dictionary of Linguistics And Phonetics, p.169.:ينظر
(*)-تعد هذه الأدوات الثلاثة الأكثر انتشارا وتحقيقا للتماسك النصّي، ونشير في هذا المقام إلى أنّ الباحثين يضيفون وسائل إحاليّة أخرى هي: التكرار، و(الـــــ) التعريف، وأدوات المقارنة.
(31)-ابن هشام الأنصاري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، (د.ط)، 2004، ص:168.
(32)-سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408ه-1988م، 6/2.
(33)- براون يول، تحليل الخطاب، ص: 256.
34)-ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص:230.
(35)-نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص: 122.
(36)-ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 18.
(37)-ينظر: أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية، كليّة دار العلوم، جامعة القاهرة،2005م، ص: 532.
(38)-ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 18.
(39)-صبحي إبراهيم الفقي، علم اللّغة النصي، 137/1.
(40)-ينظر:نائل محمد إسماعيل، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني، دراسة وصفيّة تحليليّة، مجلّة جامعة الأزهر بغزّة، مج 13، ع 1، 2011م، ص:1069.
(41)- ابن هشام الأنصاري، شرح شذور الذهب، ص:172.

(42)-ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى وبل الصدى، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1414ه-1994م، ص:174.

(43)-ينظر: نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسيّة في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص: 87.

(44)-ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، ص:117-118.

(45)-ينظر: أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، ص:533.

(46)-ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص:19.

(47)-مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربيّة، تح: علي سليمان شبارة، مؤسّسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1، 1431ه-2010م، ص:124.

(48)-ينظر: أحمد ناصر ، النّحو الميسّر، ألفا للنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط1، 1431ه-2010م، ص: 129.

(49)-ينظر: ابن هشام الأنصاري، شرح شذور الذهب، ص: 174.

(50)-ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربيّة، ص: 124-126.

(51)-ينظر: عبّاس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د.ت)، ص: 342.

(52)-ينظر: نادية رمضان النجّار، علم لغة النص والأسلوب بين النظر والتطبيق، مؤسسة حورس الدوليّة، الإسكندرية، (د.ط)، 2013، ص: 39.

(53)-ينظر: أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، ص:535.

(54)-ينظر: فايز أحمد محمد الكومي، تحليل البنية النصية من منظور علم لغة النص، دراسة في العلاقة بين المفهوم والدلالة في الدرس اللغوي الحديث، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، ع 25، سبتمبر2011، ص:220-221.

(55)-نادية رمضان النجار، علم لغة النص والأسلوب، ص:40.

(56)-ينظر: أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، ص:535.

التوليد بالاقتراض الدلالي في العربية الحديثة ومنـزلته في القاموس الثنائي

بقلم: محمد شندول

ج. قرطاج – المعهد العالي للغات بتونس

1_ تمهيد:

مصطلح الاقتراض، بمعناه العامّ، ترجمة للمصطلح الأعجمي: Emprunt[1]. ومن الباحثين من سماه أيضا: "استعارة". ومن هؤلاء تمام حسان في كتابه: اللّغة العربية معناها ومبناها، (ص 313).

ومن دواعي الاقتراض في حياة الأفراد الاجتماّعية تطور واقعهم المعاش، وتأثير الثقافات الأجنبية فيه. فتطور هذا الواقع يوجب أسماء جديدة لما يعدّ من مبتكرات الحضارة. وذلك أنّ تسمية الأشياء الجديدة، تجعل الجماعة اللّغوية تلجأ إلى الاقتراض كإحدى الطرق التي تَكْفَل لها سد الخانات الفارغة في لغتها. وقد يكون هذا الاقتراض عفويا نتيجة استعمال غير واع لكلمة أجنبية، أو مفروضا بسبب سعة انتشار

المصطلح الأجنبي وهيمنته. وقد يكون موضوعا وضعا واعيا من أهل اللّغة من باب الاصطلاح، وذلك لتسمية أحد المستحدثات الحضارية.

والاقتراض نوعان: لفظي ودلالي.

1) **النوع الأوّل:** وهو الاقتراض اللفظي: "يتصل هذا النوع من الاقتراض المعجمي بوجهي المفردة الدالي والمدلولي معا. ويمكن أن تمرّ المفردة بضروب من التغيير في محاولة إدماجها في النظام المعجمي الجديد. ويمكن أن يصيب هذا التغيير الوجه الدالي أو الوجه المدلولي أو يصيبهما معا. ويمكن أن تحافظ المفردة على خصائصها فلا يصيبها التغيير"[2]. وهو في كل ذلك يتكون من ضربين: ضرب يسمى "المعرب"، والضرب الآخر يسمى "الدخيل".

أ) **المُعرّب** (Emprunt integré): هو "ما يدمج في نظام اللّغة بأن يُفقد مظاهر عجمته الصرفية ويقاس على نمط صيغي عربي (...) والإدماج يكون إمّا لأنّ المفردة المقترضة قابلة لأن تقاس على نمط صيغي عربي قبولا طبيعيا بحكم بنيتها الأصلية، وإمّا لأنّ المقترِض يعالجها معالجة تتيح لها الاندراج في أحد الجداول الصيغية العربية"[3]. ومثال النوع الأوّل من الإدماج كلمة "قانون" على الوزن "فاعول"، وهي من الكلمة الأعجمية "Canon". ومثال النوع الثاني كلمة "الدبلجة" على الوزن

"فعللـة"، وهـي مـن الكلمـة الفرنسـية: Doublage، وهـي مـن مصطلحات فن المسرح، وتعني المزاوجة أو الازدواج[4].

ب) **الدخيل** (Emprunt integral): وهو "ما لا يدمج في نظام اللّغة فيبقى محافظا على عجمته الصرفية وتبقى بنيته غير مقيسة أو مُنمّطَة بحسب نمط صيغي معلوم (...) وعدم الإدماج يحصل إمّا عن التغيير غير الكافي للإدماج، وإمّا عن عدم التغير البتة"[5]. ومثال عدم التغيير الكافي كلمة "جغرافيا " مقابل الكلمة الفرنسية "Géographie"، ومثال عدم التغيير البتة كلمتا دكتاتور (Dictateur)، وأرستقراطي (Aristocrate).

2) والنوع الثاني من الاقتراض، هو الاقتراض الدلالي (Emprunt sémantique)، ويسمى أيضا ترجمة (Traduction)، ونسخا (Calque) على حد اصطلاح (غلبار)[6]. ويُكتفَى في هذا النوع من الاقتراض بنقل المدلول من دال اللّغة أ إلى دال اللّغة ب.

والنوع الأوّل، وهو الاقتراض اللفظي نكتفي في بحثنا هذا بالإشارة إلى بعض مظاهره لكونه خارجيا. وسنهتمّ بالنوع الثاني، أي الاقتراض الدلالي، لأنّه يتعلّق بنظام اللّغة الدلالي من الداخل. وننطلق في ذلك من السؤال التالي: إلى أيّ حدّ يمكن اعتبار الاقتراض الدلالي في العربية اليوم مظهر توليد؟ ذلك أنّ من الفرضيات التي يطرحها الاقتراض الدلالي أنّ إمكانيات نقل المداليل من لغة مصدر إلى لغة مورد، لا تكون دقيقة أو

قريبة من الدقة إلاّ داخل مجال لغوي وثقافي مشترك. فتمثّل مفهوم البيت مثلا، واحد عند كل الناس: يسميه العربي بيتا، ويسميه الفرنسي Maison، ويسميه الإيطالي Casa. وهو وإن اختلفت أسماؤه فالمسمى واحد عند الجميع. إمّا إذا تباعدت مظاهر هذا الاشتراك بسبب اختلاف بيئي، أو ثقافي، أو لغوي، فإنّ وحدة المداليل قد تتقلص، لكن يمكن أن تكون متقاربة. فتمثّل مفهوم "كوخ" في العربية مثلا، ليس نفسه عند كل الشعوب. فقد توازيه في الفرنسية المقابلات التالية التي تعكس اختلافا في التصور: كوخ ~Case ، كوخ ~Niche ، كوخ ~ Hutte، كوخ ~Cabane .

وفي إطار ما ذكرنا نحاول في هذا البحث أن نقارب مسألة التوليد بالاقتراض الدلالي، وذلك بتقصي ما ورد من مظاهره في أربعة من كتب التصويب اللّغوي الحديثة تعرّضت إلى هذه الظاهرة أكثر من غيرها. وهذه الكتب الأربعة هي: لغة الجرائد للشيخ إبراهيم اليازجي، وتذكرة الكاتب لأسعد خليل داغر، وأخطاؤنا في الصحف والدواوين لصلاح الدين الزعبلاوي، وقل ولا تقل لمصطفى جواد.

واختيارنا لكتب اللّحن مصدرا كان مقصودا، لأنّ ورود ما حددنا من المظاهر المولدة في هذه الكتب يقدّم لنا أسباب الاعتراض عليها، وهو ما من شأنه أن يساعد على تبين جوانب الخطأ فيها من جهة، وعناصر مقبوليتها من جهة أخرى، ومن

ثمّ يتيسّر الاهتداء إلى القواعد اللغوية التي تضبط وجوه استيعابها.

وسنعارض ما اخترنا من كتب اللحن بالمعاجم الثنائية اللّغة - وتحديدا معجمي "المنهل" و"السبيل"- في ما وقفنا عليه من مادة، لنتبيّن منزلة مثل هذه المادة في مثل هذه المعاجم، ومن ثمّ نحاول أن نسأل عن أيّ المصدرين أجدى في أن يكون من مدونة القاموس العربي الحديث.

ومن الضروري أن تكون عملية الترجمة محاولة استنباط للمدلول المناسب وتمثّلٍ للمفهوم الذي يشترك فيه دال اللّغة المصدر ودال اللّغة المورد. لكن محاولة الاستنباط هذه قد يكون طريقها اللجوء إلى المجاز. وهنا يطرح السؤال التالي: ما الحدّ الفاصل بين الترجمة والمجاز في التوليد الدلالي بالاقتراض؟

في نطاق هذه المساءلة، نقدم أيضا تصورا لعلاقة الترجمة بالمجاز وحدود التقاطع والافتراق بينهما عند نقل مدلول من لغة مصدر إلى لغة مورد، من أجل تقديم وجهة نظر نقدية حول قواعد استيعاب المعاني المولدة بالاقتراض في لغة بعينها هي اللّغة العربية.

2ـ **مظاهر الاقتراض في مصادرنا:** ورد منها من اللّغة الفرنسية في المصادر الأربعة التي اعتمّدنا 23 وحدة ثمانية منها من مظاهر الاقتراض اللفظي، وخمس عشرة من مظاهر الاقتراض الدلالي.

2-1 **مظاهر الاقتراض اللفظي:**

أ) المُعرّب : وعدد ما ورد منه في مصادرنا كلمتان، هما:

(1) تقنين (تذ:108-109)، أي سَنّ الشرائع.

(2) ومقنِّن (تذ: 108)، أي واضع الشرائع.

وهاتان الكلمتان مشتقتان من "قانون". و"قانون" (Canon) كلمة يونانية معناها العامّ: مقاس كل شيء[7].

ب) الدخيل: وقد جاء منه في مصادرنا ست وحدات فرنسية، وهي:

(1) آرستقراطي (قل:76-77): Aristocrate بمعنى مُتْرَف.

(2) آرستقراطية(قل:76-77): Aristocratie، وتدل على معنيين: سعة العيش أو طبقة في المجتمّع تكتسب منزلة عالية بالغنى أو بالنسب.

(3) دكتاتور (قل:60) :Dictateur بمعنى مستبد.

(4) روتين (قل:60): Routine بمعنى الدّأب والديْدَن.

(5) مارش (تذ:47): Marche بمعنى النشيد إذ يقال:مارش الملك، أي ما يُلحّن ويُنْظم ويغنّى تحية له.

(6) أرطة (الفرقة من الجيش (لغ:131)).

والملاحظ في ما أوردنا من الوحدات، أن المدلول في الوحدة المعجمية المعربة أو الدخيلة، ملازم للفظه الأصلي غير العربي. وبالتالي لا يمثل هذا النوع من الوحدات المعجمية، من حيث كون الوحدة دالا ومدلولا، توليدا يتعلق بمفردة عربية. بل هو إضافة مفرداتية متأتية من الخارج (خارجية). وعليه فإنّ هذه الوحدات المعربة والدخيلة إذا نظرنا إليها باعتبارها أدلة حاملة لمداليل وجدناها لا تمّثل تطورا في نظام العربية الدلالي لأنّها أعجمية بالأساس. وهي بالتالي لا تمّثل في السلوك الإبلاغي إلاّ إضافة عددية للمفردات المستعملة في مجال من المجالات.

كما أنّ الاهتمّام بالدال محدود. فهو لم يشمل إلاّ ما يقبل التعريب في إطار نظام علم الصرف الاشتقاقي، مثلما نلاحظ في كلمتي "تقنين" و "مقنن". وبالتالي فهو بدوره لا يضيف شيئا إلى نظام العربية الاشتقاقي سوى كم من المفردات ذات أصول أعجمية.

فلا يمثل الاقتراض الشكلي مظهر توليد إذن. فما يمثل هذا المظهر هو الاقتراض الدلالي، وهو الترجمة الحرفية، أو النسخ.

2-2 **مظاهر الاقتراض الدلالي:** حددنا منها في مصادرنا خمس عشرة وحدة ينتظمها الجدول التالي:

جدول وحدات الاقتراض الدلالي الواردة بالمصادر المختارة

الكلمة الفرنسية[8]	المعنى السياقي في الاستعمال المحدث	المقابل المستعمل	المقابل المقترح من المصححين
1) Amateur*(nom commun) :* personne qui apprécie et qui connaît bien (un domaine particulier). □ *un amateur d'art.*	-"غَاوٍ للفنون الجميلة"(تذ: 8).	غَاوٍ	1) هاوٍ (أي من يزاول شيئالمحبّة). 2) هَوِيّ[9].
2) calice (nom commun) :	- "الوريقات التي يتكون منها الكأس (كأس الزهرة) تكون خضراء عادة" (لغ: 165).	كأس (غلافُ الزهرة الظاهرُ)	كُمّ
3) contre (préposition): Introduit un Complément qui marque l'opposition (dans un conflit, un désaccord, une lutte). □ le match contre l'équipe adverse.	- "لفّق ضدّه كذا" ؛ "بدأوا تلقيحا ضدّ الجدري" (لغ: 126؛ قل:56- 57).	ضِدّ	حرف الجر "على" (لفّق عليه كذا).
4)directement (*adverbe*): sans s'arrêter quelque part en chemin. □ dès qu'elle l'a su, elle est venue directement ici.	- "ذهب إليه مباشرة" (قل:174).	مُباشَرةً	1) قصْدًا 2) بلا تلبث ولا تمكّث.

5) **Embrasser(** *verbe transitif*): choisir ou adopter (quelque chose). □ *embrasser une carrière de médecin*	- "اعتنق دين كذا" (لغ: 113).	اعتنق	1) انتحل 2) صبأ إلى كذا 3) دان بكذا
6) Flagrant *(adjectif)* : qui est manifeste et indiscutable	- "ظلم صارخ" (تذ.مل :2).	صارِخٌ (اسم فاعل من "صرَخ" أي صاح بصوت عال).	1) فادح 2) فاحش 3) باهظ، باهظ 4) عائل
	- "حقيقة صارخة"(تذ. مل: 2).	- صارِخٌ (اسم فاعل من "صرَخ" أي صاح بصوت عال).	1) راهِن 2) دامِغ 3) ثابِت
7) Hier(*adverbe*): Le jour précédant immédiatement le jour présent □ c'est arrivé hier matin. [□c'est arrivé avant-hier].	-"رأيته الليلة الماضية" (قل: 103)	- الليلة الماضية - ليلة أمس	البارحة (الليلة التي قبل نهارك). البارحة الأوّلى (الليلة التي قبل البارحة).
8)omosexuel *(adjectif):* dont la sexualité est orientée vers les personnes de son propre sexe.	-"فلان شاذٌّ جنسيّا": مخالف لطبيعته البضاعية. (قل: 83-85)	شاذّ جنسيا	منتكِسٌ

9)Homosexualité : tendance à éprouver del'attirance sexuelle pour les personnes de son propre sexe.	- الشذوذ الجنسي (اللواط عند الرجال، والسحاق عند النساء، قل: 83-85).	الشذوذ الجنسي	1) الانتكاس 2) الانتكاس النوعي
10) intérim (*nom commun)* : fonction exercée temporairement par une personne remplaçant le titulaire. *par intérim : assurer l'intérim de la Direction..*	- "رئيس الوزراء بالنيابة" (تذ.مل: 1- 2).	بالنيابة	نائب (نائب رئيس الوزراء).
11)malgré (*préposition*) :contrairement à l'action négative de Synonyme: en dépit de. le match a eu lieu, malgré une pluie battante.	- "أزوره رغما عن هجره لي" (لغ:85، تذ: 96)	رغْمَ، رغما عن	حرف الجر "على" أو "مع" (أزوره على/مع هجره لي).
12) en qualité de (*locution prépositionnelle*) : avec l'autorité que donne telle fonction, Telle situation sociale, civile ou juridique Synonyme: comme. en qualité de Premier ministre.	-"أمضى عقد الاتفاق بصفته وزيرا للداخلية" (تذ:33).	بصفته،بصفة كونه	حرف الجرّ الكاف (...كوزير للداخلية)

13)sessile *adjectif)* : qui vit fixé à son support et qui est dépourvu de pied ou de tige	-"[زهـــرة] غيـــر ذات أعنـــــــــاق" (لغ:165).	غيـــر ذات أعناق	مُقعَد ؛ لاطِئٌ
14) Sexuel *(adjectif) :* qui concerne la sexualité dans sociaux	-"فـــلان شـــاذٌّ جنسيّاً": مخـالف لطبيعتـــــــــه البضـــاعية. (قــل: 85،83)	جنسيّ	نوْعيّ
15) tige (*nom commun***) :** organe végétal de forme allongée , généralement aérien, qui porte les feuilles et permet le transport de la sève. □ la tige des plantes herbacées.	-"زهرة غير ذات أعنـــاق " (لـــغ :165).	أعناق	سويْقات

تتوزع الخمس عشرة وحدة المبينة في الجدول، بحسب الانتمّاء المقولي، كما يلي: سبع منها تندرج في مقولة الاسم، خمس في مقولة الصفة، و اثنتان في مقولة الظرف، وواحدة في مقولة الفعل. وهذه الوحدات هي:

أ) ما يندرج في مقولة الاسم:

1) أعناق الزهرة = tiges

2) كأس الزهرة = Calice :" الوريقات (غلاف الزهرة الظاهر) التي يتكون منها الكأس (كُمٌّ الزهرة)، وتكون خضراء عادة".

3) ليلة أمس = Hier soir :"رأيته ليلة أمس (البارحة الأوّلى)".

4) الليلة الماضية = La nuit dernière :" رأيته الليلة الماضية (البارحة)".

5) مُبَاشَرة = Directement : ذهب إليه مباشرة (قَصْدًا)".

6) بصفته = en qualité de : "... بصفته وزيرا للداخلية" (تذ:33) ".

7) الشذوذ الجنسي: Homosexualité

ب) مايندرج في مقولة الصفة:

1) جِنْسِيّ = Sexuel : "فلان شاذ جنسيا".

2) صارِخٌ = Flagrant : "حقيقة صارخة (دامغة) ".

3) غاَوٍ = Amateur : "غَاوٍ للفنون الجميلة (هاوٍ) ".

4) غير ذات أعناق = sessile : "[زهرة] غير ذات أعناق".

5) شاذ جنسيا: homosexuel.

ج) ما يندرج في مقولة الظرف:

1) ضِدّ = Contre : "لَفّقَ ضدّه كذا"[10].

2) رغم = malgré : "أزوره رغما عن هجره لي".

د) ما يندرج في مقولة الفعل:

اِعْتَنَقَ = Embrasser : اعتنق (انتحل) دين كذا.

ويعدّ هذا التوزيع مؤشرا على أن الاقتراض الدلالي يغلب في الأسماء والصفات مقارنة بالأفعال والظروف [11].

وتبدو اللّغة العربية الحديثة من خلال الجدول، غير مستفيدة من الاقتراض إلا بدرجة محدودة. فالعدد القليل من الوحدات مؤشر على ذلك. كما أنّ إمكانية الاستغناء عن بعض تلك الوحدات، ولاسيما ما لا حاجة إلى اقتراضه لإمكانية تعويضه بوحدات أخرى مقتبسة من التراث مثل "اعتنق"، و"صارخ"، أو ما لا يؤدي المعاني المطلوبة في الحقل الدلالي الذي وضعت فيه مثل "شذوذ جنسي"، من شأنه أن يقلص من أهمية الاستفادة من هذا النوع من التوليد.

وجاءت الوحدات الخمس عشرة ترجمة حرفية لمعاني وحدات اللّغة المصدر. وقد اعتبرت من الأخطاء الشائعة عند أعلام التصحيح لأنّ هذه المداليل المترجمة قد تأتت حسب ما ذهبوا إليه، بإقامة نظائر هي نَسْخ حرفي لمعان أعجمية، وليس بإقامة المقابلات الموازية لها في اللّغة العربية ذاتها. فهل تبقى

بمقتضى ذلك، صنيعا مرفوضا، أم مظاهر توليد تثري المعجم وتقبل بها القواميس الثنائية اللّغة؟

إنّ بحثا عن منزلة تلك الوحدات في القواميس الثنائية اللّغة مثل قاموس السبيل الذي هو قاموس عربي فرنسي، وقاموس المنهل الذي هو عكس السبيل أي فرنسي عربي، يمكن أن يفيد في تقديم الإجابة، ذلك أنّ وجودها في هذين المعجمين أو عدم وجودها دليل على مدى قبولها مظهر توليد.

3ـ المقترضات الدلالية في كتب اللحن ومنزلتها في المعجم الثنائي:

يمكن للجدول الموالي أن يبيّن منزلة المقترضات المذكورة في القاموس الثنائي اللّغة: قاموسي "المنهل (فرنسي – عربي)" و"السبيل (عربي – فرنسي)" أنموذجا:

الكلمة الفرنسية	المقابل في كتب اللحن	اقتراح المصححين	الترجمة من خلال معجم المنهل	النقل من خلال معجم السبيل
1) Amateur	غَاوٍ	1) هاوٍ. 2) هَوِيّ.	- هاو ؛ غاو	هاو ؛ غاو
2) calice	كأ	كُمّ	كأس ؛ كُمّ (بضم الكاف)	كأس ؛ كِمّ (بكسر الكاف)
3) contre	ضِدّ(بالبناء على النصب)	حرف الجر "على"	ضِدّ (بالبناء على النصب) ؛ حرف الجر "على".	ضِدّ(بالبناء علَى النصب)
4) directement	مُباشَرةً	1) قصْدا 2) بلا تلبث ولا	مُباشَرةً ؛ رأسا.	مُباشَرةً

		تمكّث.		
5) *Embrasser*	اعتنق	1) انتحل 2) صبأ إلى كذا 3) دان بكذا	اعتنق ؛ انضمّ إلى	اعتنق
6) *Flagrant*	- صَارِخٌ : "ظلم صارخ"	فادح ؛ فاحش؛ باهص ؛ باهض؛ عائل	صَارِخٌ	صَارِخ
	- صارِخٌ : "حقيقة صارخة"	راهِن ؛ دامِغ ؛ ثابِت.	واضح ؛ جلي ؛ ظاهر ؛ فاضح ؛ فضيع.	صَارِخ
7) *Hier ;* *Avant-hier*	- الليلة الماضية - ليلة أمس	- البارحة - البارحة الأوّلى.	- البارحة - أول أمس	- البارحة -أول البارحة
8) *homosexuel*	شاذّ جنسيا	منتكِسٌ	لوطِيّ / سحاقي	Ø
9) *Homosexualité*	الشذوذ الجنسي	الانتكاس ؛ الانتكاس النوعي	لواطة / سحاق	الشذوذ الجنسي ؛ لواط/سحاق
10) *intérim*	بالنيابة	نائب	بالوكالة ؛ بالنيابة، مؤقتا	نيابة
11) *malgré*	رغْمَ ؛ رغما عن ؛ بالرغم من ؛ بالرغم	على رغم ؛ على الرغم من ؛ حرف الجر	رغما؛ على الرغم؛ برغم ؛ حرف الجر "على" ؛ مع .	رغْمَ ؛ رغما عن ؛ على رغمه

	عن	"علـــــى"؛ "مع" .		
12) en qualité de	بصفته؛بصفة كونه	حرف الجرّ الكاف	بصفته	بصفته
13) sessile	غيـــــر ذات أعناق	مُقعَـــــــد ؛ لاطِئٌ	لاطـــــــئٌ ؛ لا عنُقَـــــــــي ؛ لاذُنَيْـــبي	Ø
14) Sexuel	جنسيّ	نوْعيّ	جنسيّ	جنسيّ
15) tiges	أعناق	سويقات	أعنـــــــــاق / سويْقات	سويْقات

يظهر هذا الجدول أنّ الوحدات التي استخرجناها مــن كتــب اللّحن الأربعة التي اعتمّــدنا، قــد أدّت معــاني مــن ألفــاظ اللّغــة العامّة أقرها كلّ من "المنهل" والسبيل"، فجاءت صــارخ مــثلا، مقابل Flagrant، و هاو و غاو مقابل Amateur ومباشرة مقابــل Directement، وجنسي مقابــل Sexuel، وكــأس الزهــرة مقابــل Calice ولا عنقــي مقابل séssile. وإقــرار المعجمــين لهــذه المقابلات يدلّ على أنّ لاقتراض الدلالي العفوي أثرا في العربية الحديثة. وهذا الاقتراض لا يعدّ مظهرا سلبيا في نظــرهم. فهــم إذن خلاف أصحاب التصحيح اللّغوي، فإن كان أصحاب التصحيح يرفضون الاقتراض الدلالي لكــون العربيــة فــي نظــرهم قــادرة بنفس أوضــاعها علــى اســتيعاب المعــاني الجديــدة، فــإنهم هــم يجوزون النسخ متابعة منهم للغة الجارية في الاستعمال اليومي،

بل لعل ذلك مذهب اتبعوه في معاجمهم لأنّه ما من لغة إلا في مفرداتها ألفاظ مقترضة.

على أنّ أهمّ ما تجدر الإشارة إليه هو أنّ الوحدات المترجمة التي أقرّها المعجم الثنائي، تبدو كأنّها مجرّد قائمة من المفردات التي اكتسبت معاني جديدة بمجرد عملية نقل بسيطة لا تعكس نظاما. وهذا يدعو إلى البحث عن آلية تخرج بالاقتراض من مجرد كونه عملية بسيطة يتمّ فيها نقل مدلول من الخارج إلى وحدة معجمية ما إلى كونه جزء من نظام التوليد المعجمي في اللّغة. ونحن نقترح التصور التالي الذي يمكن أن نردّ إليه تفسير ما أوردنا من النماذج. وهو يتكون من ركنين: من نظام الاقتراض الدلالي، ومن صلة الترجمة بالمجاز.

4ـ الاقتراض الدلالي ونظام التوليد المعجمي:

4-1 **على مستوى المبدأ الوظيفي:** لقد نقلت مظاهر الاقتراض الدلالي التي وقفنا عليها إلى دوال اللّغة العربية نقلا عفويا. وهذا يتطلب منا تقصي المبدأ الوظيفي الذي يفسّر انتقالها. ونرى أنّ هذا المبدأ هو مبدأ: الحاجة تؤدي إلى الاقتراض

هذا المبدأ صالح لأن يستوعب جميع مظاهر الاقتراض الدلالي، لأنّ "الاقتراض يفسر عادة بالحاجة"[12]. وحين نحتكم إلى هذا المبدأ في ما وقفنا عليه من مظاهر الاقتراض الدلالي التي كانت قليلة، فإنه يكشف عن أحد أمرين: الأوّل، أنّ العربية

الحديثة لم تكن في حاجة أكيدة إلى الاقتراض الدلالي لأنّنا " لا نقترض، منطقيا، إلاّ ما نفتقر إليه"[13]. والأمر الثاني وهو الأرجح، هو إمكانية تفضيل الاقتراض عن طريق المعرب والدخيل. وقد يكون هذا عاملا في ضعف الميل إلى الاقتراض الدلالي، وذلك لسببين على الأقلّ: السبب الأوّل، ذاتي، ويتمّثل في عجز المتكلم الحديث عن نقل معاني الوحدات الأعجمية إلى اللّغة العربية بالقدر الكافي نتيجة ما عاشه من جهل واستعمار لحقبة طويلة غيبت عنه الكثير من مفردات معجم لغته. والسبب الثاني موضوعي، يتمّثل في هيمنة الثقافة الأجنبية على الثقافة العربية، وفي هذه الحالة يكون المغلوب مقتديا بالغالب كما يذهب إلى ذلك ابن خلدون[14]، فيميل إلى ألفاظ اللّغة الغالبة لسد الخانات الفارغة في لغته بدل الترجمة أو الاقتباس من التراث. على أنّ إقرار هذه النتيجة أو نفيها يحتاج إلى إثبات. ونحن نورد في ما يلي أمثلة من الاقتراض اللفظي في حقل بعينه هو حقل المسرح والسينما، لعلّ هذه الأمثلة تكون مؤشرا على النتيجة التي انتهينا إليها. فمن أمثلة الكلمات الفرنسية المتداولة في اللّغة العربية العامّة في الحقل الذي ذكرنا[15]:

1) أوبِرا بدل مُلَحّنة.
2) بروفة بدل تجربة أو تدريبة.
3) بلكون بدل شرفة وهي الفضاء العلوي داخل قاعة المسرح أو السينما يكون في شكل سدّة خلفية كبيرة.
4) بوز بدل ترويحة.
5) تراجيديا بدل مَأساة.

6) دراماّ بدل فَاجعة.
7) دوبلاج بدل ازدواج.
8) سيرك بدل ملعب شعبي.
9) سيناريو بدل مَشهديّة.
10) كاريكاتور بدل رسم ساخر.
11) كازينو بدل ملَهى
12) كباري بدل مَسْهَر.
13) كرنفال بدل حفلة مقَنّعة/تنكّرية.
14) كلون بدلا مُهرِّج.
15) كواليس (Calices) بدل دخائل.
16) كوميديا بدل مَسْلاة.
17) ماريونات بدل مسرح البهاليل.
18) ماكياج بدل تشكٌل.
19) مايسترو بدلا ضابط الإيقاع.
20) مونتاج بدل إعداد مَنظَر.
21) مونولوج بدل مناجاة.
22) نوتة بدل مِثَال

فهذه الأمثلة تبرز ميلا إلى الاقتراض اللفظي بدل الاقتراض الدلالي. فإن كثرة ما فيها من المفردات الأجنبية الدخيلة دليل على ذلك.

2-4 على مستوى التأويل الدلالي: لا يمكن أن نعتبر إضافة دلالية إلى وحدة معجمية ما أمرا مقبولا إلاّ في إطار تأويل دلالي يندرج في علم الدلالة اللّغوي (Linguistic semantics). ونتيجة لغياب تصور واحد لعلم الدلالة اللّغوي، يجب علينا أن

نتغاضى عن اختلاف المدارس اللّسانية حول موقفها من طبيعة المعنى.

ولتجاوز هذا الاختلاف نركز اهتمّامنا على معنى المفردة في إطار علم الدلالة المعجمي (Sémantique lexicale) الذي يعتبر المعنى قابلا للتأويل. فهذا العلم "يدرس الوحدات المعجمية، ويضع هذه الوحدات في علاقة مع مضامينها الدلالية التي تعبر عنها"[16]. وهذه المضامين الدلالية "يمكن أن تدرس من خلال مظهرين: في نطاق الجملة، أو منعزلة"[17]. ويندرج ذلك في نطاق النظرية المعجمية "لأن ّموضوع هذه النظرية هو دراسة الوحدات المعجمية فتعرّف بمختلف أنواع المفردات وقواعد تكوّنها ودلالاتها"[18]، ولأنَّ من واجبات أيّ نظرية دلالية لسانية "ضبط معاني مفردات أيِّ لغة طبيعية، وتراكيبها، وجملها، وشرح طبيعة العلاقة بينها، وفكّ ما فيها من غموض، وإبراز نظام العلاقات الدلالية بينها وتفسيره"[19].

إمّا إبانة الطريقة التي يمكن أن تكشف عن انتقال المعنى، فإن ذلك يتطلب رصد معاني المفردات رصدا يؤدي إلى تفسير مظهر الترابط (Association) بين المفردة ومدلولها الجديد، وذلك أن عملية اقتران الدّال بالمدلول لا تحدث إلاّ بجملة من القواعد والعلاقات ضمن قانون عامّ يندرج في إطار المعرفة المعجمية العامّة.

ونوجّه طريقتنا مع ما يتمّاشى والجهود اللسانية العامّة التي اهتمّت بدراسة الدلالة وقدمت في ذلك تصوّرا لتحليل بنيوي

هدفه "تحديد أوجه تواجد المعنى وصيغ قيامه (...) ورسم خطوط انتقال المضامين وتبدلها "[20]، وذلك محاولة منا لتفسير كيفية اكتساب الدال لمعنى مقترض.

وتشكل نماذج الاقتراض الدلالي التي أوردناها في الجدول، رغم محدوديتها، حقلا لاستنباط القاعدة التي تحدث العلاقة بين الدّال في اللّغة المورد والمعنى المقترض. فما هي هذه القاعدة؟

3–4 **على مستوى قاعدة النقل:** يتمّ إحداث العلاقة بين كل دال ومدلول حسب قاعدة نسميها قاعدة النقل. وهي قاعدة عامّة نرسمها بالشكل التالي: أ ← ب، حيث ترمز أ، إلى المدلول، و ب، إلى الدال. وتنطبق هذه القاعدة على عمليات الاقتراض الدلالي التي يتمّ فيها نقل معنى كلمة في اللّغة المصدر (اللّغة أ) إلى دال في اللّغة المورد (اللّغة ب). وليست النماذج التي أوردنا إلا مثالا على ذلك.

إلاّ أنّ فهم الصلة بين أ، و ب في عمليات الاقتراض الدلالي، يفرض البحث عن المبدأ العامل في تحقق تلك الصّلة، لأنّ المعنى المقترض هو في الحقيقة، معنى غائب في اللّغة المورد. وهذا المعنى الغائب يطرح السؤالين التاليين: هل هذا المعنى الغائب يقابله في اللّغة المورد معنى حقيقي أم معنى مجازي؟ وما هو المبدأ الذي يربط الصلة بين المعنى الموجود في اللّغة المصدر والمعنى الغائب في اللّغة المورد؟

الجواب عن السؤال الأوّل فيه ثلاثة أوجه:

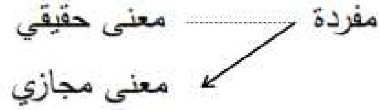
1) لا وجود لمعنى مقترض، لا حقيقية ولا مجازيا، في دال اللّغة المورد إذا كان اقتران الدال بالمدلول المطلوب في اللّغة المورد جاريا في الاستعمال أصالة، لأنّ في هذه الحالة ينتفي الاقتراض أصلا لوجود مقابل قائم في الاستعمال.

2) المعنى المقترض معنى حقيقي في دال اللّغة المورد، وذلك إذا قابله في تلك اللّغة دليل كان يعدّ من المنسي أو المتروك. فإنّ استحضار ذلك الدليل وإعادة استعماله، ليس هو عمليةَ اقتباس من التراث ولا هو أيضا عمليةُ توليد شكلي أو دلالي، بل هو عمليةُ إحياء لـمُماتٍ مجرّدةٌ اقتضاها دافع الحاجة، وهو مقابلة النظير الأجنبي على الحقيقة.

3) المعنى المقترض هو معنى مجازي بالضرورة في اللّغة المورد، وذلك إذا كان من باب تحميل الدليل القائم في اللّغة المورد لمعنى جديد يقابل ذلك المعنى المقترض. فتحميل دليل معاني أخرى لا يكون إلاّ مجازا.

والجواب عن السؤال الثاني هو ما ذهب إليه فونتانيي (Fontanier) **في كتابه (أشكال الخطاب)** (Figures de discours)**، فقد قال (ص77):"المجاز بوجه عامّ، هو ما يوفر مكانا لوجود علاقة بين معنى المفردة الحقيقي والمعنى الذي يسند إليها"[21]. فكلما توفرت علاقة تفسر ترابط معنيي المفردة عُدّ ذلك مجازا. وبالتالي يكون المجاز هو أحد المبادئ التي تربط الصلة بين المفردة ومعناها الجديد.**

ويمكن تلخيص حدوث المجاز بالرسم التالي:



حيث تنزاح المفردة عن معناها الحقيقي فيتخذ اتجاه الترابط النسقي بين الدال ومدلوله الحقيقي انعراجا نحو مدلول آخر هو المعنى المجازي.

لكنّ هل كلّ معنى جديد تكتسبه المفردة في تطورها التاريخي هو مجاز؟ أم أنّ المجاز ينحصر فقط في المعنى الفرعي المتولد من المعنى الحقيقي الأصلي الذي يحصل في المفردة في سياق تواصلي محدّد يسمح للمتقبل بفهمه؟

لا يبدو الجواب واضحا، ذلك أنّ الترابط بين معنيي المفردة محدّد بمسافة. والمسافة الفاصلة بين المعنى الحقيقي والمعنى الجديد تختلف باختلاف قاعدة توليد المعنى: أ بالمجاز أم بالاقتراض الدلالي؟ فإن كان التولد مجازيا فإن المسافة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي تفسّرها علاقة معينة من العلاقات المجازية. وهذه العلاقات معلومة عند علماء البلاغة. إمّا إذا كان المعنى الجديد متولدا بالاقتراض الدلالي، فإنّ تلك المسافة قد تكون قريبة وذلك إذا كانت العلاقة بين المعنيين علاقة قرابة في التصور أو اشتراك فيه نتيجة وحدة التجربة وتماّثل رؤية العالم، وقد تكون بعيدة فتنجر عنها علاقة غير مباشرة يختفي بها الوجه الرابط بين المعنيين، فلا تدرك إلاّ في نطاق كل لغة على حدة نتيجة اختلاف التجربة وتباين رؤية

العالم، ولا تفهم الصلة بين المعنيين إلاّ من خلال مَقْوَلَة الوحدات المعجمية في حقول دلالية أو مجالات إدراك معرفية تبيّن أوجه الشبه والتقارب بينها، وأوجه الاختلاف والتباعد؛ أي إنّ المقولة الدلالية تصبح، في هذه الحالة هي المبدأ الذي يربط بين الوحدة في اللّغة المورد والمعنى المقترض الذي يسند إليها. وهذا المبدأ هو الذي نراه قادرا على تفسير مظاهر الاقتراض الدلالي كالتي أوردناها.

5- **صلة الترجمة بالمجاز:** إذا كان المجاز هو عملية تطور داخلي في الوحدة المعجمية خلافا للاقتراض الدلالي الذي هو عملية نقل خارجية، فما الحلّ حين يغيب المقابل الحقيقي أو المشابه في اللّغة المورد؟ هل تتحول عملية الترجمة إلى عملية بحث عن معنى مجازي؟

إنّ النماذج التي جئنا بها في الجدولين السابقين تقدم إجابة عن هذه المسألة. فأعلام التصحيح لجأوا إلى الاقتباس من التراث معتمّدين على ما رأوه من صلات مجازية بين المعاني القديمة والمعاني الجديدة. وأصحاب المعاجم الثنائية لجأوا إلى الاقتراض الدلالي، فنقلوا المعاني الأجنبية نقلا خارجيا دون اعتبار لوجود علاقات مجازية مكتفين بما رأوه من وجوه القرابة في تمثّل المعاني في اللغتين. وهذا يطرح السؤال التالي: ما عسى أن يكون الحدّ الفاصل بين الترجمة والمجاز؟

المجاز (Sens figuré) هو على وجه العموم، عدول عن المعنى الحقيقي إلى معنى آخر يفهم بالقرائن اللفظية والمقامية. وهذا

المعنى العامّ للمجاز، ينطبق أيضا على الترجمة بما أنّها تحريف للمداليل في عمومها، وخروج بالمفردة عن معناها الحقيقي عند نقلها من اللّغة المصدر إلى اللّغة المورد، وإيهام بوجود قرابة بين المتباعدات في اللغتين.

على أنّ المبدأ الوظيفي الذي يمكن أن نحدد من خلاله موقفا لسانيا حول علاقة الترجمة بالمجاز، هو أنّ "أدلّة كل لغة تشكل مبدئيا، بنية فريدة؛ أي أنّها تتعارض مع بعضها البعض بطريقة خاصّة، بحيث لا يوجد تطابق دلالي تام بين لغة وأخرى"[22]. ومن ثَمّ فإن عملية الترجمة هي "عملية شبيهة إلى حدّ بعيد بعملية المجاز. فالمترجم يسعى إلى نقل المعنى من وضعه الأصلي إلى وضع مؤقت مستعار مثلما يفعل المتكلم في المجاز. والترجمة أيضا- مثلها مثل المجاز - نوع من التفسير والتأويل معا (...) يصعب فيها الاتصاف بالأمانة، ويكثر فيها التحكم والاستبداد بالمعاني"[23]، لأنّ فيها ادعاء بنسبة ملامح اللّغة المورد إلى اللّغة المصدر. وهذا الادعاء هو بمثابة تأسيس علاقة بين اللّغتين مثلما نفعل ذلك عند البحث عن وجه الصلة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي؛ أي إنّ الترجمة ليست مجازا بل هي عملية نسخ تتضمن ادعاء بوجود علاقة بين لغتين من حيث أنها إعادة صياغة لتجربة الجماعة اللغوية وفقا لنماذج أخرى من استعمال المفردات. فإن كانت إعادة صياغة التجربة في المجاز تقوم على تكييف الدال ليتحمّل معنى جديدا من اللّغة نفسها تبعا لعلاقة مجازية ما، فإنّ إعادة الصياغة في الترجمة تقوم على عملية نسخ تقريبية بين علامتين من لغتين مختلفتين

لتستخدم الوحدات المنسوخة كمرادفات لوحدات اللّغة الأجنبية. وكثيرا ما تختفي مظاهر التصرف الشخصي في مثل هذه الوحدات عندما توافق حاجةً تعبيرية ماسة في الاستعمال فيتبناها المتكلمون بصورة جماعية.

على أن ّمن أهمّ مظاهر الاختلاف بين الترجمة والمجاز مظهرين:

1) أنّ وحدات اللّغة المترجمَة لا تحدث مع مقابلاتها الأجنبية اشتراكا دلاليا كما هو الشأن في المجاز، وذلك لاختلاف الأصل.

2) التطوّر الدلالي الذي ينتج عن الترجمة الحرفية ناتج عن محاكاة لمعان أجنبية في مفرداتِ لغةٍ مصدرٍ. فهو إذن توليد خارجي وليس توليدا داخليا متأتيا من نفس المفردة ومن صلب النظام اللغوي الذي تنتمّي إليه تلك المفردة.

واستتباعا لذلك، فإنّ التوليد الذي يتأتى من هذا النوع من الاقتراض الدلالي والذي يمكن عدّ مظاهره تطورا دلاليا، يتمّثل في المعاني الأجنبية التي تُحمّل لوحدات اللّغة. لكنّ هذه المعاني لا يمكن اعتبارها معاني تطورية بأتمّ معنى الكلمة، لأنّ الاقتراض الدلالي، كما يُفهم من السببين المذكورين، "ينتج عن تناظر بين كلمتين تنتمّيان إلى لغتين مختلفتين"[24]. ومعنى هذا أن المعنى الجديد ليس نابعا من تطورٍ ذاتي في المفردة محكومٍ بقوانين التطور الدلالي العامّة، بل من عاملّ خارجي؛ أي من الترجمة. ويستنتج من ذلك " أنّ الاقتراض الدلالي لا يعمل في اللّغة إلا بصورة سطحية"[25]، فيعكس في الدال ثنائية مضمونه اللغوية قبل أن يعكس توليدا دلاليا يعبر عن تطور معناه.

6ـ خاتمة:

كانت مقاربتنا لمسألة الاقتراض عموما، مقاربة وصفية بينا من خلالها نوعين من الاقتراض في العربية الحديثة: اقتراض لفظي واقتراض دلالي.

وقد اعتمدّنا في تبين ذلك على أربعة كتب من كتب التصويب الحديثة التي تعرضت في متنها إلى هذا المظهر في اللّغة وعلى معجمين ثنائيي اللّغة هما المنهل (فرنسي – عربي) و"السبيل" (عربي – فرنسي) وذلك من أجل البحث في كيفية حدوث التطور اللّغوي الذي يكون سببه الاقتراض. وقامت خطتنا في ذلك على أربعة مستويات تطبيقية يمكن تلخيصها كما يلي:

1) **المستوى الأوّل:** هو إبانة مظهر استعمال المفردة الآني كما رصدته كتب اللحن التي اعتمّدنا، وكما تعاملت معه المعاجم الثنائية. وقد تبيّنّا تعارضا بين أصحاب كتب التصحيح وأصحاب المعاجم. فأصحاب كتب التصحيح يرفضون الاقتراض الدلالي ويرون أن اللّغة قادرة بنفس أوضاعها على استيعاب المعاني الجديدة. وأصحاب المعاجم الثنائية يرون ضرورة مجاراة ما درج في الاستعمال.

2) المستوى الثاني: هو استخراج مظاهر الجدّة. وقد سعينا في ذلك إلى تبيّن أنوع الدوال من جهة، وأنواع المدلولات من

جهة أخرى في إطار سياقهما الوظيفي. والفائدة من ذلك هي إبراز مظاهر الاقتراض اللفظي الذي تمّثل _ في ما انتهينا إليه_ في دخول مفردات أجنبية إلى العربية، ومظاهر التوليد الدلالي الذي تمّثل في تحميل المفردة المعنى المقترض.

3) المستوى الثالث: وهو نظري، وقد تتمّثل في تحديد قوانين النقل الدلالي وتعيين العلاقة الرابطة بين معنى المفردة الأصلي والمعنى المكتسب.

4) المستوى الرابع: هو تمّثّلُ البنية العميقة عند تحديد مقابل المعنى الأجنبي. هل هي بنية يحكمها البحث عن المعنى الحرفي أو المشابه للكلمة الأجنبية، أم هي بنية تعتمّد المجاز لإقامة العلاقة التقابلية بين معنى الوحدة الأصلي والمعنى الجديد؟

وقد مكنتنا هذه المستويات الأربعة من تبين أهمّية الاقتراض في العربية الحديثة. وقد انتهينا في ذلك إلى أنّ الاقتراض بنوعيه اللفظي والدلالي، يمثل عنصر ثراء في اللّغة:

1) **الاقتراض اللفظي:** تمّثلت أهميته في كونه ساهم في دخول وحدات معجمية أجنبية أصبحت من مفردات العربية سواء حافظت هذه الوحدات على عجمتها، أم انصهرت في أبنية العربية عن طريق الاشتقاق الصرفي. وهذه الوحدات الأجنبية تتكامل مع المفردات العربية تبعا لعلاقات الانتمّاء إلى الحقول والمجالات الدلالية.

2) **الاقتراض الدلالي:** وقد تمثّلت أهميته في مظهرين في اللّغة:

أ) إحياء بعض المفردات المماتة حين تبيّن أنّ معنى الوحدة المعجمية الأجنبية يقابله على الحقيقة، معنى وحدة معجمية عربية متروكة استعادت بمقتضاه الجماعة اللّغوية تلك الوحدة المتروكة إلى الاستعمال لمواجهة اللفظ الأجنبي، على الحقيقة. فكان الاقتراض الدلالي في هذه الحالة عامل إحياء للتراث، ومظهرا يعكس وحدة التجربة البشرية في بعض الوجوه، وتماّثل رؤيتها للعالم.

ب) إثراء معاني بعض مفردات اللّغة بمعان جديدة وتحويل ما كان أحاديّ الدلالة منها إلى مشترك دلالي، فمثل المعنى المقترض مظهر توليد دلالي في الوحدة المعجمية العربية، اكتسبت فيه الوحدة المعجمية العربية هذا المعنى بحسب قاعدة نقل عامّة خضعت لمبدأ المجاز وعلاقاته.

وقد تحكمت علاقة التوسع الدلالي في المفردة من الداخل لتستوعب عملية النقل الخارجية. وانصهر المعنى المقترض في المفردة عن طريق ذلك التحكّم، وأصبح معنى جديدا فيها يمكن تفسير علاقته بمعاني المفردة الأخرى، بمبادئ نظام اللّغة العربية الدلالي.

ونحن نعتبر عمليات انصهار المعاني المقترضة في الوحدات المعجمية للّغة العربية إعادة بينية لوحدات اللّغة مع تجربة

الجماعة اللّغوية وتصور هذه الجماعة لواقعها المتطور، وذلك من أجل إحداث ملاءمة بين المعاني الأصلية والمعاني الجديدة. وهو ما يفيد بأنّ تلك المظاهر العلاقية هي في الواقع عنصر توافق بين الأدلة والمداليل.

- **المصادر والمراجع[26]:**

I- المصادر:

1) جواد (مصطفى): قل ولا تقل، مكتبة النهضة، بغداد، 1988.
2) داغر (أسعد خليل) : تذكرة الكاتب، المطبعة العصرية بالفجالة، مصر،1933.
3) الزعبلاوي (لصلاح الدين سعدي): أخطاؤنا في الصحف والدواوين،، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1939.
4) اليازجي (إبراهيم): لغة الجرائد، جمعه وقدمه نظير عبود، دار مارون عبود،بيروت، 1984.

II- المراجع:

1- المراجع العربية :

(1) ابن خلدون(عبد الرحمان): المقدمة، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1983.
(2) ابن مراد(إبراهيم): مقدمة لنظرية المعجم؛ دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1997.
(3) إدريس (سهيل) و جبور عبد النور: المنهل (معجم فرنسي _ عربي)، دار الآداب ودار العلم للملايين، بيروت، 1983.
(4) بناني(محمد الصغير): النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب، دار الحداثة، بيروت، 1986.
(5) تيمور (محمود): مشكلات اللّغة العربية، المطبعة النموذجية، مصر د.ت
(6) جميل (فتحي) : في مفهوم الاقتراض الدلالي، مجلة المعجمية، العددان المزدوجان: 16/ 17، سنتي: 2000/ 2001، ص ص 205 -219.

(7) ريغ (دانيال): السبيل (معجم عربي فرنسي _ فرنسي عربي)، مكتبة لاروس، باريس 1983.

(8)المعلوف (لويس): المنجد في اللّغة، دار المشرق، بيروت، 1969.

2- **المراجع الأعجمية:**

1) Baccouche (Taieb) : L'emprunt en arabe moderne, Beit AL-Hikma – I B L V , Tunis, 1994.
2) Deroy(L): L'Emprunt linguistique, Les Belles Lettres, Paris, 1956.
3) Greimas(A.J): Du sens: Essais sémiotiques, Seuil, Paris,1970
4) Guilbert(L) : La créativité lexicale, Larousse, Paris, 1975.
5) Lerot(J): Précis de linguistique générale, Minuit, Paris, 1993.
6) Martinet(A): - Eléments de linguistique générale ,3eme éd. Armand Colin, Paris,1991.
7) Microsoft® Encarta® 2007. © 1993-2006 Microsoft
8) Tamba- Mecz(I): Le sens figuré, Puf, Paris ,1981.

الهوامش

---

[1] ينظر: Deroy: L'emprunt, p.p. 93-102

[2] فتحي جميل: الاقتراض الدلالي، مجلة المعجمية، ص 206.

[3] ابن مراد: مقدمة،ص 162.

[4] - ينظر تيمور: مشكلات اللغة العربية، ص 115.

- وينظر نماذج أخرى في:- Baccouche : L'emprunt en arabe moderne, pp161-338 et 339-398.

[5] المرجع نفسه، ص 162.

[6] ينظر: Guilbert: La créativité, p.101

[7] معلوف: المنجد، مادة قن، ص 656.

[8] ينظر فبي شرح الكلمات الفرنسية ونماذج استعمالها : Microsoft® Encarta® 2007. © 1993-2006 Microsoft. وتنظر المقابلات العربية وأمثلة تداولها في مصادرها.

[9] الهويّ:هذا ما أقرّته المعاجم القديمة. وحديثا يقال :"هَاوٍ"،وجمعه:"هُواة " كما نصّت على ذلك بعض كتب التصويب(ينظر مثلا: جواد:قل،ص ص95،96؛ العدناني:الأخطاء الشائعة،ص261).

[10] الضد في العربية صفة. لكن حشرها التطور مع الأسماء حين أصبحت ترد ظرفا مبنيا على النصب (ينظر: جواد، قل، ص ص 56-57)

[11] هذا ما لاحظه غلبار أيضا في معالجته لهذه المسألة (ينظر له: La créativité, p. 99)

[12] المرجع السابق، ص 137.

[13] Droy: L'emprunt, p. 137

[14] ينظر ابن خلدون: المقدمة، ص 101.

[15] ينظر في الأمثلة المذكورة ومقابلاتها العربية الممكنة : محمود تيمور: مشكلات اللغة العربية، ص 112- 117.

[16] Lehmann: Lexicologie, p.15 ؛ Lerot: Précis, p.100

[17] المرجع نفسه، ص 142.

[18] المرجع نفسه، ص 339.

[19] Cann: Formal semantics, p.1

[20] Greimas(A.J): Du sens:Essais sémiotiques, éd.Seuil ,Paris, 1970, p.17.

[21] Tamba-Mecz: Le sens figuré,p.22

[22] Martinet: Elements,p.169.

[23] بناني: النظريات اللسانية والبلاغية، ص 281.

[24] Droy: L'emprunt, p.101

[25] المرجع نفسه،ص 215.

[26] اكتفينا في هذه القائمة بذكر ما أحيل إليه في البحث ورتبناه ترتيبا ألفبائيا بحسب ألقاب المؤلفين ورسمنا بخط غليظ مختصرات العناوين التي اعتمدناها في الإحالة.

المعالم الكبرى للقراءة الأدبية
في ضوء المناهج السياقية والنسقية

أ.ة/ سنجاق الدين حميدة

ج. بجاية

يؤدي السِّياق دورا كبيرا في قراءاتِنَا التي تتأثّر به إلى درجة كبيرة؛ فلا يُمكنُ لنا تصوُّر قراءة دون سياق يُحدِّدُ المعنى منها، كما "يشكلّ السياق في كلّ قراءة أحالت على "خارج" حضورا يلون خلفيتها الفكرية وحيثياتها المعرفية، فتغرف منه مقومات الفعل القرائي، حين تباشر النص، مستخدمة أدوات ومناهج "العلم" الذي تحيل عليه، دائرة في فلكه، فتتسمى باسمه وتنعت بوصفه[1] ، ممّا يؤكِّد لنا الارتباط الوثيق للقراءة بالسِّياق؛ حيث لا يمكننا تصوُّر قراءة بلا سياق، والذي ينقسمُ بدوره إلى انواع من السِّياقات، منها ما هو تاريخي، وما هو اجتماعي، وما هو نفساني، وغير ذلك؛ وسنحاول في ما يلي تقديم كلّ قراءة على حدة وبإيجاز.

1- القراءة الانطباعيَّة: تُعدُّ الانطباعيّة من أولى المناهج النّقديّة التي عُنيَت بالقراءة؛ حيث أمَدّتْها بآليات وتقنيات قراءة

النٌصوص، وهي "نظرة واسعة الانتشار ترى ان الفهم حدسي وذاتي"[2]، بمعنى ما تتركُه فينا القراءة من انطباع أولي، فحسبها "ليس للنص معنى آخر إلا ذاك الذي منحه إياه قارئ ما بالتماشي مع أهوائه الخاصّة أو احتياجاته، فنحصل إذن على عدد من الدلالات بعدد القراء"[3]، وهذا يَعنِي ان القراءة الانطباعيّة يَحكمُها قانون واحد، هو قانون القارئ الذي يَحْتكِم إلى انطباعه وذوقه أثناء قراءته للنصّ، ممّا يعني أيضا؛ ان القراءات الانطباعيّة تختلف وتتعدّد من قارئ إلى آخر.

2- **القراءة التّاريخية:** تطوّرت القراءة عما كانت عليه سابقا، فبعدما كانت عبارة عن أحكام انطباعية، اسْتَنّت لنفسِها بعض المبادئ والقوانين التي يجب العمل بها لتحقيق أكبر قدر مُمْكِن من العلميّة والموضوعيّة، "وإذا كان ما يسمى بالنقد العلمي شكلًا مبكرا للنقد التاريخي، ظهر لدى هيبوليت تين (1828-1893) في ثلاثيته العتيقة (العرق-البيئة- الزمان)،التي تجسد حتمية كون الانسان نتاج الوراثة والبيئة، تجسيدا طبيعيا تحت وطأة الفلسفة "الداروينية" (...)، وبرونتيار في دراسته التطورية للأجناس والألوان الأدبية، و(سانت بيف saint pif) (1804-1869)"[4]. كذلك فان الناقد (غوستاف لانسون Gustave Lanson) (1857-1934) هو الرّائد الأكبر للمنهج التّاريخي في النّقد، فقدّم مُحاضرة حول الرٌوح العلميّة منهج تاريخ الأدب، في جامعة بروكسل سنة 1909، وبعدها بسَنَة كتب

مقالته "منهج تاريخ الأدب" وذلك في مجلة الشهر " revue du moist "، حدّد فيها خطوات المنهج التاريخي[5]، ان فهم الأَدب مَرهُون بِفَهْم الأديب وبكلّ ما يُحيط به؛ وذلك لان "دراسة المناهل إحدى الوسائل الهامّة للتغلغل إلى مختبر المؤلف للكشف عن كيفيات عمله وأصالته"[6] و"بان دراسة الأدب تبدأ بالتحريات ذات الطابع الحتمي الواسع، والتي تشبه إلى حدّ بعيد كيفيات البحث في الظواهر التاريخية"[7]، لان دراسَة الأدب قبل ظهور المناهج النّقديّة كانت عبارة عن آراء وأحكام لا يَحكمُها قانون علمي موضوعي، ولكن مع ظهور هذه المناهج النّقديّة، أصبحت الدِّراسات النّقدية أكثر علميّة وموضوعيّة؛ "لان روح العلم كفيل بالكف عن الاستسلام للأهواء والتسرع في الأحكام، وتكون " علمية " تاريخ الأدب في نتائجه الاستقصائية البعيدة عن الانتقاء الذي يبقي الأدباء في جو من التجريد الزمني والمكاني، ويساهم بحق في فهم الروائع وحيثيات ظهورها "[8]، وذلك بالبحثِ عن المعلومات الخاصّة بالأديب لفهم أدبِه؛ ممّا جعل النّص الأدبي يحتلٌ موقعا في تاريخ الأدب، لاننا حتى نَفْهَم النّص علينا أوّلا فهم المرحلة التّاريخيّة التي قيل فيها النّص الأدبي، ممّا يجعل الباحث "يستطيع ان يستمد منها ما لا يستمده من التاريخ"[9].

3- القراءة الاجتماعية: يقول قاسم المومني في كتابه "في قراءة النص" ان "المنهج في ظل أي قراءة نقدية حديثة

أو قديمة، خطوة بالغة الأهمية، فهو الذي يَضبِط خُطى القراءة ويُحدِّد مَسارَها، والمنهج هو الذي يتوقف على استقامته، أو انحرافه، استقامة النتائج التي تفضي إليها القراءة، أو انحرافها"[10]، فحتّى تنتظِم القراءة لا بُدَّ لها من منهج نقدي يُنظِّمها ويضبطها، فتتخلّص القراءة بعد ذلك من كلّ الانطباعات غير المبررة.

والمنهج الاجتماعي شانه شان المنهجين الانطباعي والتّاريخي، حيث يَمدُّنا بمجموعة من الآليات والإجراءات التي تساعدنا على قراءة النُّصوص الأدبيّة والولوج إليها، فالمنهج الاجتماعي إذن "يحاول دراسة النصوص الأدبية في ضوء الظروف الاجتماعية التي ولد في ظلالها، يلاحظ ان الأدب ظاهرة اجتماعية شانها شان الظواهر الاجتماعية الأخرى التي تتأثر بالمجتمع وتُؤثر فيه، وليست عالما وهميا أو خياليا، أو حتى ذاتيا غير خاضع لظرف معين، أو انعكاسات حضارية معينة، فلقد مضى الزمن الذي يعد الأدب مخلوقا يهبط من السماء على شكلّ ملائكة أو شياطين أو جن أو آلهة خاصّة به، كما عُرف عن آلهة الشعر والفن عند اليونان، وشياطين الشعر وتوابعهم في الشعر العربي القديم"[11]، كما ان القارئ يعيشُ في مُجتمَع فيتأثّر به ويُؤثِّر فيه، وذلك ما ينعكس على قراءاته للنُّصوص الأدبية التي تتطلّب ان "ينتمي كلّ قارئ إلى مجتمع إلى حياة اجتماعية يُحدِّدان

قراءاته، وفي ذات الوقت يفتحان له فضاءات التأويل كما يجعلانه محدّدا حرا وخلاقا"[12].

ويُعدٌ العامّ 1800م تاريخا حاسما في ما يخصٌ النّقد الاجتماعي، حيث ظهر كتاب بعنوان: حول الأدب، لصاحبته مدام دو ستايل Madame De Stael (1766-1817)، حيث ركّز على ضرورة معرفة الظّروف الاجتماعيّة التي أدّت إلى ظهور وإبداع النٌصوص الأدبية[13]، لان معرفة الأسباب تُساعدُنا على معرفة النّتائِج، وعليه كيف لنا ان نفهم ظاهرة مُعيّنة دون الاطّلاع على بيئتها التي أوجدتها.

وبعد صدور كتاب دو ستايل بست (06) سنوات أي عام 1806م، أطلق (بونالد Bonald) مقولته الشهيرة "الأدب تعبير عن المجتمع" فلم يَعُدْ الأدب ذلك الفن الرومانسي الجميل، وانما هو ذلك الأدب الذي يُصوِّر لنا ما هو كائن في المجتمع، وعليه "ظهرت موجة نقدية عارمة تدعو إلى التشديد على البعد الاجتماعي للنص الأدبي، وتقاربه (وربما "تحاكمه" أحيانا) من مدى تمثله لهذه الزاوية، ومدى مواكبته لهذه التحولات الاجتماعية الجديدة"[14]، ان للقراءة الاجتماعية مُميِّزات لا يجب عليه ان يَحيد عنْها في ظلِ المنهج الاجتماعي أو الواقعي، ونُجملُها في ما يلي:

- اتِّخاذ الواقع مصدراً لموضوعاته؛
- دقّة التّعبير وإتقان التّصوير، والابتعاد عن الغموض؛
- الصِّدق في التّعبير بدل التّمويه؛
- الصّرامة العلمية؛
- الاهتمام بالمجتمع أكثر من الفرد؛
- العناية بالمشكلّات الجماعية بدل العواطف الذاتية.(15)

وجب على القراءة النّقديّة للأدب ان تَدرُس وتُركِّز على الأحداث الاجتماعيّة وتحلّلها" فالتفاعل بين الفنان والواقع تفاعل يتلبس إلى غاية الامتصاص الكامل للمشاهد والأحداث، واندماجها التام، فيتيح للعمل الفني انعكاسا أكثر أمانة في جوهره للواقع"(16).

وإذا حاولنا تحديد بعض خصائص القراءة الاجتماعيّة التي ارْتَضَتْها لنفسها، فنُسجِّل ما يلي:

- ان مضامين الأدب تنبتُ من الواقع، أي من نماذجه البشريّة الحيّة المُتصارِعَة؛

- ليس للأدب غاية في حدِّ ذاته، وانما هو وسيلة فقط، وذلك لكشف تناقضات المجتمع، وميكانزمات تطوٌّرِه؛

- الكشف عن الصِّراع القائم بين طبقات المجتمع من جهة، وبين الحاضر والماضي من جهة أخرى، حتى تَتَحَدَّد سَنَنَ التّطوُّر، وتوجيهه نحو الأفضل[17].

فالمجتمع -إذن-هو أساس المنهج الاجتماعي، منه يستقي وجودَه؛ ويَتَبَوّأ مكانته إلى جانب المناهج السِّياقية الأخرى التي اختارت لنفسها زوايا أخرى لولوج عالم النّص الأدبي.

4- القراءة النّفسيَّة: تُعتبَر القراءة النّفسيّة واحدة من القراءات التي اهتمّت بالنّص الأدبي، باعتباره نتاج انسان مبدع، مُعتمدَة في ذلك على آليات وإجراءات منهج النّقد النّفسي، وذلك لتحليل العمل الأدبي الّذي هو وجه آخر لمبدعه "فإذا كانت القراءة التّاريخيّة قد أحالته على الأحداث وتراكماتها، وأوقفته القراءة الاجتماعيّة على الواقع بتناقضاته، فان القراءة النّفسيّة حاولت ان تُدرِك جانبا فوّتتهُ القراءتان، ولم تُولِه الاهتمام اللائق به، فضربت مخاطها عند "المؤلف""[18] باحثة عن حياته الشّخصية وعن سيرته الذّاتيّة، لفهم ما يُبدعُه من نصوص أدبية تظهر ما يختلجُ في نفسه.

وهي الفكرة التي يُؤيِّدها كلّ من عبد الله إبراهيم؛ وصالح هويدي، وذلك حين قالا "ولا يختلف عن هذين المنهجين اللذين يتصديان لفهم الظاهرة الإبداعية من خلال مرجعيتها، تلك الجهود التي بذلها أصحاب ما يُسمَى بالمنهج النفسي، حين

راحوا يلتمسون فهم هـذه الظـاهرة مـن واقـع البنيـة النفسـية للأديب ومركبات نقصه وعقـده الشخصـية ومظـاهر سـلوكه الشاذة أو المنحرفة"[19]،ذلـك أنّ التّركيبـة النّفسـيّة للأديـب تنعكسُ بشكلّ آلي على بنية سلوكاته؛ ومنها لغته التي يَستعملِها في أعماله الإبداعية."

إنّ التحليـل النفسـي فـي النقـد والأدب بـرز فعليـا مـع سيغموند فرويد، الذي يرى أنّ العمـل الأدبـي موقـع أثـري لـه طبقات متراكمة من الدلالة، ولا بدّ بالتالي من كشف غوامضـه وأسراره"[20]. وذلك بالبحث عن حياة المُبدِع، والتي تكون سببا لا محالة في تكوين شخصيّته التي تنعكس بدورها على ما يُبدعُه من نصوص أدبيّة.

إن لكلّ عملٍ أدبي مَظهَرَيْن: أَحدُهما خفي وثانيهما ظـاهر، أمّا الظّاهر فهو واضـح، وأمّـا الخفـي فعلـى النّاقـد النفسـي ان يَستعين بكلّ الأدوات والإجراءات التي تُمكّنِه مـن الوصـول إليـه، وذلك بالاستعانة بالمنهج النّقـدي النّفسـي، حيـث "يمعـن هـذا المنهج في البحث عن الدوافع التي أفضت إلى اصطناع هذه اللّغة بالذات دون سواها، أي أنّ معرفة كُنه نفس المبدع في حد ذاتـه من خلال دراسة هذه اللّغة التي يـزعم أصـحاب التحلفسـي انّـه كان يصنعها خارج الوعي"[21]، ومصطلح التَحلِفْسي من اقتـراح عبد الملك مرتاض الذي مزج بين مصطلحين وهمـا: التحليـل والنفسي، فنحت منهما مصطلحا جديدا وهو التحلفسي.

قام بعض الباحثين بتجارب على إبداعات أدبيّة، غايتُها استقصاء الألفاظ والصُّور التي تَتَكَرّر في النّص الأدبي الواحد، وهذه الغاية لا يُمكِن تحقيقها إلاّ بالعناية الشّديدة باللّغة المُستعملَة والمُختارة كمواد خام يبني بها المُبدع أعمالَه الأدبيّة والفنيّة، "ولعل السِّمة التي لا يَتجاوزُها التحليل النفسي هي انه يتبع كافة خيوط العمل الأدبي إلى وعي ولا وعي الذات: ظروفها النفسية وسيرتها الذاتية وتاريخ نموها"[22]، ذلك ان المبدع يتجاذبه عاملا الوعي واللاوعي أثناء إبداعاته.

القراءة النسقية:

1- **القراءة البنيويّة:** أُعلنت البنيويّة عن مُنطلَقَها في قراءة النّصوص الأدبيّة الذي هو: البنية، "فكلّ بنية هي لا محالة مجموعة علاقات تتبع نظاما معينا مخصوصا، وهكذا تَحوّل المنهج المعرفي من محاولة معرفة "ماهية" الشيء إلى "كيفية" ترابط أجزائه وعملها مُجتمعة"[23]، فلم تَعُدْ الغاية من دراسة النّص الأدبي الوصول إلى المضامين والمعاني والكشف عنها، بل الغاية في ذلك هي الكشف عن تلك اللّغة باللّغة لا بسواها، قاطعة صلتها بكلّ المؤثِّرات الخارجيّة بما فيها الذّات الكاتبة والذّات المُتلقيَة، ناصبَةً العداء للتّصوٌرات التّقليديّة القاصرة، فقد "جاءت البنيوية رد فعل على التصورات التقليدية السائدة، ودعت إلى فهم مُختلِف وجديد للأدب والنص"[24] ،في ضوء الموضوعيّة والدِّقة والوضوح.

قلبت هذه الرؤية الجديدة المفاهيم والتّصورات رأسا على عقب؛ فبعدما كان يُنظر إلى النّص كنتاج لعوامل خارجيّة عنه تَتَحَكّم فيه أيّما تحكُّم، أصبح يُنظر إليه في ضوء المنهج البنيوي على انه بنية مُستقلّة مُكتفِية بذاتها، فهو لا يعكس الواقع بل يُنتجه.

كما يُؤكِّد (رامان سلدن Raman Sölden) في كتابه "النظرية الأدبية المعاصرة" انه" لا يغدو مصدر المعنى راجعا إلى تجربة الكاتب أو القارئ بل إلى العمليات والتعارضات التي تحكم اللّغة، ولا يَتَحدّد المعنى بوساطة الفرد بل بوساطة النسق الذي يحكم الفرد(...)، وهناك طموح علمي تنطوي عليه القراءة البنيوية، طموح يسعى إلى اكتشاف الشفرات والقواعد والانساق الكامنة وراء كلّ الممارسات الانسانية والاجتماعية والثقافية"[(25)].

فلا شيء سوى اللّغة، التي يَصْنَعها نظامُها وفق علاقات خاصّة، فأيّ تحوّل في عناصر اللّغة أو في علاقاتها يؤدّي حتما إلى تحوّل المعاني وتغيّرها، وهذا ما أكدّه إبراهيم محمود خليل بقوله: " تنطلق البنيوية "structuralisme" في نقدها للأدب من المُسلّمة القائلة بان البنية تكتفي بذاتها، ولا يتطلب إدراكها اللجوء إلى أي عنصر من العناصر الغريبة عنها أو عن طبيعتها. والنص الأدبي النّثري أو الشّعري هو بنية تتكون من عناصر، وهذه العناصر تخضع لقوانين تركيبية تتعدى دورها من حيث

هي روابط تراكمية تشد أجزاء الكيان الأدبي بعضه إلى بعض، فهي تضفي على الكلّ خصائص مغايرة لخصائص العناصر التي يتألف منها النص"[26]، فالبنية هي ذلك الكلّ المُنَظّم الشّامل لمجموعة من العلاقات، إذ" ان قيمة بناء معنى تُقاس بمدى قدرتها على تنشيط أكبر قدر ممكن من عناصر النص، وجعلها تدل على معنى بطريقة منسجمة"[27].

انّ القراءة في ضوء المنهج البنيوي، تُعنى أكثر ما تُعنى بالنّسق والنِّظام الذي تسير وفقه العناصر اللّغويّة، في فلك مُتّسق ومُنسجِم، كلّ عنصر يأخذ مكانه الذي وُضع من أجله لتأدية دوره ضمن النّسق العامّ للنّص، لنصل في الأخير إلى فهم شامل للنص.

يُعدّ النّص الأدبي في نظر البنيويّة، بنية مُكتفِيَة بذاتها، تَحكمُها ثلاث مُميّزات، وهي الشّمولية أو الكلّيّة والتّحولات والضّبط الذاتي، كما يُبيّن ذلك كلّ من ميجان الرويلي؛ وسعد البازعي، حين قالا: "فالبنية لابد ان تتصف بالشّمولية والتّحوّل وذاتية الانضباط. والشمولية تعني اتساق تناسق البنية داخليا، أي ان وحدات البنية تَتّسِمُ بالكمال الذاتي وليست مجرد وحدات مستقلة جُمعت معا قسرا وتعسفا، بل هي أجزاء تتبع انظمة داخلية من شانها ان تُحدد طبيعة الأجزاء وطبيعة اكتمال البنية ذاتها، وهكذا تُضفي هذه القوانين على البنية خصائص أشمل وأعم من خصائص الأجزاء التي تتكون منها البنية"[28]، فالنّص

كبنية لا يتحقّق حتى تكْتمل أجزاؤه وتَتّحد في كلّ مُتكامل، فلا مزيّة للجزء بمعزل عن الكلّ، ولا مزيّة للكلّ في غياب أحد الأجزاء.

كما يؤكِّد ذلك عبد الله محمد الغذامي حين قال:" فالشمولية تعني التماسك الداخلي للوحدة، بحيث تصبح كاملة في ذاتها، وليست تشكيلا لعناصر مُتفرقة، وانما هي خلية تنبض بقوانينها الخاصّة التي تُشَكلّ طبيعتها وطبيعة مُكَوِّناتها الجوهرية، وهذه المكونات تجتمع لتُعطي في مجموعها خصائص أكثر وأشمل من مجموع ما هو في كلّ واحدة منها على حدة"[29].

و"أما التحول فيعني ان البنية ليست وجودا قارا ومُستقرا وانما هي متحركة دائما، إذ ان قوانينها لا تعمل فقط كقوانين بناء وتكوين سلبي، وانما تقوم هذه القوانين بتحويل البنية ذاتها إلى بنية فاعلة (إيجابية) تسهم بدورها في التكوين وفي البناء، وفي تحديد القوانين ذاتها"[30]، فمن نفس العناصر يُمكن لنا ان نصنع بنى مُختلفة ومُتنوِّعة.

2- القراءة الأسلوبية: تَتَمتّع اللّغة بمِيزات عظيمة وعجيبة؛ ومنها تَوْفيرها للمُتكلّم أساليب كثيرة للتّعبير عما في نفسه من أحاسيس ومشاعر ومواقف، فبفضلها يُمكِن لنا التّعبير عن الفكرة الواحدة بأساليب لا حصر لها، والتّفنُّن في صِياغَتِها كلّ حسب

مَقْدرتِه على التّصرُّف بهذه المــادة – اللّغــة – المَرِنَــة والثّريــة، وفي قُدُرَته على التّحكم فيها. مِمّا يَجعلنا نتساءل: ما قيمة اللّغة إذا لم تُصَبّ في قالب لغوي جميل؟ وما قيمة المضامين إذا كان التّعبير عنها قد تَمّ بشكلّ ركيك أو مُتكلّف فيه؟ "ان الأســلوب هــو العنصــر الــرّئيس فــي التّــأليف وأداة الصُــورة للظهــور والتفوق"[31] و" لأنّه يستند على ما يُسمى بالوظيفــة الشــعرية للغة"[32] إذ ان الأسلوب يُؤثِر أيّما تأثير في اللّغة.

فالأســلوب بهــذا المفهــوم يَخْتَلِــف بــاختلاف مُســتعمليه، وإمكاناتهم في توظيفه من أجل الإبلاغ أوّلا؛ ومن أجــل التّــأثير والجمال ثانيًا؛ إذ" وبعد وفاة سوسير عُني تلميــذه شــارل بــالي Bally بالوظيفة التّعبيرية للّغة، مِمّا جعلَهُ يتطرّق للتّفريق بــين أسلوبَيْن في استخدام اللّغة، أحدُهُما يَنْشُدُ التّــأثير فــي القــارئ، والآخر لا يَعنيه إلاّ إيصال الأفكار بدِقّة. وتَطَرّقَ عدد آخــر مــن اللّسَانيّين للأسلوب، وذلك انهم وجدوا هذه الطّبيعة الثُّنائية في اللّغة، وهي الجمع بين القدرة على الإبلاغ، والقدرة على التعبير الجمالي يعد الإبلاغ وظيفة ثانوية فيه"[33].

تُعدُّ الأسلوبيّة الوريث الشّرعي لعلم البلاغة « rhétorique » قامَتْ على انقاضها بعد ان جرّدتْها مــن معياريتهــا[34]، لان هــذه الدّراسات التّقليدية، كانت تَحْتَكِمُ وِفْق مقــاييس ذاتيّــة لا علــى أساس علمي موضوعي، وان في إصــدار الأحكــام فــي حــدِّ ذاتهــا

ما يوحي بالذّاتية، لان التّقييم ليس في إصدار حكم بالسِّلب أو بالإيجاب، وانما في إظهار مواطن الجمال.

كما ارْتَبَطَتْ ارتباطا وثيقًا باللِّسانيات التي تُمِدُّها بالعلميّة والموضوعيّة والدِّقة في التّحليل، كما بيّن ذلك يوسف أبو العدوس بقوله" لقد استفادت الأسلوبية من مفهومي السنكرونية (الانية) والدياكرونية(التعاقبية) استفادة كبيرة"[35]، ذلك ان هذه الثُّنائيّة تُساعد الدّارس الأسلوبي، على رصد خصائص الأسلوب وسِمَاته، سواءً في زمان ومكان مُحدّدين، أم في مراحل تاريخيّة مُتعاقبة، بُغية تحديد ورصد مُمَيِّزات كلّ فترة تاريخيّة، وإجراء مُقارنة لتوضيح أوجه الاختلاف والاتِّفاق، وغيرها من القضايا التي تُعنى بها الأسلوبيّة.

3- القراءة السِّيميائية: توقّع عَالِم اللِّسانيات فرديناند دي سوسير بميلاد علم جديد، يُعنى بدراسة العلامات أَطْلَق عليه اسْم السِّيمْيُولُوجْيَا، وقد "شاع استخدام السيميائية sémiologie باعتبارها علما للعلامات بعد ظهور كتاب دي سوسير (1916)، ويستخدم بعضهم للدلالة على المعنى نفسه مصطلحا آخر هو sémiotiques ،الذي يرجع الفضل في صياغته لعالم اللسان الأمريكي شارلساندرس بيرس Peirce، وقد مر بنا دي سوسير عند الحديث عن العلامة وعن الاتصال، تنبأ بظهور علم الإشارات أو السيميولوجيا ، متوقعا لعلم اللّغة ان يكون فرعا مهما من فروع هذا العلم"[36].

بمعنى ان السِّيميولوجيا أعَمّ من اللِّسانيّات، كَوْنُه لا يَدرسُ العلامات اللُّغويّة فحسب، بل يَدرس كذلك العلامات غير اللغوية، و"بشكلّ عامّ السيميولوجيا (...) هي دراسة كلّ الانظمة الدالة إلى جانب اللغوية، كالعلاقات الاجتماعية والفنون،...الخ"[37]، فجاء رولان بارت لِيَقْلِب مُتراجحة دي سوسير الألسنية(السيميائية إلى المُتراجحة الجديدة الألسنية)السيميائية[38]، مُبيِّنا انهَ حتى العلامات غير اللغويّة لا يُمكن ان تُفهم بمعزل عن اللّغة، لان العلامة لا تكون علامة ما لم تَدُل على معنى. وإذا ما لم تُصَغ في قالب لغوي واضح.

عُرِفَ هذا العلم الوليد -السِّيميائيّة – بتسميات عديدة لأسباب منها ما يعود للبيئة الزّمانية والمكانيّة والخلفيات التّاريخية، وأدّى هذا إلى حيرة واختلاف في ترجمة المصطلح، سواءً عند الأروبيين أم الأمريكان أم العرب، والنّتيجة كانت رُكاماً مصطلحياً (السِّيميائيّة، السِّيميوطيقيّة، العلاميّة، الإشاريّة، علم العلامات، علم الإشارات، الأعراضيّة، الدلائليّة، الدلاليّة،...الخ[39]، إلا ان المصطلح الشّائع هو السِّيميائية.

ان العالم بما انه فضاء مُفْعَم بالعلامات، فان" كلّ مظاهر الوجود اليومي للانسان يشكلّ موضوعا للسميائيات. فالضحك والبكاء والفرح واللباس وطريقة استقبال الضيوف وإشارات المرور والطقوس الاجتماعية والأشياء التي نتداولها في ما بيننا، وكذلك النصوص الأدبية، كلّها علامات نستند إليها

في التواصل مع محيطنا"[40]، وهذا ما يُؤكِّده دانيال تشاندلز حين قال باننا "نتعلم من السيميائية اننا نعيش في عالم من الإشارات، وانه لا يمكننا فهم أي شيء إلا بوساطة الإشارات والشفرات التي تنظمها"[41]، ذلك ان الإشارة أو العلامة إذا لم تَحْكُمْها شفرة يَفْهَمُها مُفَسِّروها، لم تَعُد علامة، ويُضيف لنا ان" ليس لهذه الأشياء معنى في ذاتها، ولا تصبح إشارات إلا عندما نحملها معنى[42]،فما قيمة العلامات إذا لم تَقْتَرِن بمعنى مُعيّن؟.

والسِّيميائيّة تُعنى أوّل ما تُعنى بدراسة العلامات وبِمَا تَحملُهُ من قِيَم اجتماعيّة وثقافيّة. يتساءل سعيد بنكراد في مَعْرَض حديثه عن اقْتِران العلامة بثقافة المجتمع المُتَواضِع عليها قائلا" ألا يمكن القول إذن (...) ان السميائيات هي في المقام الأول صيرورة لتحويل العالم من الحالة السديمية والأحادية وانعدام الشكلّ إلى ما يُحدد الأشكال المختلفة للإدراك؟"[43]، ذلك ان العَالَم يَتَكوّن من علامات تَكْتَسِب معانيها بفضل الصيرورة التي تتمتّع بها، لان دراسة العلامة بمعزل عن صيرورتها أيْ بمعزل عمّا تواضع عليه المجتمع، تُصبِح ضرباً من المستحيل. يواصل سعيد بنكراد فكرته قائلا" ان كلّ التصورات باختلاف منطلقاتها تتفق على هذا التحديد، فالشكلّنة في البدء وفي النهاية، هي تحويل المتصل واللاعضوي واللا تمفصل والعديم الشكلّ إلى موضوعات ثقافية، تستلزم النظر

إليها باعتبارها عصارة الفعل الانساني وأثاره في ما يحيط بنا"[44].

4- القراءة التّفكيكية: تعتبر القراءة المِفتاح المُعوّل عليه في فتح مغاليق النّصوص. فلِزام على القارئ إذن ان يَتسلّح بإجراءات القراءة التي اختارها كمدخل لفهم أيّ نصٍّ كان، وذلك حتى تَتَحقّق عملية التّواصل والإبلاغ" والنص هو محور الأدب الذي هو فعالية لغوية انحرفت عن متواضعات العادة والتقليد. وتلبست بروح متمردة رفعتها عن سياقها الاصطلاحي إلى سياق جديد يخصّها ويُميّزها "[45]، وعليه كيف للقراءة الواحدة ان تَجمَع شَمْل وشتات هذا النّص؟ وكيف لها ان ترصد المعنى الواحد والمُباشر؟ خاصّة أثناء دراسة نص أدبي جمالي يَغْلب عليه التّلميح والإيحاء ويَغيبُ التّصريح.

وإذا حاولنا فهم مُصطلح التّفكيك فإنّنا نجد دانيال تشاندلز يُعرِّفه كالتالي "تفكيك (Déconstruction): هو إستراتيجية في التحليل ما بعد بنيوية، انشأها جاك دريدا. يسعى مُستخدمو هذه الإستراتيجية إلى تفكيك البنى البلاغية في النّص لإظهار كيفية اعتماد الأفاهيم الأساسية فيه على علاقتها التقابلية، غير المصرّح بها، مع دلالات غير مذكورة"[46].

ومن أهمِّ الرّكائِز التي اسْتَنَد عليها، نجد مفهوم التّقابُل، وان في هذه التّسمية ما يوحي إلى الثّنائية والتّقابل بين شيْئين اثنين

وفقط؛ وهو ما يُعرف بالثُّنائيّات: غرب/شرق، رجل/امرأة، الانا/الآخر، العلم/الجهل، القوي/الضّعيف، وغير ذلك.

حيث ان الطّرف الأوّل من الثُّنائيّة هو الأقوى والأصلح، في حين أن الطّرف الثّاني يُمثّل دائما الدُّونيّة والبدائيّة. وممّا لا شك فيه ان الطّرف الأوّل من تلك الثُّنائيّات يُمثّلها الفكر الغربي دون مُنازع، مُكرّسا سُلطتَه وهيمنتَه المُطلَقة على الآخر.

انّ المعنى لدى أنصار الفكر الغربي الميتافيزيقي – في نظر دريدا – واحد وواضح لا غموض فيه، ذلك ان القارئ الغربي يَقرأُ أو يُحَلِّل النُّصوص وفق مبدأ الثُّنائيّة التي تُخوِّل له كامل الهيمنة والسُّلطة وحب التّملك والظُّهور والتّميُّز. ممّا دفع دريدا إلى تفكيك مقولاتها، خاصّة تَمركُزها حول معنى واحد وواضح، وفي نظره" يتمثل النص في التحول اللامحدود للمدلولات من خلال التحرك الحر للدال الذي يفلت بطلاقة لاتُحد، ولذا فهو غير قابل للانغلاق أو التمركز"[(47)]، وانما هو مُنفتِح على تَعدُّد القراءات واختلافها وإرجائها، إذ "يحقق النص حدا غير قابل للتحجيم من الدلالات الكلّية، لانه مبني من الاقتباسات المتداخلة مع النصوص الأخرى، ومن الإرجاعات والأصداء، ومن اللّغات الثقافية، التي هي غامضة الهوية وغير قابلة للرصد، ولذا فالنص انما يستجيب للانتشار فقط (Disséminations)(أي ان ينثر في النصوص اللانهائية التي

تداخلت معه(...)"[48]، وان في مصطلح الانتشار في حدِّ ذاته ما يوحي إلى الكثرة والتّعدديّة، واللامحدوديّة واللانهائية.

إنّ القراءة النّصانيّة بانواعها(البنيويّة والسِّيميائيّة، والأسلوبيّة، والتّفكيكيّة) لمحاولة جادة لفتح مغاليق النّص والدُّخول إلى كنهه وعمقه بغية الكشف عن المسكوت عنه، لان النُّصوص خاصّة الأدبيّة منها تُلمِّح أكثر مما تُصرِّح، وهذا ما يُصعِّب عمليّة تحليليها وتفسيرها، ناهيك عن طبيعة النُّصوص الأدبيّة الزِّئبقيّة.

ورغم اختلاف القراءات النّصانيّة في خلفيّاتها الفلسفيّة واللُّغويّة، وفي مقولاتها، إلا انها تروّت من منبع واحد وهو "اللّغة" التي تربطها معها علاقة منبت ومنشأ، كما تصبُّ في نفس المجرى الذي هو النّص، والذي يُعتبَر في نظر القراءات النّصانيّة كيانًا يصنع نفسه بنفسه في ظلِّ تمتُّعه بالاستقلاليّة والانغلاق، إلا ان بعض القراءات ومنها: السِّيميائيّة والتّفكيكيّة مثلا، حاولت عقد علاقة بين النّص والقارئ؛ ممّا يُخرج النّص من استقلاليّته وانغلاقِه، وهذا ما يُساعِد – لا ريب – في ظهور قراءات معاصرة تأخذ القارئ بعين الاعتبار، بل تهتمّ به أيما اهتمام؛ حيث انزلته منزلة المُنتج والمُبدع، نظرا للدّور الذي يلعبُه في إعادة قراءة النُّصوص.

وممّا سبق يتّضح لنا ان القراءة السياقية بأنواعها ما هي إلا قراءة خارجية؛ أي تعنى بكلّ بما هو خارج عن اللّغة لفهم هذه الأخيرة، فتبحث في السياقات التاريخية والنفسية وغيرها، مما أوقعها في الاهتمام المبالغ بكلّ ما هو خارجي عن اللّغة وعن طبيعتها. فظهرت القراءة النسقية أو القراءة الداخلية كردة فعل، لتحاول الكشف عن اللّغة من الداخل، أي فهم بنية اللّغة في حدّ ذاتها وليس لشيء آخر، كالقراءة الأسلوبية والسيميائية والتفكيكية وغيرها.

ولكننا إذا نظرنا إلى القراءة فاننا لا يمكن لنا ان نحصرها في سياقها الخارجي فقط، بمعزل عن نسقها، ولا في نسقها الداخلي فقط، بمعزل عن سياقها لأنّنا سنكون حينئذ مجحفين في حقها كقراءة تستلزم النظر في كلّ مكوّناتها الداخلية والخارجية فلا يمكننا تصور قراءة بمعزل عن سياقاتها المختلفة (تاريخ، دين،علم نفس،..) ولا عن نسقها وتركيبها الداخلي (البنية، الأسلوب، السيميائية،...).

فالقراءة الجيدة يجب ان تأخذ بعين الاعتبار كلّ مكونات اللّغة الداخلية والخارجية؛ أي السياق والنسق معا، وهذا المفهوم يقترب أكثر من الفكرة التي تنادي بالمنهج المتكامل الذي ينظر إلى النص الأدبي بجميع العيون لا بعين واحدة؛ أي بعين النبوي والنفساني والسيميائي وغير ذلك، حتى نعطي النص حقه من القراءة والفهم.

الهوامش

1- حبيب مونسي، القراءة والحداثة، مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2000، ص44.

2 - بول ب.أرمسترونغ، القراءات المتصارعة، التنوع والمصداقية في التأويل، تر: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، ليبيا، 2009، ص75.

3- مارك اسكولا، سلطة المؤول، الحكايات النظرية لستانلي فيش، تر: نسيمة بن عباس، معالم، ع2، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص72.

4- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، قسنطينة، 2002، ص19- 20.

5- المرجع نفسه، ص20.

6- حبيب مونسي، القراءة والحداثة، ص45.

7- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

8-حبيب مونسي، القراءة والحداثة، ص46.

9- يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، 2002، ص41.

10- قاسم المومني، في قراءة النص، ط1، الأردن، 1999، ص96.

11- شلتاغ عبود شراد، مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، دار مجدلاوي، ط1، عمان، 1998 ص231.

12- مجموعة من المؤلفين، مدخل إلى مناهج النقد الحديث، تر: رضوان ظاظا، مايو، 1997، ص158.

13- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، ط1، عمان، 2003، ص66-67.

14- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص41-42.

15- حبيب مونسي، القراءة والحداثة، ص61.عن: محمد مفيد الشوباشي، الأدب ومذاهبه.

16- المرجع نفسه، ص63-64.

17- حبيب مونسي، القراءة والحداثة، ص59.

18 – المرجع السابق، ص75.

19- عبد الله إبراهيم، صالح هويدي، تحليل النصوص الأدبية، قراءات نقدية في السرد والشعر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 1998، ص7.

20- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، لبنان، 2005، ص333.

21 - عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص142.

22 - ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، ص333.

23 - المرجع نفسه، ص68.

24 - سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب، 2005، ص119.

25 - رامان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 1998، ص109.

26 - إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة، عمان، 2003، ص95.

(27)- Bertrend- Lire méthodiquement des texts" Lacoste , Coordinations Michel Decocts, les editions Bertrend-Lacoste, 1995, p10.

28 - الرويلي والبازعي، دليل الناقد الأدبي، ص70-71.

29- عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير، النادي الأدبي الثقافي، ط1، جدة، السعودية، 1985، ص32.

30 - الرويلي والبازعي، دليل الناقد الأدبي، ص71.

31- مصطفى درواش، خطاب الطبع والصنعة، رؤية نقدية في المنهج والأصول، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005، ص261.

32 -G.Siouffi, 100 fiches pour comprendre la linguistique, p70.

33- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث، ص151.

34- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص144. و G.Siouffi, 100 fiches pour comprendre la linguistique, p70.

35- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص42.

36- إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث، ص104-105.

37 - G.Siouffi, 100 fiches pour comprendre la linguistique, p72.

38- يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص133.

39- وغليسي، النقد الجزائري المعاصر، ص133. ومحمود خليل، النقد الحديث، ص104-105.

40- سعيد بنكراد، السميائيات وموضوعها، علامات، المغرب، ع16، 2004، ص2.

41- دانيال تشاندلز، أسس السيميائية، تر:طلال وهبه، مراجعة: ميشال زكريا، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت، أكتوبر، 2008، ص43.

42- المرجع نفسه، الصفحة 45.

43- سعيد بنكراد، السيميائيات وموضوعها، علامات، المغرب، ع16، 2004، ص5.

44- المرجع السابق، ص5-6.

45- عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير، ص6.

46 - دانيال تشاندلز، أسس السيميائية، ص440.

47 - الغذامي، الخطيئة والتكفير، ص62.

48 - المرجع نفسه، ص64

سردية المقاومة

في رواية (يحدُث في بغداد)

د. انشراح سعدي

(جامعة الجزائر 2)

تعدّ رواية (يحدُث في بغداد) للروائي العراقي الدكتور رسول **محمّد رسول** الصادرة عن الدار المصرية اللبنانية سنة 2014 في طبعتين، رواية تشتمل على روايتين تشتركان وتقومان على الشّخصيات نفسها رواية للموت وأخرى للحياة، إذ بنى الروائي نصّه على ثنائيتين متضادتين "الخير في مقاومة الشر" في ظلّ الراهن الذي يعيشه العراق كما يتبيّن لنا من خلال العتبة الأوّلى للنصّ وهي العنوان أهمّ عناصر النصّ الموازي، والمدخل الأساسي لأيّ عمل إبداعي. وهذه الرواية الموسومة (**يحدُث في بغداد**) منحت النصّ هويته منذ البداية، فرسول هيأ القارئ لأحاديث عن بغداد في صيغة فعل الحاضر (يحدُث) ليدخله إلى عوالم المثقف والأديب العراقي أو بالأحرى إلى محنته، ليتناسل نصّ روائي من نصّ آخر[1]، وليستل الحياة من الموت على يد "سعيد الدّهان" الصديق المخلص للكاتب "مرهون الشاكر" الذي كتب روايته الأخيرة "**ينحني الصابر للوجع**" في مقاومة لكلّ أشكال العنف والإرهاب والانحلال والتطرف والزيف.

تتجلى قيمة العنوان في ما يثيره من تساؤلات لا توجد لها إجابة إلاّ مع نهاية العمل، فهو يفتح شهية القارئ للقراءة أكثر من خلال تراكم عمليات الاستفهام في ذهنه، وهذا ما لم يحدُث معنا حين قرأنا "**يحدُث في بغداد**"، فبغداد التي تتصدّر عناوين النشرات الإخبارية لا يخفى على أحد ما يحدُث فيها، ليصبح الاستفهام هنا: ماذا سيخبرنا رسول محمّد رسول عن بغداد غير الذي نتابعه عبر وسائل الإعلام؟ هل سيتحدّث الروائي عن بغداد أخرى لم يصل لها الإعلام المرئي على اختلاف توجّهاته ومذاهبه، والتي لم يكتب عنها كتّاب قبله؟ ونحن لا نكاد نحصي النصّوص الروائية التي جعلت من "بغداد" فضاء لها، على سبيل المثال لا الحصر، "ساعة بغداد" لشهد الراوي، و"فرانكشتاين في بغداد" لأحمد سعداوي، وعلى "أبواب بغداد" لقاسم حول...؟ أم سينقل لنا رؤيته لما يحدُث في بغداد؟.نقف مباشرة، وبعد العنوان، أمام عتبة أخرى وهي "الإهداء"، الذي يفترض أن يرتبط باسم الروائي رسول محمّد رسول كما جرت العادة، إلاّ أنّ الروائي كسر هذه النّمطية وجعل "الإهداء" يحمل اسم "مرهون" الذي لا نعرفه بدل اسم رسول كاتب العمل، وجاء الإهداء كالآتي:

"إلى أمّي... لا ترحلي عني ... سامحيني.."مرهون"[2]

لنطرح تساؤلاً أخر: لماذا تنحّى رسول محمّد رسول عن مكانه وأعطاه لمرهون؟ وهل "مرهون" بهذه الأهمّية ليكتب هو "إهداء" يحدُث في بغداد؟

ينفتح السّرد بمفاجأة أخرى؛ فمرهون الذي أهدى العمل إلى أمّه وطلب منها ألاّ ترحل عنه وأن تسامحه مات، إذ يقول السارد **"بعد انتهاء شعائر الدفن عدت إلى منزلي ثقيل الخطى، حزين الروح لأكون مع نفسي وحيداً وقد حبست دموعي منذ سمعت نبأ وفاة صديقي الكاتب والقاص والروائي مرهون الشاكر، في مستشفى المدينة، إثر مرض نهش رئتيه، وعذب روحه، حتى أودعه الغياب الأبدي"**[3]. ليعمّ البياض في ما تبقّى من الصفحة وما يليها، هذا البياض السّردي سيتكرر في مواطن عديدة من الرواية كدعوة للنبش في المسكوت عنه؛ فالبياضات من ناحية توجه القارئ، تطلب منه أن يكون قارئاً نموذجياً لا قارئاً عادياً يأتيه العمل على طبق من فضة، ومن ناحية أخرى هو استراتيجية سردية تذكِّرنا بأنّ النصّ يمكنه أن يموت في لحظات عديدة إن لم يقاوم، والمقاومة هنا توليد نصّ من رحم نصّ أخر لن يكتمل إلاّ به.

يأخذ السارد على عاتقه بعد ذلك وظيفة التفصيل في حياة مرهون الذي لم يعش إلا أربعة عقود وثلاث سنين، لنعلم أنّه فقد زوجته الأوّلى "فاطمة البصري" سنة 1991 في قصف صاروخي أمريكي هدّم بيت أهلها فماتوا جميعا، والتي وصفها بأنّها مدينة القلب الأوّلى، **"تزوج مرهون من حبيبته ومدينة قلبه الأوّلى فاطمة البصري"**[4]، وبالمقابل يعطي رسول وصفاً لزوجة مرهون الثانية ولكن على لسان مرهون نفسه: **"تزوج مرهون ثانية من نهى، والتي كان يصفها دائما بالغامضة"**[5]، ولا يتأخر السّارد "سعيد الدّهان" صديق مرهون، في توجيه القارئ

إلى الصراع الذي كان يعيشه مرهون مع زوجته نهى، ويتــوالى السّرد لصفحات عدة وسعيد الدّهان يفصّل لنا حياة مرهون ونهى تارة كسارد عليم وتارة أخرى نقلاً لما قالاه عن بعضهما، راسماً بذلك حدود علاقة سمتها التوتر الشــديد، لدرجــة جعلــت نهــى تمضي معظم وقتها عند أهلها، وتمتنع عــن زيــارة مرهــون فــي المستشفى، ولا تحضر عزاء زوجها، بينما تــذهب لطلــب معاشــه من الوزارة التي كان يشتغل فيها.

يتقدم السّرد بين استذكار لحياة مرهون وحديث عن يوميات سعيد الدّهان بعــد فــراق صــديقه، إلــى أن يحــدُثنا ســعيد عــن المظاريف التي وصلت لمرهون في عملة، وكيف علم مــن أحــد الرسائل بوجود نصّ روائي جديد لمرهون الشاكر يفتــرض أن يرسله لناشر في لبنان، ولكن الموت لــم يسعفه ليفعــل ذلــك. ويبدأ سعيد رحلة البحث عن هذه الرواية التي تعدّ حياة جديــدة لصديقه الروائي الميت: **"استأنفت بعــد ذلــك قــراءة الرســالة الثانية والتي يذكر فيها النّاشر اللّبناني، الــذي كــان مرهــون يتعامّل معه في إصــدار مؤلفاتــه، بضــرورة إرســال مخطــوط الرواية قبل الموعد المتفق عليه بشهرين حتــى يمكــن طبعهــا وترشيحها إلى إحدى الجوائز الإبداعية العربيــة هــذا العــامّ"**[6] لتبدأ رحلة البحث عن الروايــة، يجــد مرهــون ضــميمة أوراق تحمل اسم **"ينحني الصابر للوجع"**، ويعلمنــا أنّ الــنصّ الأخيــر للأديب الراحل مرهون الشّاكر بين يديــه بعــد أن تأكّــد مــن وجود كلّمة انتهت على أخر صــفحات الأوراق المكتوبــة بيــده، هذا النصّ الذي تناسل أو توالد داخــل الــنصّ الأصــلي، سيضــيئ

للقارئ بعض مواطن العتمة في الرّواية الأوّلى **"يحدُث في بغداد"**، ولكن بتقدُّم السّرد نعرف أن الفصل الثاني والخامس ضاعا لتبدأ من جديد رحلة البحث عن الفصلين الضائعين: **"صرت ألوم نفسي: الويل لك يا سعيد، هل أضعت الفصل الثاني، دعني أدقق في كلّ الفصول، الفصل الأوّل قرأته وها هو، الثاني هرب مني، والثالث موجود، والرابع كذلك، والخامس مفقود. يا للهول، ها هي الكارثة، أين بقية الفصول؟ هل نسيتها في المنزل؟ كلّا، كلّا، هي بحزمتها ولم ينفرط مني أي شيء منها، الويل لك يا سعيد، الويل لحظك الأغبر..."**[7].

أوّلاً: التداخل السّردي شكلّ من أشكال المقاومة: اختار الروائي شكلّاً خاصّاً لروايته، فجعل نصّه الموسوم **"يحدُث في بغداد"** لا يكتمل إلاّ بنصّ روائي أخر هو **"ينحني الصابر للوجع"** مؤلفه شخصية ورقية من خيال المبدع العراقي رسول محمّد سول، كما جعل البطل يستنير من المخطوط الروائي للمرحوم مرهون الشاكر ليفهم أموراً غامضة في حياة صديقه؛ إذ استعار من ألف وليلة بنيتها الحكائية التوليدية، لكي يؤسس لنفسه شكلّاً روائياً خاصّاً به؛ "فبعض الأعمال الأدبية لا تكتفي بذلك النّسب الأجناسي الرفيع بل تحاول أن تؤسس لنفسها (جينالوجياً) خاصّة بها، لتستلهم أحد النصّوص الرئيسة والمؤسسة في الثقافة ولا يتحقّق ذلك النسب إلاّ عن طريق التداخل الفني الذي يعتمد على عمليات تحويلية بالغة التعقيد، منها ثقافة المُبدع وقدرته على الاستيعاب التحويلي للنصّ المقروء، ومن

ثم تمكنه من التوليد الخلاق للعمل الأدبي"[8]، **وتقع حكايات ألف ليلة وليلة في** أربعة أنواع[9].

1-1. **حكاية المفتتح:** وهي حكاية الملك شهريار وما جرى له من أحداث منذ اكتشافه لخيانة زوجته الأولّى وحتى نهاية الليالي ويقابلها في "يحدُث في بغداد" موت الكاتب "مرهون الشاعر" بعد ما عاشه مع زوجته "نهى" من خيانات متكرِّرة وتكون حكاية المفتتح حكاية عكسية.

1- 2 **حكايات الإطار والمقاومة بالكتابة:** وهي الحكايات التي أخذت شهرزاد تقصّها أمام زوجها الملك شهريار، ويقابلها الحكايات التي يقصها "سعيد الدّهان" في رحلة بحثه عن الفصليين المفقودين، وكيف قابل الزوج مرهون خيانات زوجته المتعددة وتكالب كلّ من الإرهابي وحامي الحمى على جسدها، وما الجسد الأنثوي هنا إلا الوطن العراق ليدخل مرهون الشاكر في عملية رد بالكتابة لمقاومة الموت - لأنه على دراية بحتمية موته والهواء ينفذ من رئتيه كلّ يوم بسبب سرطان الرئة - فتوثيق ما رآه وعايشه ليمزج الواقع بالمتخيل الذي هو "المسار الذي يتماثل ويتشاكلّ فيه تمثيل الموضوع بواسطة الضرورات الغريزية للذات، والذي يفسر فيه بالمقابل التمثيلات الذاتية بواسطة التكيفات السابقة في الوسط الموضوعي"[10]، فإن كان شهريار قد وضع حداً لخيانة زوجته مع عبده بحد السيف، فإن مرهون الشاكر كتب عن هذه الخيانة نصّاً روائياً وجعل سهى تقابل نهى ورشيد يقابل مرهون في الواقع، ما حمل هذه الزوجة الخائنة على سرقة فصلين كاملين من الرواية كيلا

تنشر الحقائق، ويبقى البحث عن الفصلين المفقودين باللجوء إلى المحكمة على اعتبار أن العمل الروائي حق عامّ، لنعلم في آخر العمل أن "نهى" أحرقتهما أمام والدتها التي اعترفت بذلك بعد أن علمت أنّ ابنتها فجّرت نفسها: **"يا بني "نهى" لم تأخذها فقط إنّما سرقتها من "مرهون: عندما كان نائماً في المستشفى أو ربما ميتا، لا أدري، وهي التي أحرقتها بعد أن قطعتها، مزقتها وحرقتها أمامي، في حديقة المنزل، وعندما سألتها: لماذا تفعلين هذا بأوراق زوجك؟ قالت: مرهون يقول فيها إنني غير شريفة !..."**[11]. ولأنّ مرهون كان مرهوناً بوالدته التي توقفه وتلجم غضبه في كلّ مرة يريد أن يوقف زوجته عند حدّها من ناحية، ومرهون بمرضه الذي أدخله إلى المستشفى ويشعره بالعجز واقتراب النهاية، قاوم هذه المرأة بالكتابة عنها انتقاماً لسمعته التي حاولت أن تنال منها بعلاقاتها المتنوعة والمتكررة" فالسمعة يمكنها أن ترهب وتنتصر، وسقوطها يعرضك للهجوم والضربات من كلّ جانب"، وهذا ما كانت تسعى له نهى باتجاه زوجها الذي أراد رسول له أن يكون شخصية عامّة مبدعة في إشارة إلى إرث العراق الفكري والثقافي ما تزخر به بغداد من عبقريات وقد تبدو محاولة النيل من مثقفي العراق واضحة على لسان نهى نفسها: "**...أنا كائن نجس وأنت كائن طاهر، أنا مومس وأنت شريف، كما قال شاعرك هزيل الجسد بدر شاكر السّياب في قصيدته عصيدة المومس العوراء أو السوداء، لا أذكر، اتركني يا ابن ال...**"[12].

قال روبرت جرين في كتابه **قواعد السطوة**: "حافظ على سمعتك، وتنبه لأيّ هجمات تحاك ضدها وأحبطها قبل أن تمسك وتعلم أن تدمر خصومك بإحداث خروق في سمعتهم ثم اتركهم للجماهير ينصّبون لهم المشانق"[13]. وهذه هي المقاومة بالكتابة، فبمجرّد أن أصبحت قضية الرواية قضية رأي عامّ لجأت نهى إلى تفجير نفسها وهي الهشة التي عاشت على وفي وسط المتناقضات.

1- 3. **حكايات تضمينية**: وهي الحكايات التي تدخل ضمن حكايات الإطار ولها دلالاتها الفنية والمضمونية، ففي أثناء البحث عن الفصلين المفقودَين يكلّمنا السارد عن بغداد التي تفيق على صوت العبوات الناسفة والسيارات المفخخة، بغداد التي تغرق في الظلّام بسبب الانقطاعات في الكهرباء؛ بغداد التي لا يعرف الإنسان إن كان سيصل سالماً إلى عمله أو بيته، بغداد التي يموت فيها الأبرياء بلا سبب!

1- 4. **حكايات خارج السياق**: وهي الحكايات التي ترد داخل الحكايات التضمينية دون أن تفيد شيئاً في مجمل أحداث حكايات الإطار أو الحكايات التضمينية ويقابلها في النصّ حكاية الجار الذي كان يراقب كلّ وافد لبيت أهل نهى ويراقب تحركاتها والسيارات المتنوعة التي كانت تقلها في ساعات متأخرة من الليل.

ثانيا: سعيد الدهان؛ مقاومة المجهول بالذاكرة الجماعية: قام موريس هلبفاش (Maurice Hallbawachs)[14]، بإعداد نظرية حول التّفاعل الوثيق بين الذاكرة الفردية والذاكرة الجمعية،

فالذاكرة الفردية تكون في إطار اجتماعي وبالتالي جماعي، وعليه فالذاكرة الجمعية لمجموعة ما لا يمكن أن تظهر إلاّ من خلال الذاكرة الفردية، على اعتبار أنّ الاطار الاجتماعي ينشأ بثقافة المجتمعات على اختلافها، فيعطي لكلّ مجتمع خصوصية، بل نسقاً جمعياً يمكّن الخبرات الفردية من التذكّر والتّفسير[15]، وذاكرة سعيد الدهان مكّنته من الربط بما يحتفظ به من ذكريات صديقه مرهون ونصّ مرهون الروائي **"ينحني الصّابر للوجع"** ليعرف من سرق الفصلين؟ فتكون له الذاكرة معيناً على مقاومة الشر واستلال الحياة من الموت. ومن جهة أخرى تكاثفت هذه الذاكرة الفردية مع ذاكرة زوجة سعيد **"مريم"** لتفسير أشياء عديدة شكلّت هوية النصّين السّردين وضمّنت سيرورتها؛ فمريم هي التي ذكرت زوجها بحديث دار بين مرهون الشاكر وصديق له بحضورهما ليعرف سرّ تسمية الرواية بهذا الاسم: **"هل تذكر يوم كان المرحوم "مرهون" في شارع المتنبي، هل تذكر أنّه قال لصديقه المترجم الذي يعيش خارج الوطن وجاءه بعد غياب، لا أتذكر اسم المترجم، بأنّه سيختار مقطعاً من قصيدة لشاعر نمساوي أو ألماني كعنوان مقترح لرواية يكتبها.... قاطعتني: "تراكلّ..."**[16].

لم تعد ذكريات مرهون الشاكر ذكريات فردية، بل جعلها رسول ذكريات بطابع مرجعي اجتماعي جمعي، وهي تملك مكاناً ضمن المنظومة الاجتماعية؛ "فبالحوار مع الآخرين يتسنّى للمرء تذكّر محطات وتجارب هامة في حياته، والذاكرة المشتركة لجماعة ما شرط لوجود هذه الجماعة نفسها، التي

تتأسس هويتها عبر فعل التذّكر"[17]، فمرهون الذي كتب عن المرأة في دلالة عن الوطن الذي تقاسمته الطائفية والقبلية والأطماع الخارجية مارس فعل المقاومة من خلال نصّه ذاكرته وذاكرة من حوله.

لقد شكلّت *نهى/ سهى* **سلطة زائفة** بالنّسبة لسعيد الدهان؛ فبعد كلّ ما قرأه عن *سهى/ نهى* لو تعلّق الأمر بغيره لفكّر قبل أن يخوض الحرب الضروس ضدها في زمن لا يعرف فيه أحد منْ يقتل منْ؟ أو لماذا تراق أرواح بريئة بهذه البرودة؟ فسهى جامعة النقيضين يمكنها أن تنهي حياته في لحظة وبسهولة "**يا للفداحة، إرهابي وضابط دوري، كيف جمعت يا "سهى" هذين النقيضين المائرين على وليمة جسدك الذي أهنته وأنزلته منحدر الرذيلة والنهاية المبتذلة؟ كيف لك يا "مرهون" تريد مواجهة وحشين في غابة مهجورة؟**[18]، عبارة "وحشين في غابة مهجورة" تضع القارئ مباشرة أمام حقيقة عارية من أي مساحق يمكن أن تجمّلها، قانون الغاب والغلبة ليست للأقوى وإنّما للأكثر دموية، ولكن مقاومة هذه السلطة الزائفة أو بالأحرى التسلّط جاءت باحتقار مرهون لها "الإبقاء على حالة التسلّط يتطلب احتراماً معيناً للشخص أو المؤسسة المعنيين، أمّا العدو الأكبر للتسلّط فهو الاحتقار، أمّا الخطر الأكبر الذي ينسف التسلط هو الضحك الساخر"[19]. والسخرية هنا بنشر العمل ولو منقوصاً بعد موت الزوجين، في ظلّ الظّروف السّياسية التي يعيشها الوطن والهواجس التي لا تنتهي يبحث "سعيد" عن منعطف جديد لحياة روحها الصرفة هي الموت إذ قال: "**لابد من**

منعطف حياة جديدة، بحيث، وفي كلّ صباح، أجد روحي في قبضة جسمي، وفي كلّ مساء أجدني أضع رأسي نائما على وسادتي القطنية وليس على حجارة داخل قبر"[20]، الخوف من الموت أو الفناء سيبدِّده حمل زوجته "مريم"، كيما أعادت "ينحني الصابر للوجع" مرهون الشاكر للحياة.

نصّ **(يحدث في بغداد)** الذي تولّد منه نصّ روائي آخر هو **"الصابر ينحني للوجع"**، وبفصليه الضائعين وما يخفيانه من حقائق غابت بفعل السرقة والحرق، هو سرد يقاوم اليومي في بغداد وفي أقطار عربية أخرى عاشت وتعيش المحنة نفسها. بالكتابة وبالذاكرة الجمعية التي لا تموت نقاوم الموت والمسخ والضياع.

الهوامش:

---

[1]. تجدر الإشارة إلى أن الدكتور رسول محمد رسول أصدر كتابه **(السرد المفتون بذاته)** والكتاب يتضمن نظريته في السرد المفتون لذاته، وهو ملفوظ اختاره رسول كترجمة لمصطلح (Metafiction) الذي يشير إلى تضمنين النص لرواية داخل رواية. انظر كتابه: (د. رسول محمد رسول: **السرد المفتون بذاته... من الكينونة المحضة إلى الوجود المقروء**، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2015).

[2]. رسول محمّد رسول: **يحدُث في بغداد**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2014. ص 5. وهناك طبعة أخرى للرواية صدرت أيضاً في السنة نفسها وعن الدار نفسها.

[3]. رسول محمّد رسول: **يحدُث في بغداد**، ص 7.

4. **يحدُث في بغداد**، ص 9.

5. **يحدُث في بغداد**، ص 9.

6. **يحدُث في بغداد**، ص 15.

7. **يحدُث في بغداد**، ص 46.

8. معجب العدواني: **الموروث وصناعة الرواية مؤثرات وتمثيلات**، مشورات ضفاف، منشورات الاختلاف، بيروت، الجزائر، 2013. ص 28.

9. بتصرف عن: داود سلمان الشويلي: **ألف ليلة وليلة وسحر السّردية العربية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، نسخة إلكترونية. ص 38.

10. Jean Burgos: **pour une poétique de l’imaginaire**; aux éditions de seuil ;1982 ;p82

11. رسول محمّد رسول: **يحدث في بغداد**، ص 187.

12. رسول محمّد رسول: **يحدث في بغداد**، ص 192، ص 130.

13. روبرت جرين: **قواعد السطوة**، تر: هشام الحناوي، إيلاف معات لعلوم النفس والشخصية، ط 1، 2011.

14. سوسيولوجي فرنسي، أعدم سنة 1945 في معسكر بوخنفالد وسط شرق ألمانيا بعد أن تم اعتقاله من طرف جهار الجستابو النازي عامّ 1944.

15. Maurice Hallbawachs: **mémoire collective,** un document produit en version numérique.
http://www.uqac.uquebec.ca/zone30/Classiques_des_sciences_sociale/index.html

16. رسول محمّد رسول: **يحدث في بغداد**، ص 40، ص41.

17. Maurice Hallbawachs :**mémoire collective,** un document produit en version numérique.

18. رسول محمّد رسول: **يحدث في بغداد**، ص 133، ص 134.

19. حنّة أرندت: **في العنف**، تر: إبراهيم العريس، دار الساقي، ط 1، بيروت، 1992. ص 40.

20. رسول محمّد رسول: **يحدث في بغداد**، ص 136.

انبثاق الوعي بالآخرية وحدود المقاومة

مقاربات ما بعد نسوية في أعمال آسيا جبار ورضوى عاشور

د/حياة أم السعد

أستاذة محاضرة(أ)

ج. الجزائر2

هل يمكننا أن نربط كينونة المرأة بالمقاومة؟ سؤال نعتقده يعيدنا إلى تاريخ قديم يتواشج مع الحديث والمعاصر، لأنّ وجود المرأة في العالم نما ضمن صراعات كثيرة جعلت نساء العالم يدخلن في مدارات نزاع مرير بينهن وبين الآخر المتعدد، يحاولن من جهة إثبات وجودهن واسترداد حقوقهن، ومن جهة أخرى يسقطن في تبعات التحرر، لهذا نرى تعدّد أوجه المُقَاوَمات التي خاضتها نساء العالم، فمنهن من أسرتها مجتمعات بطريكية ظالمة جعلتها خادمة في مرتبة دونية لا حقّ لها في ممارسة حرياتها، ومنها من قمعتها القوى الاستعمارية فاتحدت مع الرجل لتقوم مستلبا اغتصب أرضها وحقها في الحياة، وهناك من تقاوم تَشَيُّؤ المرأة وجعلها سلعة تباع وتشترى في سوق النخاسة العالمية، وهناك المرأة التي تقاوم المرأة التي ضدها،

تختلف عنها في حرياتها ومبادئها وجوهرها. فعن أيّ مقاومة نسوية سيكون حديثنا في هذه الورقة البحثية؟

إنّ وجود مفارقات عجيبة في تاريخ المقاومة النسوية في العالم يحتم علينا خوض متاهاتها قبل أن نلج موضوع هذه الورقة البحثية، التي اتخذت هدفا واضحا تتحدّد معالمه بالوقوف على انبثاق الوعي النسوي بالآخر، في محاولة لتتبّع مسار كتابة نسوية واعية عكست فيها المرأة بأفعالها درجة وعي عالية أخرجتها من الآفاق الضيقة إلى مساءلات رهيبة تعيد معالم كتابة تاريخ للمقاومة النسوية العربية في ظلّ الاستعمار الغربي.

1- **مفارقات في تاريخ المقاومة النسوية:** ارتأينا أن نقدّم هذا العنصر لوضع اليد على مفارقات عجيبة تغلف مسار النساء والمقاومة، ونبدأ بسؤال مُهمّ ومُحير طرحه عالم التحليل النفسي (سيغموند فرويد) (Sigmund Freud): **ماذا تريد النساء؟**

ربما كان فرويد يعي أنّ المرأة الغربية عانت من العبودية وستعاني من التحرر بقدر أكبر، لأنّ رحى الإمبريالية الجديدة ستوظف تحررها لتستعبدها بنعومة فائقة ولن تترك لها مجالا للتحرر ثانية، لأنّها منحتها حرية مشروطة يغذيها خطاب لامع شعاره "تحرير المرأة من سطوة الرجل والعادات البالية

والأسرة لكنّ هذا الخطاب نفسه أسرها في عالم جديد تغيّر فيه وجه المعاناة، الذي تغلبت عليه تفاصيل جديدة زينت الوجه وجعلته أكثر جمالا ورونقا يستهوي المرأة فتسقط برضاها في جحيم سلطة أبدية تظلّ تتبعها.

والناظر المدقّق في وجه العالم الجديد يجد أنّ المرأة والرجل على حدّ سواء يتقاسمان عبوديات كثيرة تزين حياتهما التي تغيرت إلى الأفضل، وأدخلتهما عوالم التعدّد التي تنساق فيها الذات إلى مسارات لا تجد فيها خيارات كثيرة، لأنّ المعنى تبدد مع تبدد الكثير من المعالم الدالة على الكينونة، فالوسائل أصبحت غايات في حدّ ذاتها. وبعدما كانت الغاية من تحرير المرأة منحها حقوقا تخرجها من الاستغلال والهيمنة بكلّ أنواعها، أصبحت حرية المرأة وسيلة تجارية وسياسية ودينية وأيديولوجية، تعلق على جسدها أوسمة تتوافق مع متطلبات السلط المهيمنة التي تحرك حرية المرأة لتتوافق مع درجة استغلالها.

إذا غيرنا سؤال فرويد وصغناه بطريقتنا في هذا البحث وقلنا: ماذا تريد المرأة العربية حين تكتب؟ تتعدد الإجابات وتتباين وتختلف، لأنّ الشرط الحضاري الجديد حرر صوت المرأة وأصبحت تكتب عن ذاتها وعالمها وأحلامها دون التقيد بشروط يفرضها المجتمع. منح العالم الجديد لكلّ النساء صوتا، وتُفضل الكثيرات الصمت فتنوب عنهن أخريات أدركن قيمة

ووظيفة الكلّام مجسدا في الكتابة خاصّة حين تنبثق هذه الكتابة عن وعي تاريخي وثقافي لا يسقط فقط في شراك الصراعات الأزلية التي تستهوي كاتبات كثيرات انحصر أفقهن أمام المشاكلّ العويصة التي تجابهها المرأة العربية في صراعها مع الرجل والمجتمع، وهي رؤية حداثية فرضتها بنية المجتمعات الحديثة التي لم تعدّ تؤمن بحدود المرأة بل تساند تطلعاتها وتحثها على إثبات ذاتها دون مراعاة لشروط ثقافية وحضارية ولدت فيها هذه المرأة.

انساقت كثير من الكاتبات دون وعي منهن، واختزلن إبداعهن ضمن التشريطات المختزلة في صراع الرجل والمرأة، متأثرات في ذلك بمبادئ تيارات نسوية كثيرة رفعت شعارات تندد بالهيمنة الذكورية، مطالبة بالحرية والفكاك من أسر هدّد حريات المرأة لقرون.

لم تكن هذه التيارات على اختلافها مذنبة في مسعاها ومطالبها، لأنّ المرأة في العالم الغربي عانت ظلّما وقهرا ودونية تشربتها من سلطة الرجل والمجتمع الذي كان يغذي الرؤية الذكورية للعالم ويمنع المرأة من ممارسة حقها في حياة مستساغة، بل دأب الكثير من المفكرين والفلاسفة نحو هذا المسعى مقلصين دور المرأة لقصورها العقلي، وعدم قدرتها على تسيير شؤونها، فهي تحتاج لمن يرعاها مثلما نصّ على

ذلك (روسو) (Rousseau) و(غوستاف لوبون) (Gustave lapin) و(هيقل) (Hegel) وكثيرون.

لخصت (فرانزواز هيريتي) (Héritier Françoise) الرؤية الدونية للمرأة في كتابها: "الذكورة /الأنّوثة، الفكر بالاختلاف": "يجب إقناع النساء بدونيتهن، وتذكيرهن بأنّ عدم تمتعهن بالحرية راجع إلى أنّهن سيسئن استعمالها وإذا حرمن من تحصيل المعرفة فذلك يعود لكونهن ناقصات ذكاء وقدرة على إبداء الرأي...يجب احتقارهن بما فيه الكفاية حتى يصل بهن الأمر إلى اعتبار خضوعهن وضعية طبيعية"[1]، ليس أفظع من هذه الرؤية التي توزع العقل على البشر بين متدن وراق، خاصّة ونحن في عصر نشهد فيه قوة انجازات المرأة التي تخطت وقفزت إبداعيا خارج كلّ الحدود المرسومة، وهذه المرأة بالتركيبة الفزيولوجية نفسها لعقل امرأة العصور السالفة المتهمة بالقصور، والحقيقة أنّها قُمعت فلم تتمكّن من إثبات وجودها والمساهمة في تغيير وجه العالم إلى الأفضل فالنبوغ لا جندر له، إلاّ الممارسة الفعالة للإمكانات المتاحة أمام الجنسين.

أين المشكلّ إذا؟ لماذا خندق الرجل والمجتمع والثقافات الغربية الغائرة في القدم أدوار المرأة في زمن ما؟ ثم عملت كلّ الدول السائرة نحو النمو إلى تحرير المرأة، فأصبحت

اليوم كلّ المنظمات والحكومات تسعى لتحرير المرأة من السلط المحاطة بها؟

إذا كانت "فرجينيا وولف" تعتقد أن قبول المساواة بين الرجال والنساء يعني بالنسبة للعديد من الرجال التشويش على تصورهم للعالم وقبول اقتسام السلطة [2]، فإنّ العالم اليوم تغير، وخارطة الهيمنة الذكورية غيرت وجهها مع النظام الرأسمالي الذي يفرض تفتح المجتمع وخروج المرأة للعمل، لم تعد المرأة الغربية تعاني من سلطة الرجل بل من سلطة أقوى لن تستطيع الحركات النسائية على اختلافها تحريرها لأنّها سقطت فيها وهي الرأسمالية، تؤكد (سيمون دي بوفوار): "يجب التخلص من الرأسمالية...فاستغلال النساء يمكن استبعاده مع التخلص من الرأسمالية، ومن المحتمل خلق ظروف أفضل لتحرير المرأة"[3]، لم تترك الرأسمالية ولا الإمبريالية الجديدة عصرا للنساء، فأشكال العنف الممارس ضد المرأة في هذا العالم الجديد تضاعف ألاف المرات.

ربّما هي مقدمة مطولة أردتها لأربط بين ظرفين مرّ بهما العالم، ظرف **تحرير المرأة** وظرف **استعماري** متوحش عصف بمجتمعات كثيرة، محا استقرارها وغير تركيبتها مع طول زمن الاستعمار، مرّ العالم بمراحل شديدة التعقيد غيرت الكينونات والهويات، فعلا سعت المرأة الغربية إلى التحرر مدفوعة إليه دون أن تعي، وفي الشق الآخر من العالم تستعمر

شعوب تنزف حرياتها خلف مواقع الدفاع. تناقض رهيب **الحرية** هناك و**الاستعمار** هنا... والمقاومة شرسة من النساء والرجال معا أين اندمجت الثنائيات واتحدت لتجابه معا الاستعمار والدمار.

فإذا ما نظرنا بدقة إلى الدول التي رحتها الآلة الاستعمارية من جهة، وإلى الدول التي كانت المرأة فيها تطالب بحريتها وتفُض هيمنة الرجل عليها، لرأينا المفارقة واضحة: ففي الجهة الأوّلى يطلق الاستعمار جوره على مجتمعات استدمرها وهيمن على رجالها ونسائها وأطفالها وأرضها، مجتمعات بأسرها تسقط تحت أنياب متوحشة والصورة واضحة، الرأسمالية التي دفعت المرأة للتحرر في المجتمع الغربي، هي التي دفعت الحرب والاستعمار إلى عالمنا الثالث، وسمته بالدونية وبعدم القدرة على التفكير والأنّتاج، مجتمع تابع لا بد له من مستعمر يقوده إلى النجاة، سلطة غربية تسم مجتمعات برمتها بالسمات نفسها التي كانت تلصقها بالمرأة الغربية التي دفعتها الرأسمالية للتحرر.

تناقض يبدو غريبا، لكنه يعكس انسجاما بالغا في بنية النظام الرأسمالي لهذا نجد العالم العربي كوجه من أوجه العوالم التي خضعت للاستعمار مملوءا بالمتناقضات على كلّ المستويات، بنيات تفكير متضاربة تختلف بحسب درجة احتكاكها بالآخر الغربي الذي دخل مستعمرا وأدخل ثقافته وتفكيره وعالمه،

تغيرت بنية المجتمعات العربية في ظلّ الاستعمار وما بعده. لأنّ الأنّا تعرف على الآخر على عالمه وشوائبه. لذلك نشهد مواقف متباينة بين النخب العربية في فترة الاستعمار، فهناك نخبة ركزت على تحرير المرأة، ونخبة اهتمت بالأبعاد السياسة، وأخرى ركزت على ضرورة الفكاك من الاستعمار.

سياقات عدة ووجهات نظر مختلفة في البلد المستعمَرً الواحد، وفي البلدان المستعمرة على اختلافها. لأنّ تجربة الاستعمار في البلدان العربية ليست نفسها، وبالتالي لم تكن مواقف الكتابات النسوية بالحجم نفسه، كانت الأقلام قليلة، مُنحت لبعض الكاتبات اللاتي ساعفهن الحظ في التعليم الذي كان حكرا على طبقة معينة. بعض الكاتبات العربيات لم تَحُدُهُنّ أفاق الكتابة، فكتبن عن صراعات المرأة والرجل، لكنهن وسعن من آفاق كتاباتهن ومضينا لزعزعة التسلط الاستعماري في كتاباتهن وحاولن التركيز أوّلا على مناهضة الاستعمار، وفي الوقت نفسه انتقدن وضع المرأة في العالم العربي لأنّهن تفتحن على ثقافة الآخر الغربي، وأصبحت تطلعاتهن تدخلهن إلى عوالم شائكة.

نشير في هذا السياق إلى كاتبات عربيات كثيرات، امتزج وعيهن بالمقولات **ما بعد النسوية** أين تنصهر الثنائيات ويصبح الرجل والمرأة معا كيانا متحدا منسجما لا يعترف بالسلطة التي تهدد كيانهما ومجتمعها، قاومت هذه الكاتبات مع الرجل لتحرير الوطن، للتحرر من العادات البالية، لمقاومة الاستعمار

الذي حل بشعوبهن وسلبهن حقا في الحياة ومرتعا للأمل والراحة، أدركت كاتبات مثل **آسيا جبار** و**سها بشارة** و**رضوى عاشور** و**أهداف سويف**.. أن النقمة الحقيقية التي حلت على المجتمعات العربية هو الاستعمار الذي غير معالم الهوية ورسخ الشتات واستلب اللّغة والعادات.

سنقف في هذه الورقة على الكتابة النسوية ما بعد الحداثية، لأنّها حملت رؤية للعالم تفوق صراع الثنائيات إلى دمج للآفاق سعيا لمجابهة أسئلة الكينونة والوعي بالآخر سواءاً كان رجلا أم مستعمرا أم سلطة سياسية أم اجتماعية. سنركز على نقطة مهمّة وهي **استحضار الصوت النسوي برؤية ما بعد حداثية** هو ما رأيته يجمع الكاتبتين الراقيتين **آسيا جبار** و**رضوى عاشور** قامتين أدبيتين حررتا معا صوت المرأة التي تقاوم الصمت بالصوت، فهل من خلفيات مشتركة في كتابات أسيا ورضوى، هل هناك خصوصية في الطرح وفي تناول القضايا التي تمس المقاومة النسوية؟

قراءتنا المتأنية لنصوص الروائيتين العربيتين جعلتني أرصد العديد من النقاط المشتركة بينهما، فقد لاحظت أنهما:

1-اهتمتا معا بـ**التاريخ** وما فيه من صراعات، فأسيا **جبار** كتبت عن نساء المدينة المنورة في روايتها "Loin de Médine[4]" وكلّ شخصيات الرواية شخصيات نسوية عاشت صحبة الرسول

صلى عليه وسلم، وصحابته، أسمعتنا أصواتهن، وحكايتهن ومواقفهن كنساء حرب مقاومات باسلات همشهن التاريخ الذكوري بعد وفاة الرسول صلي الله عليه وسلم، الذي سمع صوتهن وأعطاهن الحق في البيعة والشورى، ونقل أحاديثه، بعد وفاته كانت الردة في كلّ المستويات، وعادت المرأة لتعامّل وتهمش مثلما كانت في الجاهلية.

كما استحضرت في روايتها " امرأة بلا ضريح [5] La Femme sans Sépulture صوت "زوليخة" الشهيدة التي أثبتت للمستعمر الفرنسي أن المرأة الجزائرية لا تهاب وحشية المغتصب وتقاومه حتى الاستشهاد ولا يثنيها عن فعل المقاومة أبشع تعذيب.

إن القارئ لكلّ روايات **رضوى عاشور** سواء **"ثلاثية غرناطة"** أم **"الطنطورية"** أم **"أطياف"**، **"خديجة وسوسن"**، **"فرج"**.... يلاحظ من الوهلة الأوّلى حضورا صارخا للشخصيات النسوية، عادت بنا رضوى إلى تاريخ الخيبات بعد سقوط غرناطة وضياع الأنّدلس، والدمار الذي ألحقه الصهاينة بفلسطين المحتلة، هذا التاريخ الذي نسمعه بصمت النساء المقاومات: مريمة وسليمة ورقية وخديجة وشجر... كلّهن أظهرن بسالة منقطعة النظير للحفاظ على الموروث التاريخي والثقافي في ظلّ الاستلاب الاستعماري الذي يمحو الكينونة والهوية. كما شاركت

شخصيات رضوى النسوية الهم السياسي وتقاسمت السجن مع الرجل يدا بيد من أجل تغيير المجتمع إلى الأفضل.

أدركت **آسيا جبار ورضوى عاشور** أنّ "الجهل بالتاريخ هو قوة استعمارية تكرس الخنوع والاستسلام ومن أجل كسر هذا القيد **لا بدّ** من **المقاومة** الثقافية" التي قوامها الكتابة كردّ فعل رمزي يتوسل السرد للعودة إلى التاريخ باعتباره فعلا رمزيا مقاوما. واستثمار التاريخ في كتابة الرواية هو جزء من المقاومة الثقافية أحد أبرز أوجه ما بعد الحداثة ومنبت الدراسات ما بعد الكولونيالية التي تشتغل على التعبير عن كيفية عمل اللّغة والسلطة في العالم كما يرى (بيل أشكروفت)[6]، لهذا تغدو مفاهيم الصوت والكلّام والصمت مهمّة جدا كأساليب للمقاومة.

2-جسدتا معا وعيا حادا بـ**الآخر**، واشتغلتا معا على **الذاكرة** وقضايا المرأة المقاومة واللّغة، كتبتا ضد العنف وضد التهميش وضد القهر، رسمتا بالكلّمات وبالمواقف وعيا يقاوم الهيمنات الاستعمارية ووحشية الإرهاب، وأسمعننا صوت نساء كثيرات كلّ واحدة منهن ساهمت في مقاومة هيمنة ما، سعيا لبناء وطن صَوَرَتَا المرأة المُقاومة التي لم يخلو أي عمل من أعمالهن من حضورها الصارخ وهي تقاوم ببسالة. ونسمع خطاباتها المترددة بطرق مختلفة في كلّ أعمالهما الروائية التي تعكس حجم وعيهن بقضايا المرأة.

4-تقاسمتا مهمّة تحرير الصوت النسوي في كتاباتهما، فكما أشرن سابقا، بطلات روايتهما من النساء اللاتي يحاولن مقاومة واقعهن سياسيا واجتماعيا وأسريا، والأهم الذي تناولتاه هو وعي المرأة بمجابهة ومقاومة الاستعمار في ظرف تاريخي مختلف، فإنّ كانت **آسيا جبار** تكتب عن مقاومة زوليخة للاستعمار الفرنسي في روايتها ""المرأة بلا ضريح La femme sans sépulture "، فإنّ **رضوى عاشور** المسكونة بتاريخ الأمّة العربية تكتب عن رقية في رواية **"الطنطورية"** التي تواجه نكبات الاحتلال الصهيوني من جهة وأزمات الهوية في ظلّ الشتات من جهة أخرى. أما في روايتها **"أطياف"** فتنقل مقاومة المرأة مجسدة في بطلتها "شجر" أستاذة التاريخ التي تنقب في حفريات التاريخ لتكشف التزييف الصهيوني الذي طال مجزرة دير ياسين، ومقاومتها هي كامرأة لظروف الحياة في ظلّ البيروقراطية العربية.

لكي نلملم فعل المقاومة مجسدا في كتابة الأديبتين الذي يرسم وجودا لبطلات مقاومات سنقف عند مقاطع من نصيهما لنرسخ أفكار المقاومة.

2- **أسيا جبار وعي تاريخي يقاوم بالذاكرة النسيان:** تعدّ آسيا جبار روائية جزائرية ذاع صيتها وعبرت شهرتها الآفاق الأدبية، بعدما التحقت بالأكاديمية الفرنسية كعربية وحيدة استطاعت الدخول إلى العالمية لأسباب عديدة وربما السبب الأوّل هو قناعاتها التي لم تتبدد في كتاباتها على اختلافها:

أوّلا: في مواقفها الوطنية بالرغم من اختيارها للّغة الفرنسية كأداة للتعبير وهي مكرهة، ساقها إلى هذه اللّغة قدر لم تتحكّم فيه، فقد منحها انتماؤها الطبقي تعليما ممتازا إبان الاحتلال الفرنسي، فوجدت في ظلّه مكانا ولغة وحيزا لم يكن متاحا للكثيرات في زمن الاستعمار، كانت واعية بحجم معاناة شعبها فركزت في روايتها على مساءلات مهمّة تمس كينونة الذات في علاقتها بالآخر، ساعدها توجهها التاريخي على التنقيب والحفر في أزمات العالم المعاصر وغياب المعنى.

ثانيا: وقوفها إلى جانب المرأة ظالمة أو مظلومة. وبالرّغم من تحريرها للكثير من الأصوات النسوية الجزائرية في رواياتها، إلاّ أنّها في نقلها لصراع المرأة ضد الهيمنة الذكورية وثقافة المجتمع الجزائري، كانت تنقل الواقع دون البحث عن السبب الذي أدّى إلى تدهور حال المرأة الجزائرية والعربية إلى هذا الحدّ، ولم تربط بينه وبين الاستعمار الفرنسي الذي غير بنية المجتمع وقلبها رأسا على عقب.

تقدم رواياتها **"المرأة بلا ضريح"** حياة شهيدة من شهداء الجزائر، كتبت عن زوليخة البطلة التي قاومت ببسالة بشاعة الاستعمار الفرنسي، ساعدها زوجها على خوض حرب التحرير المجيدة، استشهدت بعد أن قاومت، بكلّ ما أوتيت من قوة وجلد، أبشع استعمار نكلّ بالنساء وبالأنّوثة، استطاعت **آسيا جبار** في روايتها **""المرأة بلا ضريح** La femme sans sépulture " أن تسمعنا صوت زوليخة وهي تعيدها إلينا محررة أصوات الكثير من النساء اللواتي عرفن زوليخة وعشن القهر الاستعماري، عشن الصمت على الفضائح الاستعمارية التي مسّت شرف الجزائريات الشامخات اللاتي اغتصبهن المعمرون، لتكون فرنسا المستعمرة أقذر استعمار على وجه البشرية، خطط لقمع هذا الشعب بالمساس بوطنه وشرفه.

جسدت زوليخة شايب زوجة عوداي المرأة البرجوازية التي لم تنخدع بالوجه الجميل الذي يضعه المستعمر ليلطف من وقع حضوره في الجزائر، لأنّها حين اختارت الأنّضمام إلى الثورة سلمت حياتها وأولادها إلى الأقدار وخاضت مع زوج نبيل تجربة الثورة رحلا معا لأنّ الوطن أغلى من الأوّلاد والمال.

اختارت "آسيا جبار" شهيدة باسلة وأعادتها إلى الحياة بعد تمكينها من الكلّام تخيليا، وبحضور تاريخ هذه البطلة تحررت ذاكرة جماعية لنسمع **أصواتا نسوية كثيرة قاومت في زمنها بالفعل، وقاومت في النصّ الروائي بالصوت** الذي منح لها

فرسمت به بشاعة الاستعمار الفرنسي، وقدمت شهادات حية حول حياة شهيدة واعية مثقفة، عرفت طريق **المقاومة** فلم تدخر جهدا لتنفيذ كلّ المهمّات الموكلّة لها، دون أن يرتد طرفها أو يدخل الخوف قلبها، حتى بعد استشهاد زوجها، الذي كان سندا لها آمن بقراراتها وحزمها على خوض غمار مقاومة باسلة، واصلت زوليخة مهمتها وإن رأت فعلا أن العالم من دون زوجها لا قيمة له: " *منعزلة أمام الجثة الهامدة، العينان المقفلتان، تُمرر يدها على الجروح الغائرة في الصدر وفي اليد، تدخل يديها في الدم النازف من زوجها، لم تبك شفتاها تردد دعاء إسلاميا، وتعدُه أنها ستواصل نضالها*" [7]

صورة تجسّد مقاومة شرسة لامرأة لم تنهر أمام جثة زوجها الشهيد ولم تبكه، فهو الشهيد الذي يروي الأرض بدمه لتتحرر من الاستعمار الغاشم، فما أخذ بالقوة لا يسترد إلاّ بها، آمنت زوليخة أنّ فعل المقاومة لا جندر له، يتساوى فيه الرجل والمرأة بل أكثر من هذا يتحدان ليتحقق الأنّعتاق، أخذت زوليخة عهدا على نفسها أن تواصل المشوار دون شريك رحل من دونها، لم يخفها الرحيل لأنّ قراراتها ثابتة ولا رجعة بعد خيار المقاومة: "*تعود إلى بيتها، سيدة محجبة،...العينان مرفوعتان، وربما تقول في نفسها: سيزار، من الأنّ فصاعدا مدينة فارغة،....من دونه! هادئة وهي تودع طفليها الأخيرين..*" [8]، إحساس رهيب بالفراغ بعد استشهاد زوجها لم

يثنها هذا على مواصلة المشوار، وإن كان المشهد معبرا وهي تقبل الصغيرين النائمين راحلة إلى الأبد، فهذا لأنّ شهيدات كثيرات روين بدمائهن أرض الجزائر الأبية ولم تمنعهن أمومتهن أو ارتباطاتهن العائلية من المشاركة في الثورة يدا بيد مع الرجل الجزائري الذي كان يؤمن فعلا بخيارات المرأة التي كانت جزءا منه يقاسمها أكبر القضايا.

أبرزت الرواية همجية وحشية المستعمر ضد المرأة والرجل معا. لأنّ زوليخة استشهدت مع زوجها الذي كان يمنحها السكينة والحب، اعتلجا وجودهما معا ورحلا شهيدن، ليبقى التاريخ شاهدا على الكثير من الجور الذي وقع على الشعوب المستعمرة، ترسم الرواية بريشة كاتبتها شذرات من عوالم ستبقى شاهدة على فجائعنا من جهة، ومن جهة أخرى هي شهادة حية عن التلاحم الذي كان منسوجا بين المرأة والرجل في ظلّ الاحتلال.

فعلا، لم يكن في حيز تفكير المرأة الجزائرية مقاومة زوجها أو والدها، كانت راضية بثقافة نمت في حضنها، بل كانت ملتحمة مع زوجها وأسرتها وعالمها لمجابهة الاستعمار بثقافته ووحشيته، شاركت المرأة الجزائرية وقاومت بكلّ ما منحها الرجل ومنحته من قوة ليجابها معا ظلامية المستعمر.

طبعا ستتحدث **آسيا جبار** عن سلطة الرجل بواقعية، بالرغم من أنّها عاشت في كنف أسرة ووالد منحها حرية التعلم والسفر والصعود إلى الجبل مثل آلاف المجاهدات المقاومات والشهيدات اللاتي واجهن المستعمر بتقديم أنفسهن وفلذات أكبادهن. إلاّ أنّ آسيا جبار كان لها حظ أكبر في التعليم، فقد منحها انتماؤها الطبقي تعليما ممتازا إبان الاحتلال الفرنسي، فوجدت في ظلّه مكانا ولغة وحيزا لم يكن متاحا للكثيرات في زمن الاستعمار، كانت واعية بحجم معاناة شعبها فركزت في رواياتها على مساءلات مهمّة تمس كينونة الذات في علاقتها بالآخر، ردا على التخريب الذي مسّ بنية المجتمع الجزائري.

تعكس فعلا هذه الرواية صورة ذلك التلاحم الذي كان يربط الرجل بالمرأة معا لمناهضة العدو، هذه الصورة تغيرت مع الاستعمار الذي استطاع أن ينفث سمومه في الأسرة العربية، ويفكك تلاحمها لتكون صورة مشوهة عن الأسرة الغربية. لكنني لاحظت أن **آسيا جبار** وهي تمنح صوتا لشخصيات نسوية أخرى في رواياتها لتعبر عن حجم معاناتهن في ظلّ مجتمع يحتقر وجعهن ويمنعهن من ممارسة حرياتهن فيقاومن ردا لحقوقهن المهضومة من قبل الأسرة، مثلما فعلت فاطمة[9] في المجموعة القصصية "نساء الجزائر في مخدعهن Femmes D’Alger Dans leur Appartement التي تحكي السارد البنت حكاية خروج أمها فاطمة عن أسرتها التي لم تمنحها حرية

اختيار زوجها، فقاومت هذا الظلم ورحلت عن قريتها وتزوجت بمن تحب، فعلا هذا واقع لا مناص من الحديث عنه لكن يا ترى ما هي أسبابه؟ كيف لواقع يتحدّ فيه المرأة والرجل معا لمقاومة الاستعمار، يكون مملوءا بقمع حرية المرأة؟

يهمني في هذا السياق أن أقدم شهادة "مارجريت بدران" حول المجتمع المصري قبل الاحتلال وبعده تقول: "في مصر القديمة في أوج مجدها تمتعت النساء بحقوق مساوية لحقوق الرجل ولكن كانت هذه الحقوق تزول عند الوقوع تحت الاحتلال...فمن المثير للاهتمام أنّه أثناء الاحتلال البريطاني لمصر نقل البريطانيون أنفسهم الممارسات الذكورية ولسوء الحظ ساهم ذلك في انتشار الأمية بين النساء ومعاملاتهن كأشياء بينما حصل البعض الآخر منهن على قدر كبير من التعليم"[10]، وربما هذا ما حدث في الجزائر المستعمرة أيضا، فكيف يعقل الحديث عن هيمنة ذكورية في مجتمع كان يعيش هيمنة وتسلطا استعماريا أفظع؟ مجتمع كان منسجما في عاداته وثقافته وتقاليده ولغته، عصف المستعمر بكلّ هذه الثوابت وزعزع الكثير من القيم، فسقطنا بعده في ازدواجية لغوية وثقافية، وشرخ هوياتي مازلنا نتجرع بمرارة تبعاته[11].

وبالتالي، لم يكن بمقدور أيّ كاتبة أن تتحدث عن قهر المرأة وهي تعاني قهرا استعماريا وتعيه جيدا[12]، إلاّ أنّنا لا حظنا أن **أسيا جبار** في بعض رواياتها انساقت دون وعي منها خلف

بعض الصور النمطية التي يحبذ المستعمر وسم مجتمعنا بها، وخاصّة ما يمس ّالعلاقة بين الجنسين والأسرة والمجتمع، ففي بعض رواياتها تتحدث عن قمع المرأة الجزائرية من قبل العادات والتقاليد وهذه حقيقة لا مفر منها، لكن لو تأملت المشهد جيدا لاستطاعت أن تفهم أسلوب المستعمر الذي كانت له يد كبيرة طالت تغيير الذهنيات وخاصّة ما تعلق منها بممارسات المرأة.

فمحاولة إبراز دونية التعامّل مع المرأة العربية في مجتمعاتها تبعها مباشرة مناداة بتحرير المرأة العربية، وهذا أمر مدبر تقف عنده **"مرفت حاتم"** وتربط التحرير بمشروع كان مغلفا بأبعاد استعمارية كبيرة: "فوراء التحرير كان الهدف السيطرة بطرق جديدة "فالخطاب الاستعماري ركز على أهمية تغيير أدوار المرأة العربية ممّا أتاح للمستعمر وللرجال الدخول إلى مساحات اجتماعية كانت مغلقة كوسيلة لتطوير أساليب سيطرة تعمل من الداخل إلى الخارج" وكان هذا المشروع في الماضي والحاضر يحظى بتأييد النخب القومية كذلك من رجال ونساء وعلمانيين وإسلاميين لأنّه قدّم أفكارا جديدة لأنّماط جديدة من الحكم استمرت إلى فترة ما بعد الكولونيالية"[13]

أعجبني هذا الوعي المتبحر في سياقات تشكلّ الحركات النسوية في العالم العربي، في ظلّ غياب وعي حقيقي من قبل النخب العربية بالأبعاد الخفية والمتخفية عبر المناداة بتحرير

المرأة في الفترة الاستعمارية وما بعدها، ف*وصول النساء إلى بعض المناصب البيروقراطية هو تبيين الدولة على أنّها تراعي حقوق المرأة، ولكن هو مجرد بيروقراطية نسوية، وهن في الحقيقة لا يمثلن مصالح النساء لأنّهن سيضحين بهذه المصالح في خدمة الدولة"* [14] وتصبح النساء هنا ورقة ضغط تستعملها الدولة خدمة لمصالحها الداخلية والخارجية.

علينا أن نقول أنّ **آسيا جبار** في مشوارها الأدبي دخلت إلى أعماق المقاومة النسوية سواء ما تعلق منها بمناهضة الاستعمار أم الهيمنة الذكورية والاجتماعية ببراعة أدبية تحسب لها، لكن نقصها الوعي بضرورة الوقوف عند أسباب تغير المجتمعات العربية في بعض تعاملاتها الدونية مع المرأة، والتي كان من بين أسبابها الاستعمار.

3- الشتات: المرأة حين تقاوم الذاكرة وتاريخ الوهن: من المؤكّد أنّ المرء إذ وضع في سياقات اجتماعية وثقافية صحية، وكانت له جملة من الاستعدادات للتأقلم والإبداع ضمن هذا الجو، فستكون النتيجة ممتازة ومميزة وهو ما عاشته **رضوى عاشور** ابنة المحامي عبد الوهاب وزوجة **مريد البرغوثي** الشاعر الفلسطيني الذي التحم وجوده بكيان هذه الكاتبة الفذة فعرفا معا أبجديات هذا العالم المتناهي في الصغر، واستطاعا معا أن لا ينخدعا بزيف الآخر المستعمر لأنّهما معا فَهما أن

الاستعمار حمّال أوجه وما إن دخل أمّة إلا أفسدها وغير بنيتها الثقافية والاجتماعية.

إنّ عالم **رضوى عاشور** الثقافي مليء بالمقاومة الفعلية، هي امرأة تعيش **المقاومة** وتؤمن بالثورة، وتقف مع المظلّومين والمقموعين والمهمشين، فإنتماؤها اليساري لم يكن موضة، بل كان واجبا أخلاقيا التزمت به إلى آخر أيامها، هي التي وقفت في ميدان التحرير تندد بالقمع وتضع يدها في يد كلّ الشباب الذين آمنوا بالتغيير للأفضل، **قاومت سياسيا** وأخلاقيا، كما أنّها **قاومت المرض** وكتبت سيرتها **"أثقل من رضوى" و"الصرخة"** وهي تقاوم السرطان الورم الخبيث الذي هشّم رأسها، لكنّها قمعته بالكتابة لسنوات لأنّها لا تؤمن بالرضوخ، وبالرغم من كلّ تلك العمليات التي تلقتها وصنعت في رأسها خارطة مفجعة، إلاّ أنّها ظلّت تقاوم بذاكرتها كي لا يهشمها ويوهنها النسيان.

إنّ وجود **رضوى عاشور** في هذا العالم هو للمقاومة، هذا أيضا ما ترسخ في كلّ كتاباتها سواء الإبداعية أم النقدية، كتبت عن الرواية في غرب إفريقيا كتابها النقدي "التابع ينهض"[15] لتناصر قارة أضناها الاستعمار بوحشيته، في كلّ المستويات، كتبت عن وول سوينكا وكمارا لاي وشينوا أشيبي ... وروائيين قاموا بالكتابة ليعيدوا لعالمهم الأفريقي أصالة ضيعها الاستعمار ومحاها مدعيا أن هذه الشعوب لا تاريخ لها.

كتبت عن ضياع الأنّدلس وعن فلسطين ثمانية وأربعين وسبعة وستين وفلسطين الشتات في روايتيها **أطياف** و**الطنطورية**.

لبست المقاومة النسوية في روايات رضوى عاشور لباس المواجهة لا المداهنة، والقارئ لرواية أطياف ذات "البناء السردي الهجين، يقف على نصّ ينصت لامرأتين وتاريخ مشترك وذاكرة تنتقي صوراً لمحرقات في حق الشعب الفلسطيني، تتصارع في الرواية الأصوات التي تصبح جوهرية في البناء الجمالي لهذا النص الذي خلخل بنيتنا القرائية ما دام قد اشتغل على تركيبة جناسية، يضع كتابات رضوى فعلا ضمن تيار ما بعد الحداثة، ولعبة المرايا والميتا -حكي دليل على هذا"[16]

أما روايتها الطنطورية فنكتشف حجم الفواجع التي قاومتها المرأة العربية ضد الاحتلال لصهيوني وتاريخه، ترسم الرواية تاريخا للمقاومة يبقى شاهدا على الشتات الذي تكبده الفلسطينيون في المنافي والمخيمات، اختارت رضوى عاشور شخصية رقية البطلة الساردة التي تمرّ عبرها النكبات والفواجع وتحكي عن الشتات والأجيال الجديدة التي لا تعرف استقرارا ولا طريقا للعودة، رواية **الطنطورية** تجسّد فعل المقاومة بالذاكرة، ذاكرة رقية التي يريدها حسن أن تُكتب لكي لا تموت، يصبح فعل الكتابة الذي تقوم به رقية وهي تنقل حرب المخيمات وصبرا وشتيلا فعلا لمقاومة النسيان: "" *لماذا ورطتني في هذه الكتابة؟ ما المنطق أن أعيش تفاصل الكارثة مرتين....ذاكرتي*

تغالبني وأغالبها كأنّنا في حلبة مصارعة، ليس التشبيه دقيقا يا حسن، لا هي لعبة ولا في نهايتها منتصر ومهزوم أو جمهور يصفق ابتهاجا بفوز من فاز، ليست لعبة وإن كانت، فهي خطيرة تقتل. [17]

لكن حسن يؤمن أن الكتابة هي الفعل الوحيد الذي سيحفظ الذاكرة من النسيان، وفعلا هي قناعة تقاسمتها الكثير من الروائيات اللاتي آمن أن فعل الكتابة وفعل السرد أداة فعالة للمقاومة في هذا العصر الذي اخترقه النسيان، وهو ما فعلته رضوى وآسيا جبار، وكلّ كاتبة آمنت أن قضايانا أكبر من أن نخندقها في صراعات لا تعرف الآخر.

الهوامش:

---

[1]Héritier Françoise: Masculin/Féminin; La pensée de la différence; Paris; Odile Jakob.2007.P31;

نقلا عن إليزابت كريميو: وضعية المرأة في العالم، ترجمة، حنان القصبي ومحمد الهلالي، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى، 2015. ص15.

[2] باميلا أرجريتو دييوليو، قفص الحريم، ترجمة محمد الجندي، مراجعة محمد عناني، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة، 2011، ص23

[3] المرجع نفسه: ص43

[4] Assia Djebar : Loin de Médine. Albain Michel ;

[5] Assia Djebar; La femme sans sepulture; Edition Albin Michel; France; 2002.

[6] بيل أشكروفت: وغاريفث غريفيث وهلين تيفن: الرد بالكتابة، النظرية والتطبيق في آداب المستعمرات القديمة، ترجمة شهرت العالم، المنظمة العربية للترجمة، 2006.، ص284

[7]Assia Djebar; La femme sans sépulture; p121.

[8] Ibid; p121.

[9] Voir: Assia Djebar; Femmes D'alger Dans Leur Appartement; Albin Michel; 2002; La nuit du récit de Fatima.

[10] باميلا أرجريتو دييوليو، قفص الحريم : ص51

[11] كيف لمجتمع قدم عددا يكاد يكون متساويا من الشهداء والشهيدات أن يتحدث فيه عن هيمنة ذكورية؟ نذكر فقط أن قرى جزائرية برمتها كان يصعد رجالها إلى الجبل وتبقى النساء اللاتي يغتصبن من قبل المستعمر نكاية في المجاهدين، وبالرغم من ذلك الكثير من المجاهدين تحملوا مثل هذا العار ولم تنف أسرة ابنتها جراء اغتصاب. بل بعض المجاهدات اغتصبن عنوة أمام أزواجهن وآبائهن. أعتقد أنه علينا مراجعة الكثير من القناعات التي بقيت راسخة في ذهننا وهي أن المستعمر حضر المرأة الجزائرية، فإن لبسنا اليوم أو تكلمنا بثقافة المستعمرين فهي غنائم حرب ولا تدل على تحضر يدعيه المستعمر بل يفرضه الاحتكاك الثقافي، فالتحضر لا يأتي بعد إستدمار شعب.

[12] خاصّة وهي في أسرة متعلمة مليئة بالنخوة. تصور **آسيا جبار** جيدا في سيرتها كيف استطاع والدها المدرس في المدرسة الفرنسية أن يواجه ويقاوم الآخر الذي تعدى على حقه كمدرس دون أن يأبه بشيء

[13] مرفت حاتم ص27

[14] ص28

[15] رضوى عاشور: التابع ينهض الرواية في غرب إفريقيا، دار ابن رشد، بدون تاريخ.

[16] حياة أم السعد: وجع الذاكرة وسيناريوهات المقاومة في التشكيل السردي عند رضوى عاشور، ضمن مؤلف جماعي ثقافة المقاومة، دار الخلدونية، 2015، ص267.

[17] الطنطورية: ص231.

إعلان عن جائزة اللغة العربية 2018

يعلن المجلس الأعلى للغة العربية عن تنظيم (**جائزة المجلس للغة العربية لسنة 2018**) التي تهدف إلى تشجيع الباحثين من داخل الوطن، وتثمين منجزاتهم العلمية والمعرفية، ذات المردود النوعي الهادف إلى إثراء اللّغة العربية، والإسهام في نشرها وترقيتها، سواء أكانت هذه الأعمال مؤلفة باللّغة العربية، أم مترجمة إليها.

1 ـ شروط الترشح للجائزة:

- أن يقدم العمل باللّغة العربية؛
- أن يتوفّر العمل على قواعد المنهجية العلمية؛
- أن يكون البحث موثقا وأصيلا، وفي مجال الترجمة ترفق نسخة للنّص بلغته الأصلية؛
- أن لا يقل البحث المقدّم عن مائة (100) صفحة وأقصاها خمسمائة (500) صفحة (مكتوبة بخط simplified arabic حجم 14)
- ألاّ يكون البحث قد نال به صاحبه جائزة أو شهادة علمية؛
- ألاّ يكون البحث قد نشر؛
- أن يندرج البحث في أحد المجالات المذكورة أدناه؛
- قرارات لجنة التحكيم غير قابلة للطعن؛
- لا تردّ الأعمال إلى أصحابها؛ سواء فازت أم لم تفز.

2 ـ مبلغ الجائزة: حدّد مبلغ الجائزة بـ 2.000.000 دج، يوزّع بمقدار500.000 دج لكل مجال من المجالات الأربعة التالية:

2 - 1 - جائزة المجلس في علوم اللّسان.

2- 2 - جائزة المجلس في الترجمة إلى العربية.

2 - 3- جائزة المجلس في العلوم وتكنولوجيات الاتّصالات الحديثة.

2- 4 - جائزة المجلس في أحسن عمل ميداني لتعريب الإدارة والمحيط.

يوزّع المبلغ المالي في كل مجال من مجالات جائزة المجلس للغة العربية على النحو التالي:

- 70% للفائز الأول أي 350.000 دج؛
- 30% للفائز الثاني أي 150.000 دج؛

وفي حالة حجب الجائزة في مجال من المجالات، يمكن للجنة التحكيم آن تقترح جائزة تشجيعية، شريطة أن يتوفر المبلغ في أحد المجالات، على ألا تتجاوز قيمتها 60% من مبلغ الجائزة الثانية.

- يمكن أن يتكفّل المجلس بنشر الأعمال الفائزة باستثناء الجائزة التشجيعية التي تُحال على هيئتي تحرير مجلتي: اللّغة العربية ومجلة معالم للترجمة للتداول بشأن إمكانية نشرها في عدد من أعدادهما.

- تصبح الأعمال الفائزة بجائزة المجلس مِلْكا له، إلا أنه يمكن لمؤلفّها استعادة حقوقه بعد موافقة المجلس، وبعد انقضاء مدة ثلاث (03) سنوات على الأقلّ من نشر العمل في طبعته الأولى؛

- تعرض الأعمال المرشحة على لجنة تحكيم مكونّة من ذوي الاختصاص الذين لا يسمح لهم بالمشاركة في الجائزة.

3 ـ طلب الترشح:

يتكون طلب الترشح للجائزة من الوثائق الآتية :

- طلب خطي؛
- نسخة من وثيقة الهوية (بطاقة التعريف أو رخصة السياقة)؛
- السيرة العلمية للمشارك؛
- نسختين من البحث المقدّم لنيل الجائزة:
- النسخة الأولى مسجلة على قرص والنسخة الثانية توجه عن طريق البريد المسجّل، ويكون تاريخ الختم البريدي شاهدا على ذلك.

4 ـ فتح باب الترشح للجائزة ابتداء من 02 يناير 2017 إلى غاية 30 سبتمبر 2018، وتوزع بمناسبة الاحتفاء باليوم العالمي للغة الربية (18 ديسمبر 2018).

للاستفسار الاتّصال بالروابط: الهاتف: 09 07 23 021 / 99 88 23 021. البريد الإلكتروني: sg.hcla@gmail.com

5 ـ يوجه ملّف الترشح إلى العنوان الآتي:

السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية <u>شارع فرانكلين روزفلت، الجزائر.</u>

<u>أو ص.ب : 575 شارع ديدوش مراد الجزائر العاصمة</u>

(جائزة المجلس للغة العربية 2018).

اللغة العربية

Revue Académique Trimestrielle Indexée

منصّات الاعتماد

ISC

Islamic World Science Citation Center

cerist

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University for Security Sciences

Indexation

ALMANHAL

AraBase

قاعدة معلومات اللغة والأدب

ASJP

البوابة الجزائرية للمجلات الجزائرية

مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرنكلين روزفلت، ، الجزائر

الهاتف : 25 / 213.021.23.07.24 الناسوخ : 213.021.23.07.07

ص.ب : 575 الجزائر - ديدوش مراد

www.csla.dz

madjaletalarabia@gmail.com